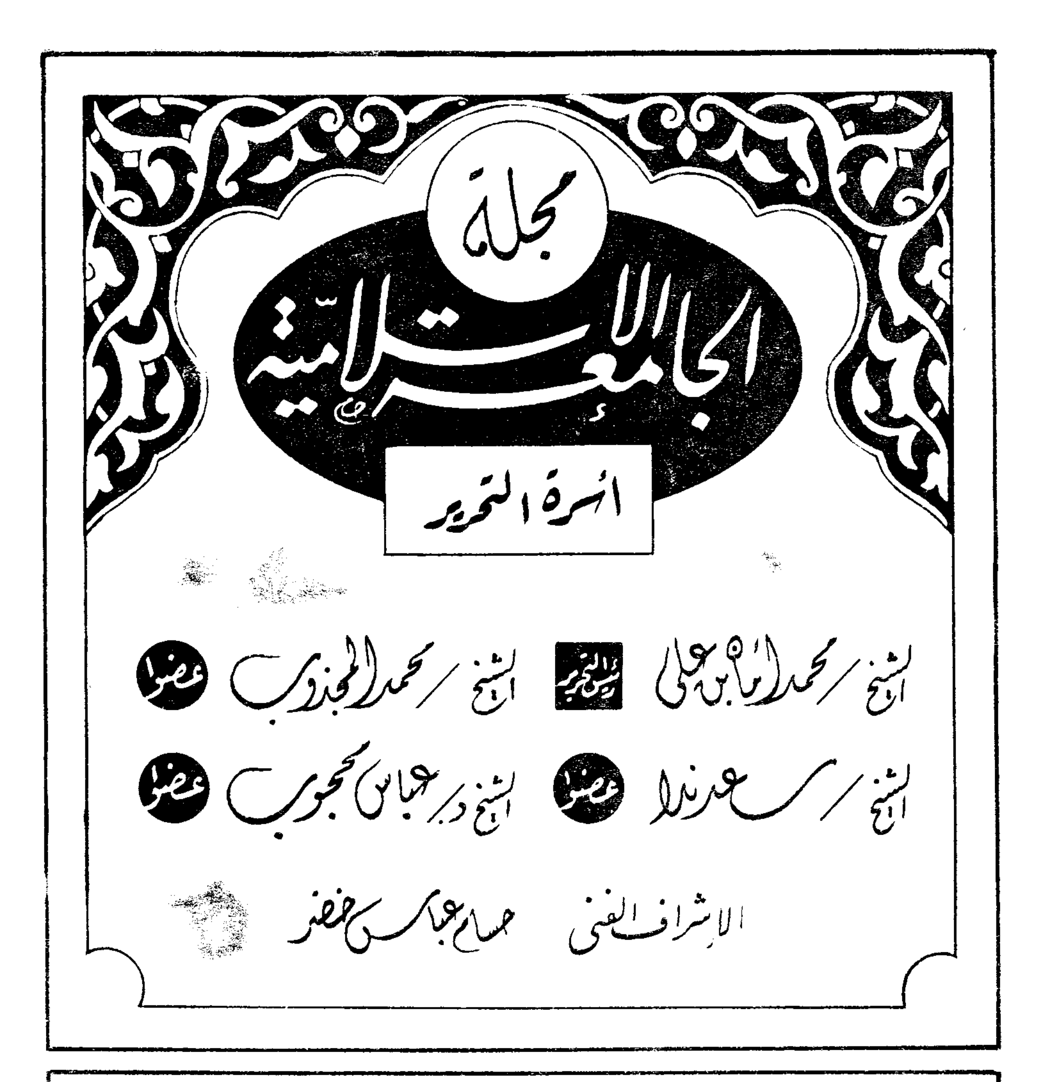


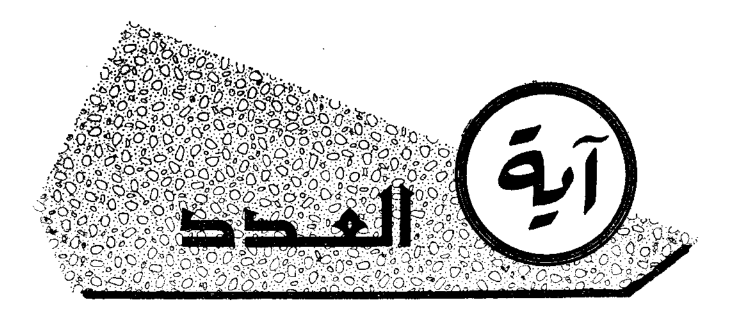
مجلة
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
السنة الحادية عشرة
العدد الثالث
ربيع الأول عام ١٣٩٩هـ
مجلة فصلية تصدر أربع مرات في العام





المراسلات : ترسل إلى المجلة باسم رئيس التحرير
عنوان المراسلات : المدينة المنورة - الجامعة الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)

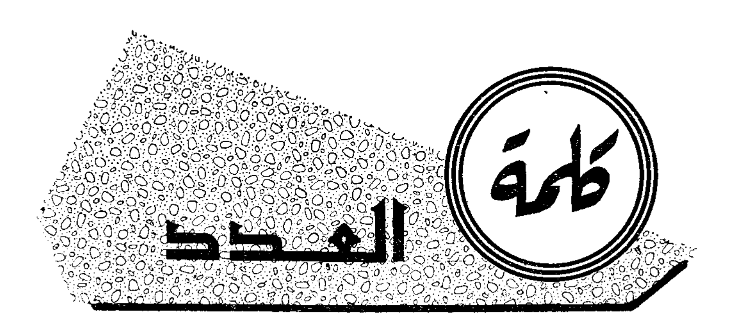
(آية ٦٥ : النساء)



عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا علي أيديهم نجوا ونجوا جميعا »

(رواه البخارى)



يصادف صدور (مجلة الجامعة الإسلامية) هذه المرة في عددها الثالث للسنة الحادية عشرة مناسبة إسلامية هامة لها شأنها ولها مكانتها في نفوس المسلمين أجمع . . وهي مناسبة إعلان رئيس جمهورية باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية . وتطبيق الشريعة الإسلامية هو الهدف الأول والأخير من إنفصال باكستان عن الهند . .

ومنذ ذلك التاريخ تاريخ إستقلال باكستان إلى هذا اليوم لم تزل محاولة تطبيق الشريعة تقطع عقبة بعد عقبة وتخطو خطوات بطيئة إلى أن ظهرت اليوم الى حيز الوجود بذلك الاعلان المبارك الذى نرجو أن يكون نقطة تحول في حياة الشعب الباكستاني الذى سوف يسعد – بإذن الله – تحت ظل الشريعة الإسلامية كما سعدت جميع الشعوب التى يحكمها الإسلام قديماً وحديثاً . والشعب الباكستاني شعب مسلم وصادق في إسلامه . وقد كان منذ الاستقلال متلهفاً إلى تطبيق الشريعة الإسلامية . وهو يؤمن إيماناً لا يخالطه أدنى شك أن حياته بعد التطبيق سوف تكون خيراً من حياته قبل التطبيق . لأن الإسلام شريعة الله العليم الحكيم وهو خير وبركة . فحيثما نزل الإسلام وعمل به وطبقت شريعته نزلت البركة والرخاء والخيرات . . ونزل الأمن والأمان والاستقرار .

وهو ينظم الحياة تنظيماً بديعاً ودقيقاً ، يأمن الانسان تحت ظله على نفسه وعقيدته وماله لأنه يحفظ بأحكامه العادلة أموال الناس وعقولهم ودماءهم ويطلق لهم حرية العمل وحرية القول ويكسبهم شجاعة فذه بحيث لا يخافون إلا ربهم وخالقهم ولا يطأطئون رؤوسهم إلا لعظمته .

هذه بعض المعاني التى يمتاز بها إسلامنا العظيم . . (ومجلة الجامعة الإسلامية) تنتهز هذه الفرصة

لتهنأ جمهورية باكستان الإسلامية رئيساً وحكومة وشعباً على هذه النعمة نعمة الاسلام وتطبيق شريعته .

وفي الوقت نفسه تهيب بالدول الإسلامية الأخرى وتدعوها لتحذو حذو جمهورية باكستان الإسلامية . فتعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية ثم تتابع الإعلان بالتنفيذ والعمل لأن الاعلان وحده غير كاف طبعاً . ويومئذ نصدق إذا قلنا « نحن مسلمون » والله الموفق . .

أوهام يحسبونها أعذارا . .

وقد يعتذر بعض الحكام عن تطبيق الشريعة ببعض الاعذار نوجزها فيما يلي : —

١ — إن شعوبهم ورعاياهم تتكون من مسلمين وغير مسلمين فيظنون أن هذا الواقع يكون لهم عذرا مانعاً عن تطبيق الشريعة لئلا يتضرر أفراد الشعب على حساب الآخرين في زعمهم ! ! وللاجابة على هذا الوهم نقول : إن تطبيق شريعة الإسلام رحمة للمسلمين وغير المسلمين (لو كانوا يعلمون) . . (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) . .

وذلك أن غير المسلمين سوف ينعمون في ظل أحكام الإسلام كما ينعم المسلمون . لأن الإسلام الذى يحرم مال المسلم ودمه وعرضه كذلك يحرم أموال غير المسلمين ودماءهم وأعراضهم ما داموا يعيشون تحت راية الإسلام مسالمين دون أن يكونوا حرباً على الإسلام والمسلمين ولا يكونوا عوناً لمن يحاربهم . ويسمى هذا الصنف مستأمناً أو معاهداً أو ذمياً . .

ومن أحكام دين الاسلام أحكام تخص هؤلاء الناس يهوديين أو نصرانيين . . ومن ذلكم الوعيد الشديد الذى جاء في حق من يقتل معاهداً أو ذمياً بأنه لا يَرَحْ رائحة الجنة عبد الله (١) بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة ، وان ريحها يوجد في مسيرة أربعين عاما (رواه البخارى واللفظ له وللنسائي مثله إلا أنه قال (من قتل قتيلا من أهـل الذمة لم يَرَحْ رائحة الجنة (ومن مثل هذه النصوص الصريحة يتضـح جلياً أن الاسلام دين الرحمة . وهو عنوان الأمن والاستقرار كما تقدم . . وخير شاهد على ذلك ما ينعم به سكان المملكة العربية السعودية التى إكتفت بالإسلام ديناً ودستوراً بتوفيق الله ينعم سكان هذه المملكة بنعمة الأمن المنقطع

(١) الترغيب والترهيب ص ٣٣٣

النظير في العالم مواطنين ووافدين على حد سواء وهي حقيقة ملموسة لمس اليد ، ولا تحتاج الى ذكر الشواهد بل كل من عرف ما تعيش فيه شعوب العالم من قلق وإضطراب وعدم إستقرار للأمن ثم شاهد مايعيشه سكان هذا البلد الطيب من الأمن على نفسه وماله وعرضه وينام ليله ملء أجفانه يؤمن تماماً أن سر ذلك هو تطبيق شريعة الإسلام . . « ولكم في القصاص حياة يا أُولى الألباب » . .

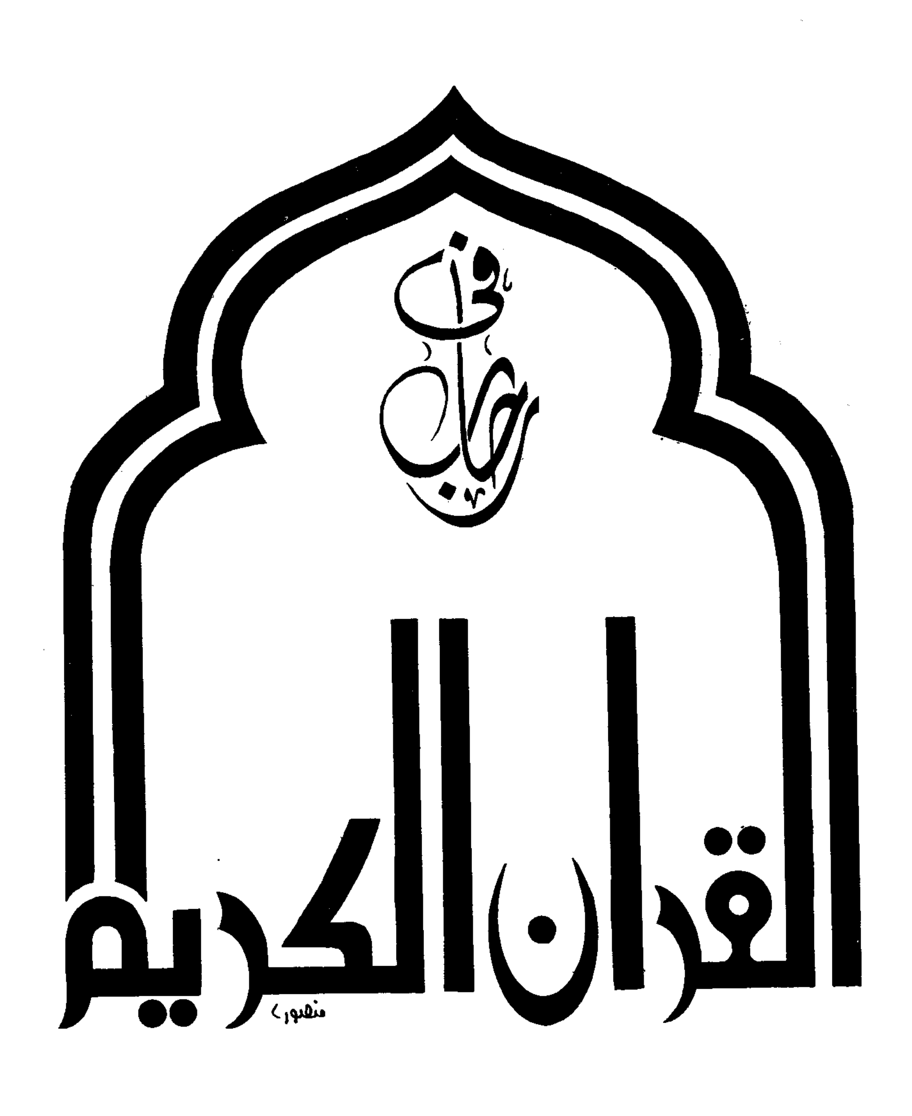
٢ – يظن بعضهم أن تطبيق شريعة الإسلام يعني حمل الناس جميعاً على إعتناق الإسلام وتكليفهم بذلك بغير رضاهم . ! !

وللإجابة على ذلك نقول أن هذا الوهم منشؤه عدم التفقه في الدين وقلة البصيرة .

وإلا فإن الإسلام يعلن بكل صراحة في قرآنه بأنه لا يُكْرِه أحداً على الدخول في الإسلام بغير إختياره ودون رضاه إذ يقول القرآن الكريم – وهو كتاب الإسلام الوحيد . . (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .. فدعوة الإسلام إذاً إنما هي عرض وبيان .. عرض للإسلام على حقيقته كاملاً كما نزل . . وبيان لمحاسنه وسماحته وشموله ورحمته ليعرف على حقيقته . . فليس في دعوة الإسلام إكراه للناس حتى يكونوا مسلمين قسراً ودون إختيارهم .

وبعد : فهل بقي هناك خيط يتعلق به أولئك الذين لم يطبقوا الشريعة في شعوبهم مع إنتسابهم إلى الإسلام ؟ ! ! . . فنرجو أن يجدوا في موقف فخامة رئيس باكستان ضياء الحق ما يكون خير حافز لهم ويضيء لهم الطريق ليبادروا فيعلنوا كما أعلن ثم يطبقوا وينفذوا ولا يجبنوا والله معهم وسوف يسدد خطاهم ويأخذ بأيديهم . . (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

« رئيس التحرير »


في رحاب
القران الكريم
منصور

إلى الذين يحاولون فتح مفاتح الغيب

باسم العلم الحديث

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوي / المدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لا نجد مفتاحاً لمحاضرتنا هذه ، نفتح به ما قد يكون أغلق علينا ، وعلى قلوب ليست معنا ، عليها أقفالها خيراً من آية المفاتيح ، . . نعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس، إلا في كتاب مبين) وهذه الآية العظيمة، وإن كان بعضها فقط سيكون موضوع المحاضرة ، إلا أننا ذكرناها كاملة لنتعرض لمعنى سريع لكلماتها ، قبل أن نأخذ صـــدرها الذى سيكون ينبعنا الدفاق لمحاضرتنا ، إن شاء الله تعالى . .

فعن الآية جملة نبدأ فيها بإيضاح كلمة **(الغيب)** ، فهى بمعناها العام تعطينا معنى ذا قسمين ، غيب يختص بالدنيا ، وغيب يختص بالآخرة ، فغيب الدنيا يمكن أن يظهر منه ما تحيط بصورته حواس الإنسان وغيب الآخرة لا يظهر ولا يحاط منه شيء إلا بعد الموت ، والآية التى قرأناها الآن من النوع الأول ، من غيب الدنيا الذى يجوز أن يظهر ويدرك ، ولمجرد أن نقرأها نجد كل صورها المسماة فيها جُسِّم من نوعه لنا ، وأحاطت به أحاسيسنا ، **(وعنده مفاتيح الغيب)** . فالمفتاح اسم الآلة يغلق به على شيء يحتاج إليه ، والحاجة تقتضى أن يفتح به بين حين وآخر ، وإن كانت المفاتيح في الآية معنوية إلا أنها أعطت معنى الفتح على غيب ليس أبدىّ الإغلاق ، وإنما يفتح سبحانه علينا منه ، وبالقدر الذى يجعله قياما لوجودنا في دنياه ، **(وإن من شيء إلا عندنا خزائنة ، وما ننزله إلا بقدر معلوم) (ولكن ينزل بقدر ما يشاء)** ، فخزائنه غيب ، وما ينزل منه هو الذى يبدو لنا ، هذا هو غيب الدنيا الجائز فيه الظهور ، وبقية الآية دليل على ذلك، **(ويعلم ما في البر والبحر)** ، فقد أطلعنا على بعض ما في البركالزرع مثلا حزْنَاه ، وفي البحر ضمـًّا سمك اصطدناه ، وما تسقط من ورقة وتبدل بأخرى كذلك ، ولا حبة في ظلمات الأرض بعد أن أخفيت ثم بالنبت شقت ، ولا رطب ولا يابس نرى منه فعلا ما نرى ، كل

ذلك في كتاب محفوظ مبين ، فهو سبحانه بعد أن نشر هذه الأمثلة ، لفها بعد ذلك في قوله **(ولا رطب ولا يابس)**،فمن الرطب واليابس تتكون الدنيا ومنهما تفتح علينا مقومات بقائنا،من كل أمر عجيب أبصرناه وما لم نبصره لابد أكثر وأعجب، **(فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون)** ،أما غيب الآخرة فليس منه في دنيانا ما نبصر ، وإنما كله فيما لا نبصر ، والرد على القول في أن بعض الرسل رأى الجنة والنار وهو في الدنيا ، فمع الخلاف في أنهم رأوا ذلك حقيقة أو مناما أو بوصف الوحى ، فإن خصوصيات الرسل على ترجيح الرؤية البصرية ، لا تقوم عليها بالضرورة قاعدة لبقية الناس **(وما منا إلا له مقام معلوم)** ، وأصحاب الآراء الأخرى لهم وجه مقبول فيما قالوا ، عندما ذكروا قول النبي صلى الله عليه سلم عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، .أوضحوا أن كلمات عين وأذن وقلب ، تشمل عين النبي وأذنه وقلبه ، صلى الله عليه وسلم ، خاصة قوله : ولا خطر على قلب بشر ، فهو ضمن البشر ، **(قل إنما أنا بشر مثلكم)** ، فلم يستثن نفسه من كلمات الحديث بشيء ، فيكون ذلك قيل له ليبلغه وما أبصره ، فهذا إيضاح لا تنكر وجاهته ، وسيقال أيضا إن الآيات القرآنية صورت لنا الكثير عن غيب الآخرة ، كاللحم والفاكهة ، والحور العين والمساكن الطيبة ، وأنهار اللبن والخمر بلا غول والعسل المصفى ، والنخل والرمان ، هذا مع الأحاديث التى وصفت قصور الجنة بأنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وأن تراب الجنة مسك إلى غير ذلك ، فأقول إنه الغيب المعلن عن اسمه المعروف ، وليس عن رسمه المجهول ، للترغيب في العمل الصالح المؤدى لنعيم ما بعد الموت ، وليس الغيب الذى إذا ظهر أحاطته الحواس ، على نحو ما أظهره الله في الدنيا ، فهذه الأسماء محبوبة عند الإنسان تذكره بالأطايب التى تهفو إليها نفسه ، حيث ذاق لذتها في الدنيا بحواسه ، أما واقعها في الجنة من حجم وطعم ، ولون ورائحة ومناظر بهيجة ، فغيب غير ما عرف في الدنيا ، لا يدرك إلا عند الولوج من باب الجنة ، فلا ربط بين طيبات الدنيا وطيبات الآخرة إلا بالأسماء ، وأما المسميات فالصورة منقطعة تماما **(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)** والدنيا كلها أرض وسموات ، والتبديل شامل لكليهما في الآية ، حتى الإنسان ، سيتبدل إلى كائن يتحمل هيبة الله عندما يتجلى عليه في الجنة ، وفي الدنيا خرت الجبال دكا لما تجلى عليها ببعض هيبته **(فلما تجلى ربه للجبل جعله دكّاً)** ، وما يقال عن الصلة إسميا وانقطاعها حقيقيا بين طيبي الدنيا والآخرة ، يقال عن سيئهما ، وليس أسوأ من النار فيهما ، لكن نار الدنيا يمكن أن تحرق وأن تنفع ، **(إنا جعلناها تذكرة ومتاعا)** ، تخويفا ونفعا ، ويمكن أن يتفادى شرها إذا اشتعلت بالابتعاد عنها أو بإطفائها ، ولكن نار الآخرة استحال نفعها واستحال إطفاؤها ، فالصورة الحرارية بينهما لا تقدر بفروق ، لهول ما ذكر عنها في الكتاب والسنة من مجرد كلام مرعب لم يلمس في دنيانا واقعه : **(وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر)** ، ونار الدنيا قد تبقى وقد تذر، وإنما الذكر الكلامى عنها لترويع العاصى من نار أظهره الله على شيء منها في الدنيا **(إنا جعلناها تذكرة)** ، ولدىّ تأويل من تفسير العقليين والنقليين على السواء ، فالعقليون يقولون : إنه لو تساوى طيب الدنيا الذى ظهر

لنا بطيِّب الآخرة الذى لم يظهر بعد ، لما اشتدت الرغبة الدافعة إلى عمل ما يدخل الجنة ، ولو تساوت نار الآخرة بنار الدنيا التى يمكن إطفاؤها أو تجنبها ، لما اشتدت الرهبة الدافعة إلى عمل ما يبعد عن النار الأخروية ، لأن الإنسان تواق دائماً إلى معرفة أحسن مما عرف ، وخو اف من الوقوع في أسوأ مما وقع ، والنقليون يقولون : إن الوصف القرآني والنبوى للجنة هو لفتح شهية المؤمن للطاعة فقط ، وإن حقيقة جمال الموصوف غيب لا صلة له بصفته الدنيوية ، لأنه سبحانه بعد أن ذكر هذه الأوصاف المحبوبة لدى عباده قال : **(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)** ، والنفس لا تشتهى ما ملكته أو تعودته من قبل ، والعين لا يلذ لها ما سبق أن رأته ، فلا جديد فيما شبع منه يشتهى أو يلذ ، إذاً فالآية تشوق إلى شيء لم يكن مثله في الدنيا على الإطلاق ، وقوله سبحانه : **(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)** فلا تعلم نفس أيُّ نفس ، فهى نكرة عامة أيضاً ، حيث لم يستثن سبحانه في الآية نفساً واحدة من كل الأنفس التى خلقها ، وتأتي كلمة **(ما أخفى لهم)** ، لتؤكد أن ما سيبهجهم وتقربه أعينهم ، لابد أن يكون مفاجأة مفرحة أُحكم إخفاؤها ، وإلا لو استثنينا أنفساً علمت ، أو إخفاء ليس كليا ، لخولفت الآية لفظاً ومعنى **(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم)** ، وتبعا لعلم البعض وعدم إحكام الإخفاء تكون قد انتفت المسرة ولن تقر الأعين ، ثم ينتقل النقليون إلى الكلام عن عقاب الآخرة ، فيقرؤون علينا أربع آيات ، ثم يعلقون عليها تعليق أولى العلم ، والآيات هى :

(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ، فلن يقبل من أحدهم مِلْءُ الأرض ذهبا ولو افتدى به) . . (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ، ما تقبل منهم) . . (للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به) . . (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) .

فعن الآية الأولى سألوا ، أى بلاء في الدنيا توضع له دية تقدر بذهب يملأ الأرض ؟ إن القتل وهو قمة البلاء في دنيانا ــ فقاتل النفس كأنما قتل الناس جميعا ــ ديته مائة جمل ، أو عدة آلاف من العملات ، مهما كثر عددها فقدرها بضع أواق من الذهب ، فكيف بملء الأرض ذهبا ؟ لابد أن الداهية في الآخرة فوق التصور ، والآيات الثلاث التاليات معناها واحد كرِّر لنظل معه في عجب لا ينتهى ، لأنها لم تتكلم عن ملء الأرض ذهباً فقط ، بل ما في الأرض جميعاً ، كل ما خلق فيها ، من إنس وجن وكنوز وحيوان ونبات وجماد ، بل ومثل ذلك ، والمثلية هنا ليست مثلية الضعف ، وإنما المثلية المتكررة مهما بلغت ، فما دام لم يقبل الأصل ، فلا يقبل المثل ، وإن تضاعف ، لغنى الله عن كل ذلك ، **(لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة)** ، رسوء العذاب تعبير مفزع ، أخفى كيفه ووضح فزعه ، من ضخامة الغداء المقدر بمقادير الأرض وأمثالها ، ومن الآن رفض ، ونهاية هذه الآية هو الفصل لما فصلناه ، عندما

ختمها سبحانه بقوله : (**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**) ، عذاب لم يدخل أبداً في حسابهم إلى أن بدا لهم ، فالحصيلة العلمية لهذه المقدمة عن توضيح كلمة الغيب ، أن غيب الله في دنياه يجوز أن يظهر وفيما يظهر كفاية لمن يزجر ، وغيب الآخرة كله مخبأ ، يفاجأ به الناجى مجبورا ، ويفاجأ به الغاوى محسورا (**أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين**) .

نعود إلى آية المفاتيح ، لنأخذ منها صدرها ننير بها صدورنا ، (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو**) هذه العبارة الكريمة هى الفرا الذى فيه صيد المحاضرة ، والذى نزلت عليه هذه العبارة — صلى الله عليه وسلم — هو الذى فسرها بنفسه ، في حديثه الصحيح المشهور ، لما فسرها بآية أخرى بقوله : (مفاتح الغيب خمسة ، وقرأ : (**إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت**) ، وقبل أن نتحدث عن كل مفتاح منها منفرداً ، نتعرض لأمر سردها في الآية ، هل هو مجرد حصر للخمسة المطلوبة ، ليُعرف عددها ويعلم أمرها ؟ ، أم أنها وضعت في أمكنتها بالترتيب الذى لابد أن توضع فيه ؟ والأخيرة بالإعجاز البياني للقرآن أولى وأليق ، فالساعة أولى الخمسة لأنها متصلة بالآية التى قبلها في قوله تعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا**)

وهذا اليوم الذى يجب أن تخشوه ، هو يوم الساعة ، فكانت بعد الآية السابقة لتكون أول الآية اللاحقة في أفضلية الترتيب على الخمسة ، وحيث هى أرفعها ، فما وجدت الأربعة التالية إلا من أجل الساعة (**وأن مردنا إلى الله**) ، ولهذا أكدت وحدها من دون الخمسة تعظيماً لأمرها (**إن الله عنده علم الساعة**) ، والأربعة التى بعدها ترتيبها زمنى ، فضرورى أن تسبقها التى قبلها لتأتي التى بعدها ، فلابد من الماء أوّلاً لتكون الحياة ، فإذا ما أنتجت الأرحام يمكن أن يحيا نتاجها ، حيث أعد لها الماء والغذاء (**فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا**) ، فالصب أولاً لتشق الأرض ، فيعد منها الطعام لمن يأتي من الأرحام ، ومن هنا كان ترتيب الأرحام بعد الماء ، وبعد ذلك يأتي الغد ليعرف به اليوم ، فجاء الغد في ترتيبه ، فإذا لم يأت الغد لمجيء الموت ، توقف اليوم وانتهت الحياة ، فكان الموت في آخر الخمسة ، فلنبدأ بأولاها وهى الساعة ، وما أظن إلا اعتراضا جال بصدر أحدكم ، خاصة إذا كان متتبعا لحديثى هذا ، فسيقول على الفور : كيف تدخل الآن الساعة ضمن المفاتيح التى قلت إنه يمكن أن يفتح علينا منها في الدنيا ، والساعة من غيب الآخرة ، وغيب الآخرة لا يعلم إلا بعد الموت كما ذكرت ؟

فأقول إنه الخطأ الشائع الذى أرجو أن أصححه الآن ، فالساعة من الدنيا وليست من الآخرة ، وسأثبت أنها كذلك ، فسبب الالتباس الذى شاع بين الناس ، هو أنهم خلطوا بين الساعة والقيامة ، وجعلوها شيئاً واحدا ، ولكن الفرق بعيد ، فالساعة ستأتي بغتة حقاً ، ولكن لتنتهى بها الدنيا ، أما القيامة فمن الآخرة ، ولهذا جعل الله نفختين ، الأولى للساعة ، والثانية للقيامة ، وبينهما فاصل ليس فيه خلاف ، (ونفخ في

الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) فالتراخي هنا بـ (ثم) قدر عند المفسرين بسنوات ، بلغ عند بعضهم أربعين سنة ، ومن هنا سميت الثانية قيامة ، قيامة الموتي من قبورهم ينظرون ما يؤول إليه أمرهم ، أما اقتران كلمة تقوم بالساعة في القرآن على نحو قوله تعالى :(**ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون**) ، أى يوم تقع ويتم أمرها ، يدرك المبطلون أنهم خسروا لما كذبوا بها ، وليس معنى تقوم هنا من القيامة ، لأن الساعة ليست كائنا مات ليقوم ، وإنما القيامة بعث من الموت لكائن كان حيا فيه روح عادت إليه (**فإذا هم قيام ينظرون**) وكقوله سبحانه : (**وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور**) ، فالآية جعلت الساعة أوّلاً للإفناء ، والبعث من القبور ثانيا للإحياء ، فلم يشملا في عمل واحد ، وقوله : (**ثم يحكم بينكم يوم القيامة**) ، ولم يقل يوم الساعة ، لأن الساعة لإنهاء الدنيا ، والحكم لا يكون إلا بعد الإحياء والمثول ، ولأن الساعة أيضاً من المفاتيح الدنيوية ، وليست هى القيامة الأخروية ، فإنها لن تقع حتى تظهر في الدنيا كل أشراطها ، الصغرى والكبرى منها على السواء، بل وظهر لنا منها الآن فعلا كثير من علاماتها الصغرى التى وردت في الآحاديث الصحيحة ، مثل تبرج النساء عاريات كاسيات ، وتطاول رعاء الشاء في البنيان ، وكثرة الزلازل ، ورفع الأمانة ، وظهور الفتن ، وغيرها ، وأشراطها جزء منها ، فالقاعدة أن ما يدل على الشيء داخل فيه ، فإرهاصات الأنبياء جزء من نبوتهم ، ورؤياهم المنامية نوع من الوحى ، بل عند المباغتة بالساعة سيكون لها أمر دنيوى هائل يراه الناس ، (**يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها**) ، وليس في الآخرة مرضعة ترضع ولا حامل تضع ، إذاً فلا يجوز الجمع بين الساعة والقيامة في معنى واحد ، حيث لا يجتمعان معاً في الدنيا ولا في الآخرة ، وبذلك أحطنا بأمر علمى آخر .

بقيت الساعة ومن يؤمنون بها ، حيث لا تتناول المحاضرة موضوع المكذبين بها ، فسيكفيكهم الله ، ولأنه لا يستقيم تعمير بيت الغير ، وسقف بيتى يخر على رأسى ، فالمؤمنون بالساعة يعلمون أنها الراجفة ، التى ترجف الأرض والجبال ، قبل أن تتبعها الرادفة وهى القيامة كما قلنا ، فرجفة الساعة ستجعل أعز ما في الدنيا يذهل عنه (**تذهل كل مرضعة عما أرضعت**) ، تنكره فلا تعرفه ولم يعد ولدها الحبيب ، وقمة حب الأم لولدها وهو رضيع ، لكن وقتها نزعت ثديها من فمه وهى ترضعه ، فلم تدعه يتم وضعته ، وهل يكون الأمر غير ذلك ؟ وقد رأت الأرض أخرجت أثقالها لما زلزلت زلزالها ، إننا نسمع الآن كل يوم عن زلزال لم يمكث غير ثوان خرب آلاف المباني وشرد ملايين الناس ، ولا عظة لما في القلوب من غلظة ، وهل يكون غير أن تذهل عن رضيعها وقد رأت نفسها مع الأرض رجت رجاً ، ورأت الجبال الشوامخ هباء منبثا ، وهل يكون غير ذلك ، وقد رأت البحار فجرت فاختلط حلوها بملحها ، ثم رأت هذه البحار قد سجرت فصارت كلها نارا ، وعهدها بالماء يطفيء النار ، فمن الذى حول الماء إلى نار ، ؟ وغير ذلك من هول يأتي بخبل لها وللسكارى ، وما هى وهم بسكارى ولكن أمر الساعة

مفزع رهيب ، ونحن المصدقين بها نوعان ، نوع يعيش في هم هذا الذى سمعه عنها الآن ، فشد وجدانه ببشاعة الساعة لا ينفك ، فأخضع كل جارحة يُخدّمها لهذا اليوم ، فيُكفى بذلك يوما هو أشد من يوم الساعة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين قائلين : « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » ؟ فكان أن وقوا شر ذلك اليوم ، ودخلوها آمنين ، والنوع الثاني من المصدقين ، أو القائلين بأنهم مصدقون بيوم الساعة ، وما انشغلوا إلا بيومهم ، وبالساعة التى هم فيها ، وبالساعة الذهبية تلتف حول المعصم بالسوار الذهبي ، يعرفون بها أوقات الحفلات ، ومواعيد عرض الأفلام في (السينما) وفي (التلفزيون) ، وأوقات مباريات الكرة والخروج إلى النزهات ، ولو في أوقات الصلوات وأيام الجُمع ، ويعرفون بها أوقات أخرى يتفق عليها ، وذلك لأنهم لايعرفون مواعيد الصلاة ولا متى الجمعة ، لما ألهتهم ساعة لهوهم عن الساعة التى تذهل المرضعة ، وتذهب الفكر بغير سكر ، بل لقد أفاقوا من غفلتهم لما سمعوا جولة من جولات التهجم المستمر على عقائدنا ، فقد صدقوا المرْجفين لما قالوا : إن عالمة غربية تشتغل بالبحث الكوني ، استطاعت (بالعلم الحديث) أن تحدد وقوع الساعة باليوم والدقيقة ، حدث ذلك منذ قريب وبعضكم يذكره معى ، لما تبرعت بإذاعة هذا الفحش إذاعة وصحافة أمتنا الإسلامية ، متجاهلة بذلك قول الله تعالى : **(يوم تأتيكم الساعة بغتة وأنتم لا تشعرون)** وأعمى الناشرون شهوة الإثارة عن تسفيه الخبر ، أو حتى التغاضى عن النشر ، ثم كان شيئاً مضحكاً وشر البلاء ما يضحك كما يقولون، عندما أفاق أهل ساعة الدنيا على خبر الساعة الإفك، أخذوا يودعون بعضهم بالتقبيل والعناق والبكاء ، كما ذكرت بعد ذلك الأنباء ، بل حدث هذا هنا في المدينة المنورة ، وإن كان على قليل لكن ما كان يجوز ذلك أبدا في بلد خير الموحدين — صلى الله عليه وسلم — وعلى أى حال فالجهل موجود في كل آن ومكان ، وإن تفاوتت النسب ، وما سكتنا يومها بما استطعنا ، وانتظرت حتى يوم الأحد المحدد من الباحثة الكونية ، وكان تحديد قيام ساعتها بعد العصر بتوقيت المدينة ، وتمهلت حتى انتهت صلاة العشاء فقد يكون حدث خلل تسبب في تأخير وصول الساعة ، وقلت كلمة غاضبة في الحرم تحدثت فيها عن إعلامنا العربي والإسلامى ، الذى روج لهذا الخبر الكفرى ، وعن الذين صدقوه حتى ودعوا بعضهم وتواعدوا باللقاء في الدار الآخرة بعد عصر يوم الأحد ، والذى أختارته الباحثة الكونية ، لتعطيل الدنيا معها ، ولكنى أذكر آسفاً أن الذين غضبوا أو تكلموا معى كانوا قليلين جداً ، ولِمَ لا نغضب لديننا ؟ .

وكأن الذين أذاعوا الخبر منا أو صدقوه قد انضموا إلى الذين يحادون الله في مفاتح غيبه باسم (العلم الحديث) ، فقط ليغيظونا ، لأنهم موقنون في أنفسهم من كذب أنفسهم ، **(قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو)** ، وسيد المنَبّئين صلوات الله عليه لما سئل عنها كان جوابه بما تحفظون جميعاً **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)** ، ولكن الباحثة الكونية — سجاح الجديدة — علمتها ، وفينا من نشر لها كفرها ومن صدقها ، **(ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)** ، صدق القائل صلوات الله عليه ، فليحادوا بما شاؤوا ، وليصدقهم من يصدقهم ، وجوابنا عليهم قول ربنا : **(إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا ، كما كبت الذين من قبلهم)** وقوله : **(إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين)** .

الثاني من الخمسة مفتاح الغيث (**وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب وزرع ، ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) ، ولولا أني أخشى الطول وأفتح الباب للماول ، لأسهبنا في الحديث عن هذه اللؤلؤة القرآنية ، ونكتفي بأن نقول : إنه إذا ذكر أمرٌ ما في آية من القرآن لابد أن يشير ختامها إلى ماذكر فيها ، فالآية في النهاية حكمت العقل البحت فيما قدمته من عجائب ، يستحيل أن يجهل أو ينكر من مسلم أو أو كافر ، فكيف يُجهل أو يُنكر خالقها ؟ فالماء واحد والكل يراه ويشربه ، ينزل على قطع من الأرض متلاصقات ، لكن هنا عنب ، وهنا زرع فيه حب ، وهنا نخل صِنْوٌ بجذر واحد وجذع واحـــد ، وغير صنو بجذر واحد وجذوع مختلفة ، لكنها جميعها تفاضلت حجماً ولوناً وطعماً ورائحة ، والماء واحد ، أفلا يدل ذلك بالعقل الصرف على إله واحد ؟ ثم تفيد الآية بأن ما ذكر فيها — وهو لا يزيد عن السطرين — لآيات وليست آية واحدة ، لكن لمن هذه الآيات تقدم وتفهم ؟ . تجيب الآية (**لقوم يعقلون**) ، أما غير العقلاء فالآية أجل وأكرم من أن تقدم إليهم عجائبها ، فلما لم يعقل الناس،حاق بهم ما جعلهم يصرخون الآن في أنحاء الأرض من الغلاء وتضخم الأسعار ، بسبب نقص المواد الغذائية لقلة الحاصلات الزراعية ، (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) فبركات السماء الماء ، وبركات الأرض النماء ، ولا دنيا بغيرهما ، وظننا اليوم أنه سبحانه أخذ العباد أيضاً بما كسبوا ، فمنع الماء عن قوم ، وأغرق به آخرين ، لما سلطه فيضاناً ماحقاً ، ليتحول مصدر الحياة إلى مُعدمها بما نسمع كل يوم في بلاد إسلامية وغير إسلامية .

وماذا عن الخصوم الذين يحادون هذا المفتاح من الغيب باسم (العلم الحديث) لقد أذاعوا بأنهم استطاعوا أن يصنعوا المطر ، ويوجدوه وينزلوه إذا شاؤوا ، ويجمدوه ويمنعوه إذا شاؤوا ، واشترك إعلامنا العزيز أيضاً كنعيق الغربان يحكي أضاليل أعداء الإسلام ، من أن العلم الحديث في أوربا استطاع التحكم في المطر ، وصرنا نقرأ — ولمدة طويلة — العناوين الضخمة في صحافتنا ، ونسمع أصوات الببغاوات المرددة في اذاعتنا ، عن المطر الصناعي الذي أصبح لا يخشى معه على العالم من قلة الماء ، وندر من تصدى للرد على هذا التجرُّء الوقح على ما انفرد به الله وحده ، ونحن الموقنين رحنا في ثقة نسخر من عقل المتخرصين سائلين ؟ لماذا إذاً لجأتم إلى بحار الله الملحة ، متحايلين بكل وسيلة لتأخذوا عذبها وتدعوا ملحها ؟ فأين مطركم الصناعي الذي يوفر عليكم هذا العناء البالغ لفصل الملح عن العذب ، أو تسلطوا مدافعكم على سحاب الله لتسقطوه ، فلا للمطر صنعتم ، ولاللسحاب أسقطتم ، كنا في العام قبل الفائت في أوربا بتكليف من الجامعة ، وأثناء وجودنا في قرنسا قائدة أوربا الوسطى والغربية في (التكنولوجيا) ، العلم الحديث » وفي مقدمة الدول التي قيل عنها أنها أو جدت المطر الصناعي ، فلم نجد في طول وعرض المناطق التي تنقلنا فيها إلا قصة جفاف الريف الفرنسي ، لعدم نزول الأمطار سنتئذ ، فقلت : وأين نهر السين وروافده ؟

بقيت مفاتيح ثلاثة **(ويعلم ما في الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت)** ، والحديث عنها كما تعلمون يطول ، فالمحاضرات ليست بحوثاً،وإنما شأنها الكلمات المعدودة والأوقات المحدودة ، ولهذا سنقتصر دون أن نقصر في المعنى إن شاء الله ، لقد قالوا : إن (العلم الحديث) استطاع أن يخبر عما في الأرحام ، وأنه أصبح يمكن معرفة الجنين وهو في بطن أمه إن كان ذكرا أو أنثى قبل ولادته ، وأنتم تقولون إن الله وحده هو الذي يعلم ما في الأرحام ، قلنا : أولا لسنا مسئولين عن جهلكم الفاضح لمعنى هذه الجملة المعظمة **(ويعلم ما في الأرحام)** وقبل أن نوضحها لكم نقول : إن علمكم الحديث هذا الذي علمتم به نوع الجنين وهو في بطن أمه ، جاء متأخراً جداً بقرون عديدة ما الله بها عليم ، عندما وُجدت أول امرأة ولود منذ وضعن أولات الأحمال إلى اليوم ، فتستطيع الكثيرات خصوصاً الذكيات منهن ، بعد أن سبق لها الإنجاب من النوعين أن تعين ما في بطنها بعلامات خاصة تحدث لها ، وبعضهن تحدين الأطباء في هذا ، هم يؤكدون مثلا أن الجنين ذكر ، وهي تعكس بإصرار ، وعندما يفصل عنها جنينها يكون القول ماقالت حزام ، وينقلب (العلم الحديث) خاسئاً حسيراً ، فالأم علمته قبلكم قديماً ، وعلمتموه أنتم متأخرين ، وهو الفتح من أصل الغيب الذي بيده وحده سبحانه مفتاحه ، والأصل قوله **(ويعلم مافي الأرحام)** وتعالَوْا نوضح : فالعلم بما في الرحم ، هو عندما توضع فيه فطرة النطفة ، هل ستتحول إلى ذكر يتبعها ذكور دائماً ، أم أنثى تتبعها إناث دائماً ، أم يخلق منها ذكراً حيناً وأنثى حياً ، أم تموت النطفة بالعقم فلا ذكر ولا أنثى ، والعقم مؤقت أم دائم ؟ كل هذا هو العلم بحال الرحم ، وهو المعنى المقصود بقوله تعالى — وهو أعلم — **(ويعلم ما في الأرحام)** والذي بيده وحده مفتاحه دون سواه **(يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيما)** فأصل الهبة في الآية حين وضع النطفة ، وهذا هو الغيب الذي سُطِّر ولم يعلم به ولم يستطعه غيره ، إلى أن يفتح منه سبحانه بما ذكرت الآية وأوضحناه ، وعندئذ يعرف نوع الهبة أو الحرمان منها كلية **(الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار)** ، ولديَّ أمثلة ، منها زوجان أوتيا الكثير من متاع الدنيا ، وعملا آخر الطاقة لينجبا وارثاً لهذا المتاع الوفير ، قيل لهما آخر الأمر إن في (الدانمرك) بأوربا أشهر طبيب تناسلي في العالم ، فذهبا إليه ، فقال لهما بعد فحصهما : ليس عندكما مانع من الإنجاب ، ولا أدري لماذا لم تنجبا ، وعادا كما ذهبا ، وعكسهما قيل لهما لن تنجبا البتة ، وبعد قليل بدأ الإنجاب بمعدل اثنين في كل دفعة ، وأمرأة شبعت أولاداً،ولم تجد الحبوب ولا غيرها لإيقاف السيل المتدفق،والكلام عن الحبوب فيه عيوب،وليس هذا مكانه ، فأجرى لها الطبيب بموافقتها عملية استئصال كلي للرحم ، ولم يكد الرحم يلتئم حتى التأم على حمل جديد ، ومنهذه الأمثلة العديد ، فسبحان من لا تقاوم قدرته ، وآخر ما تحدى به (العلم الحديث) مولود الأنابيب ، ولا ننسى أن نثني على إعلامنا العظيم أيضاً ، فقد اشتغل هذا الإعلام العربي والإسلامي طويلا بمولود الأنابيب ، وقدم الإعلام هذا (العلم الحديث) بشهوة ما يسمى عندهم بالسبق

الصحفي والإذاعي ، ولو خُرِّب به العلم الإسلامي،ولقد تتبعته كبقية المتتبعين ، فوجدته جعجعة رحى بغير طحين ، فهما زوجان لم ينجبا ، فأخذ الطبيب نطفةً ما ، حيث لم ينف العقم عن الزوج ، ولو كانت الزوجة هي العقيم لما قبل الرحم العلقة وتربي الجنين فيه ، لأنه — مع الأسف — بعد أن ذكرت القصة ما يثبت عقم الزوج وجهل النطفة ، صدرت فتاوي بشرعية ابن الأنابيب سليل الألاعيب ، نعود فنقول لقد وضعت النطفة في الأنبوبة مصحوبة بنطفة المرأة التي يسمونها (البويضة) ، وكما يحدث بينهما من التلاحم داخل الرحم حدث داخل الأنبوبة ، وتم التطور الخلقي بما ذكر الله تعالى ، نطفة فعلقه ، ونقلت من الأنبوبة إلى الرحم ، فما هو الجديد في هذا ؟ وما هي معجزة العلم الحديث يا أهل العقول ؟ ثم لماذا لم يتركوا العلقة في الأنبوبة حتى تتم أشهر الحمل وتلد الأنبوبة ابنها ؟ لقد أسرعوا بها إلى الرحم وهو المكان الذي خلقه الله ، ليقينهم بأنه لن يتربى أبداً في مكان سواه ، فما هو الجديد في هذا ؟ وما هي معجزة العلم الحديث التي أطلقت به الصحافة والإذاعة طبلها المزعج الكريه ،؟ وتم الحمل تسعة أشهر كما هو معتاد غالباً ، وولدت المرأة طفلتها وما ولدتها الأنبوبة ، وأرضعتها من ثديها حيث لا ثدي للأنبوبة ، فما هو الجديد في هذا ؟ وما هي معجزة العلم الحديث يا أبناء آدم ؟ وختمت القصة المضحكة ، بأن المرأة حزنت لما ولدت أنثى ، فقد أكد لها الطبيب الأريب ، بأنه استعمل العلم الحديث ليجعله ذكراً ، وعاشت الشهور الطوال مدة الحمل موقنة بذلك ، فلما وضعتها قالت للطبيب متحسرة ، إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، فأجابها الطبيب بأنه سيحاول في المرة المقبلة ، ليظل يبتز المال الحرام من المتلهفين على فتنة الدنيا ،**(يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور)** ، فهو الغالب على أمره ، وهو القاهر فوق عباده ، تلك قصة الأنبوبة التي تحولت إلى أكذوبة ولا حقيقة فيها إلا مادة المنيّ ، لعلمهم أنه لا خلق بدونها لكل بشري ، وقد قالها الخالق متحدياً بها **(أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟)**

أما عن المفتاحين الأخيرين **(وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت)** فلا زال العلم الحديث يدور حولهما راهباً متهيباً ، لا يجد مدعوه تجاههما فرية جديدة يحادون بها ، فقد أدركوا جيداً أن الناس مع الدنيا الحلوة الخضرة، يهيمون في حاضرها، ويرسمون لمستقبلها، وإذا بالرسم لا يتم ، فالكل يقول : سنفعل وسيكون ، والخطة الخمسية والسداسية سيقام فيها كذا وكيت ، وقد خلا كل ذلك من كلمة (إن شاء الله)، فاذا بالذي كان ، هو ماشاء الله أن يكون ، ووجدوا ما رسموه سراباً بقيعة ، وعن المفتاح الأخير (وما تدري نفس بأي أرض تموت) ، وجد العلم الحديث نفسه أمام الموت يتحدى بآية جدعت أنوف الجبارين ، وألصقت خدودهم الرغام **(قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)** ، إن كنتم صادقين في أن الله لم ينفرد وحده بمفاتح غيبه ، ولقد بذلوا المكيال من المال ، ليس ليدرؤوه وإنما فقط ليؤخروه ، خاصة إذا حضر الموت رؤساءهم كي ينالوا الحظوة لديهم ، فما وجدوا إلا هذا القول الأعز : (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) ، فمن سواه يؤخره ؟ ، وفي أي مكان من بلاده ينهي أجل عباده ، فهؤلاء غاصوا مع السفينة في الماء ، وهؤلاء انفجرت بهم

الطائرة في الهواء ، وألوف المقاتلين حصدوا في الميدان ، وهذا سافر ولم يعد ، وهذا مزقته في الط يق سيارة سائق مجنون ، (وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير) .

ثم ماذا بعد هذا ؟ ثم هذه هي مفاتيح الغيب الخمسة ، نحن الذين نتحداهم بها ، وليسوا هم الذين يحادوننا ، وسيرون من يكسب التحدي ، من الآن وإلى أن تأتي أولى الخمسة ، وهي الساعة ، بعدها يقولون : (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) ، أما حملة الإيمان من الآن فقد استفادوا بخمسة ربهم ، بما فتح ويفتح عليهم منها في الدنيا ، وفي الآخرة بما أخفى لهم من قرة أعين ، كان لي ولكم من الله ذلك ، والرجاء عظيم في السخيِّ الكريم .

أما عن الأبيات ، فلكل مفتاح من الخمسة أربعة ، فالمجموع عشرون بيتاً ، وكل أربعة مستقلة الرَّوِيّ والقافية ، وعناوينها تصرفية .

(ساعتي والساعة)

يا ساعة في الجيب أو بالمعصـــم	ســيرى بغير تأخــر وتقــدم
لتذكريني بالصـــلاة لوقتهـــا	أو بالسحور لألحقــن بالصُّــوَّم
يا ســاعتى هوَّنت يوم الســاعــة	زودتـــنى نورا ليــوم مظـــلم
أمـــا الذى ألهته ســاعة زهــوه	عن ســاعة قــربت فليس بمسلم

(المطر الصناعي)

قــالوا صنعنا القطر إذ منع المطـــر	قــلنا تعــودنا ســفالة من كفــر
جفت زراعـــتكم ولم نر قطركم	ماء السماء لواحـــد ملك القـــدر
لم تقصـــدوا إلا العـــداء لـــديننا	خابت مقاصـــدكم ويومكم عِسر
فلتشربوا كالهيم (١) مــاء حميمها	بئس الشراب لكـــل كـــذاب أشر

(حمل الأنابيب)

أنبوبة حملت ، نصـــدق قولهم	وغـــداً تحيض ، فلا نكذب فنهم
فصـــحافة وإذاعة قد أكـــــدت	حمْل الجمـــاد فلا نظن جنونَهم
فــإذا عقمت تزوجنْ أنبـــوبة	تـــلد البنات كـــذا البنين جميعهم
يا واحـــدا فطر الخـــليقة كلهـــا	نبحت كلاب الكفر ، فامحق جمعهم

---

(١) نوع من الإبل لايشبع مهما شرب .

(ماذا تكون غداً ؟)

سأكون في الدنيا عظيماً أرتجي — والناس تقصدني ضحى أو في الدجى

وأشيدن عمائراً فكراؤها — يجبى إليّ المال بحرا مائجا

وسأملكن من الحدائق فرسخا — ومن النساء رباع ، ذاك المرتجى

فإذا به والموت يقطع حلقه — فقدَ الرجاء فساء عقلا أعوجا

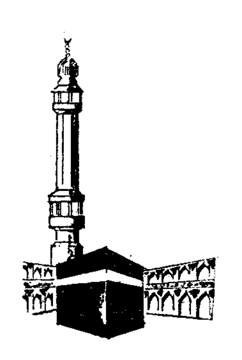
(أتدرى مكان موتك ؟)

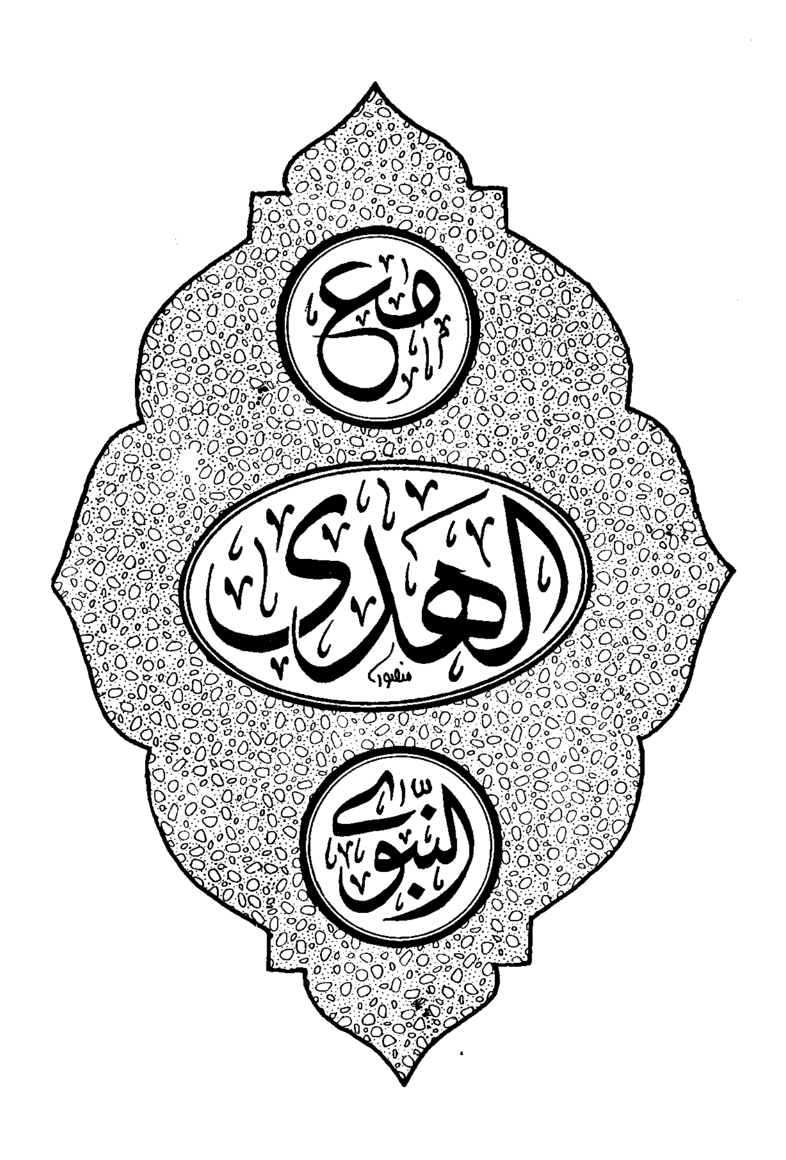
قُتِلَ الألوف لدى أحتدام قتال — وقبورهم بجبال أو برمال

ركبوا البحار فكان فيها قبرهم — ركبوا الهواء ، فكان في الأدغال

وحجيج بيت الله منهم لم يعد — قُبروا هنا بعد انتها الآجال

لِمَ لمْ يمت كلٌ بأرض بلاده — عزَّ الإله وذلّ كل ضلال




مع
الهدى
النبوي

تدوين السنة ومنزلتها

لفضيلة الدكتور
عبد المنعم نجم
الأستاذ المساعد بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية

نريد بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموع ماصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، ولاشك أن رسول الله مبلغ عن الله « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » (١) . ومبين عن الله مراده « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون »(٢) فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ما أراد القرآن أحياناً ؛ بالقول وحده ، وأحياناً بالفعل وحده وأحياناً بهما معاً ، كما صلى وقال « صلوا كما رأيتموني أصلي » وحج وقال « خذوا عني مناسككم » فهي إذا شارحة للقرآن تبين مجمله وتقيد مطلقه ، وتؤول مشكله ، فليس في السنة شيء إلا والقرآن دلّ على معناه دلالة إجمالية ، أو تفصيلية وتلك الدلالة من وجوه .

منها ما هو عام جداً ، وهو ما ورد في القرآن من إيجاب اتباع الرس ل صلى الله عليه وسلم ، نحو قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » (٣) ، وقوله « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٤) إلى غير ذلك من الآيات ومنها الوجه المشهور عند العلماء كالآحاديث في بيان ما أجمل ذكره من الأحكام ، إما بحسب كيفيات العمل أو أسبابه أو شروطه أو مواقعه أو لواحقه ، أو ما أشبه ذلك ، كبيانها للصلاة والزكاة وغير ذلك مما وقع في السنة بيانا للقرآن .

السنة من الوحي :

السنة النبوية بالمعنى المتقدم ما أضيف للنبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والتقريرات ، هي أحد قسمي الوحي الإلهي الذي نزل به جبريل الأمين على النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) أنظر كشف الظنون في أسامي العلوم والفنون .
(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة .
(٣) آية ٧ من سورة الحشر .
(٤) الآية ٦٥ من سورة النساء .

والقسم الثاني من الوحي هو القرآن الكريم ، فالسنة النبوية من الوحي ، بذلك نطق الكتاب العزيز « وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحي » (١) . وبذلك جاءت السنة نفسها فقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه ، عن المقدام بن معديكرب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته ، يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحلّ لكم لحم الحمار الأهليّ ، ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » (٢) .

يقول المنذري في مختصر السنن : وأخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

يقول الإمام الخطابي في معالم السنن : قوله : « أوتيت الكتاب ومثله معه » يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما : أن يكون معناه : أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الوحي الظاهر المتلو .

ويحتمل أن يكون معناه : أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى ، وأوتي من البيان : أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ويعم ويخصّ ، وأن يزيد عليه فيشرح ماليس له في الكتاب ذكر ، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به : كالظاهر المتلو من القرآن . وقوله : « يوشك شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن « فانه يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له في القرآن ذكر ، على ماذهبت إليه الخوارج والروافض ، فانهم تعلقوا بظاهر القرآن ، وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلّوا .

« والأريكة » السرير ، ويقال : أنه لا يسمى أريكة حتى يكون في حجلة(٣) وإنما أراد بهذه الصفة : أصحاب الترفه والدّعة الذين لزموا البيوت ،ولم يطلبوا العلم ولم يغدوا ولم يروحوا في طلبه في مظانّه واقتباسه من أهله .

ثم يقول الخطابي : وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجة بنفسه .

عرض الحديث على القرآن :

وأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله فان وافقه فخذوه وان

(١) الآية ١٠ من سورة النجم ، وانظر الحديث والمحدثين للشيخ أبي زهو .

(٢) أنظر سنن أبي داود جـ ٢ ص ٥٠٥ كتاب السنة باب في لزوم السنة ط ١ .

(٣) الحجلة بفتحتين واحدة حجال العروس وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور ١ هـ . مختار الصحاح ص ١٢٤ ط ٧ .

خالفه فدعوه فانه حديث باطل لا أصل له ، وقد حكى زكريا بن يحي الساجي عن يحيي بن معين أنه قال : هذا حديث وضعته الزنادقة .

ويقول الخطابي : وقد روى هذا من حديث الشاميين ، عن يزيد بن ربيعة عن أبي الأشعث عن ثوبان .

ويزيد بن ربيعة — هذا مجهول — ولا يعرف له سماع من أبي الأشعث ويزيد بن ربيعة هذا مجهول ولايعرف له سماع من أبي الأشعث وأبو الأشعث لا يروي عن ثوبان وإنما يروي عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان ١ هـ (١) .

وعلى هذا فالسنة صنو الكتاب العزيز ، والذي جاءنا بالقرآن هو الذي نطق بالسنة فلا يستغنى بأحدهما عن الآخر ، وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

قال المنذري : وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن وذكر أن بعضهم رواه مرسلا (٢) .

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك بأحدكم يقول : هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرّمناه ، إلا من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدّثه (٣) .

شرف علم الحديث :

لا يختلف إثنان في أن علم الحديث أشرف علم بعد كتاب الله، كيف لا وهو المرتبة الثانية بعد القرآن، والمصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، نطق به الذي جاءنا بالقرآن من عند الله ، المعطي جوامع الكلم المفوّض إليه من الله أمر التبيين والتفصيل ، روى أبو داود بسنده عن العرياض بن سارية . . فقال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وأن عبد حبشيّ فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإيّاكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٤) .

قال الإمام الخطابي : والنواجذ آخر الأضراس واحداها : ناجذ ، وإنما أراد بذلك الجد في لزوم السنة ، فعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعض عليه منعاً له أن ينتزع وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء إذا كان ما يمسكه بمقاديم فمه أقرب تناولا وأسهل انتزاعاً . وفي قوله : « عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين ، دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه فيه غيره من الصحابة ، كان المصير إلى قول الخليفة أولى (٥) .

---

(١) أنظر مختصر وشرح سنن بي داود جـ٧ ص ٧ حديث ٤٤٣٦ .
(٢) انظر مختصر سنن أ ق داود للمنذرى جـ٧ ص ١٠ حديث ٤٤٤١ .
(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبد البر النورى القرطبي المتوفي ٤٦٣ هـ .
(٤) انظر سنن أبي داود جـ ٢ كتاب السنة باب في لزوم السنة ص ٥٠٦ ط ١ ق .
(٤) انظر مختصر المنذرى جـ ٧ ص ١٢ حديث ٤٤٤٣ .

يقول الإمام النووي : أن من أهم العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات أعني معرفة متونها ، صحيحها وحسنها وضعيفها وبقية أنواعها المعروفات ، ودليل ذلك أن شرعنا مبني على الكتاب العزيز والسنن المرويات ، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات ، فإن أكثر الآيات الفرعيات مجملات وبيانها في السنن المحكمات ، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالماً بالأحاديث الحكميات ، فثبت بما ذكرناه : أن الاشتغال بالحديث من أجل العلوم الراجحات وأفضل أنواع الخير واكد القربات ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو مشتمل على بيان أفضل المخاوقات . عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والبركات الخ (١) .

ويقول العلامة الشهاب أحمد المنبّي الدمشقي الحنفي « إن علم الحديث علم رفيع القدر عظيم الفخر ، شريف الذكر ، لا يعني به إلا كل حبر ، ولا يحرمه إلا كل غمر ، لا تفنى محاسنه على ممر الدهر ، لم يزل في القديم والحديث يسمو عزة وجلالة ، وكم عزّ به من كشف الله له مخبآت أسراره وجلاله ، إذ به يعرف المراد عن كلام رب العالمين ، ويظهر المقصود من حبله المتصل المتين ومنه يدري شمائل من سما ذاتاً ووصفاً واسماً ، ووقف على أسرار بلاغة من شرف الخلائق عرباً وعجماً .

وناهيك بعلم من المصطفى صلى الله عليه وسلم بدايته وإليه مستنده وغايته ، وحسب الراوي للحديث مشرفاً وفضلا وجلالة ونبلا ، أن يكون أول سلسلة آخرها الرسول ، وإلى حضرته الشريفة بها الانتهاء والوصول .

وطالما كان السلف يقاسون في تحمله شدائد الأسفار ، ليأخذوه عن أهله بالمشافهة . ولا يقنعون بالنقل من الأسفار ، فربما ارتكبوا غارب الاغتراب بالارتحال إلى البلدان الشاسعة لأخذ حديث عن إمام انحصرت روايته فيه ، أو لبيان وضع حديث تتبعوا سنده حتى انتهى إلى من يختلق الكذب ويفتريه ، وتأسي بهم من بعدهم من نقله الأحاديث النبوية ، فضبطوا الأسانيد وقيدوا منها كل شريد ، وسبروا الرواة بين تجريح وتعديل ، وسلكوا في تحرير المتن أقوم سبيل ، ولا غرض لهم إلا الوقوف على الصحيح من أقوال المصطفى وأفعاله ، ونفي الشبهة بتحقيق السند واتصاله فهذه هي المنقبة التي تتسابق إليها الهمم العوالي . .(٢) .

وفي كتاب الحطة : أعلم أن آنف(٣) العلوم الشرعية ومفتاحها ، ومشكاة الأدلة السمعية ومصباحها ، ومبنى شرائع الاسلام وأساسها ، ومستند الروايات الفقهية كلها ، ومركز المعاملات ومحط حارّها وقارّها هو علم الحديث الشريف الذي تعرف به جوامع الكلم ،وتنفجر منه ينابيع الحكم ، وتدور عليه رحى الشرع بالأسر ، وهو ملاك كل نهي وأمر ، ولولاه ، لقال :

---

(١) أنظر مقدمة صحيح مسلم .

(٢) أنظر قواعد التحديث .

(٣) آنف أول .

من شاء وخبط الناس خبط عشواء وركبوا متن عمياء . . .
وهو تلو كلام الله العلام ، وثاني أدلة الأحكام . . .

ثم قال : وما الحق إلا فيما قاله صلى الله عليه وسلم أو عمل به ،أو قرره أو أشار إليه أو تفكر فيه أو خطر بباله أو هجس في خلده واستقام عليه .

فالعلم في الحقيقة هو علم السنة والكتاب ، والعمل ، بهما في كل اياب وذهاب ، ومنزلته بين العلوم منزلة الشمس بين كواكب السماء ، ومزية أهله على غيرهم من العلماء مزية الرجال على النساء (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (١) .

فياله مى علم مزج بدمه الحق والهدى ، ونبط بعنقه الفوز بالدرجات العلى .

وقد كان الإمام محمد بن علي بن الحسين رحمه الله يقول : « إن من فقه الرجل بصيرته أو فطنته بالحديث » ولقد صدق فانه لو تأمل متأمل بالنظر العميق ، والفكر الدقيق ، لعلم أن لكل علم خاصية تتحصل بمزاولته للنفس الإنسانية كيفية من الكيفيات الحسنة أو السيئة ، وهذا العلم ، تعطي مزاولته صاحبه . معنى الصحابة لأنها في الحقيقة هي الإطلاع على جزئيات أحواله صلى الله عليه وسلم ومشهدة أوضاعه في العبادات والعادات كلها . وعند بعد الزمان ، يتمكن هذا المعنى بمزاولته في مدركة المزاول ، ويرتسم في خياله بحيث يصير في حكم المشاهدة والعيان وإليه أشار القائل بقوله :

أهل الحديث هموا أهل النبي وان لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ويروي عن بعض الصلحاء أنه قال : « أشد البا اعث وأقوى الدواعي لي على تحصيل علم الحديث قال رس ل الله صلى الله عليه وسلم فالحاصل أن أهل الحديث كثّر الله سوادهم ، ورفع عمادهم ، لهم نسبة خاصة ومعرفة مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركهم فيها أحد من العالمين، فضلا عن الناس أجمعين ، لأنهم الذين لا يزال يجري ذكر صفاته العليا وأحواله الكريمة وشمائله الشريفة على لسانهم ١ هـ بتصرف(٢) .

فضل نشر الحديث وروريته :

روى أبو داو بسنده عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر » الله امرأ سمع منّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، وربّ حامل فقه ليس بفقيه (٣) .

---

(١)
(٢) انظر قواعد التحديث .
(٣) انظر سنن ابي داود كتاب العلم باب فضل نشر العلم جـ٢ ص ٢٨٩ .

قال المنذري : وأخرجه الترمذي والنسائي . وقال الترمذي : حديث حسن وأخرجه ابن ماجه من حديث عبّاد والد يحيي عن زيد بن ثابت ا هـ (١) .

وروى ، نضر الله أمرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها .
وفيه روايات عدة لهذا الحديث .

قال سفيان بن عيينة : « ليس من أهل الحديث أحد إلا وفي وجهه نضرة لهذا الحديث » .

يقول الإمام الخطابي : في قوله « نضر الله » معناه : الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة يقال : بتخفيف الضاد وتثقيلها ، وأجودهما التخفيف .

وفي قوله : « رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » دليل على كراهة اختصار الحديث لمن ليس بالمتناهي في الفقه . لأنه إذا فعل ذلك فقد قطع طريق الاستنباط والإستدلال لمعاني الكلام من طريق التفهم ، وفي ضمنه : وجوب التفقه والحث على استنباط معاني الحديث ، واستخراج المكنون من سره . ا هـ .

وقد قيل في قوله تعالى : « يوم ندعو كل « أناس بامامهم » (٢) ليس لأهل الحديث منقبة أشرف من ذلك ، لأنه لا إمام لهم غيره صلى الله عليه وسلم (٣) .

وقد ورد في شرف الحديث وأصحابه ، وفضل الاسناد وأربابه أخبار كثيرة ، فمن ذلك حديث أسامة بن زبد رفعه « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . وهذا الحديث رواه من الصحابة علي وعمر وابن مسعود وابن عباس وجابر بن سمرة ومعاذ وأبو هريرة وأبو أمامة . وأورده ابن عدى من طرق كثيرة كلها ضعيفة . كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر .

لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسناً لغيره كما جزم به العلائي .
وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات من تحريف الغالين الذين غلوا في الدين ، وتأويل الجاهلين بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه إليها .

قال النووي في أول تهذيبه : وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم بحعظه ، وعدالة ناقليه ، وأن الله يوفق في كل عصر خلقاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف فلا يضيع . وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر .

وهكذا وقع وهو من أعلام النبوة ، ولا يضر كون بعض الفساق يعرف شيئاً من علم الحديث ، فان الحديث انما هو اخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف — شيئاً ا هـ .

---

(١) انظر مختصر المنذرى ومعالم السنن للخطابي جـ ٥ ص ٢٥٣ حديث ٣٥٠٣ .
٥٥ باب جامع في فضل العلم .
(٢) سورة الاسراء آية ٧١ .
(٣) كذا في تدريب الراوى ص ١٧٠ .

على أنه قد يقال : ما يعرفه الفساق من العلم ليس بعلم ، لعدم عملهم به ا ﻫ (١) .

وقال العراقي : قال ابن عبد البر : كل حامل علم معروف العناية به فهو عدل محمول في أمره أبداً على العدالة حتى يتبين جرحه ، واستدل على ذلك بحديث رواه من طريق أبي جعفر العقيلي من رواية ابن رفاعة السلامي عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله . . . به » أورده العقيلي في الضعفاء في ترجمة معان بن رفاعة وقال لا يعرف إلا به . ورواه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل .

وفي كتاب علل الخلال : أن أحمد بن حنبل سئل عن هذا الحديث فقيل له كأنه كلام موضوع ؟ فقال لا هو صحيح ، فقيل له ممن سمعته ؟ قال : عن غير واحد . . الخ (٢) .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل (٣) .

تدوين الحديث . وأطواره
منذ فجر الإسلام حتى عصر أصحاب الصحاح الستة

لما كان الحديث من أصل الفروض ، وجب الاعتناء به ، والاهتمام بضبطه وحفظه ، فلذلك يسر الله للعلماء الثقات الذين حفظوا قوانينه وأحاطوا به فتناقلوه كابرا عن كابر ، وأوصله كما سمعه أولهم إلى آخرهم ، وحببه الله إليهم لحكمه حفظ دينه وحراسة شريعته ، فلم يزل هذا العلم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم غضا طرياً والدين محكم الأساس قوي البنيان .

أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين خلفاً عن سلف ، لا يشرف بينهم أحد أحد بعد حفظ كتاب الله إلا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم في النفوس إلا بحسب ما سمع من الأحاديث فتوفرت الرغبات فيه ، فما زال لهم من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن انقطعت الهمم شغف على تعلمه ، حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذاوت العدد ويفني الأموال والعدد ويقطع الفيافي والمفاوز ، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديث واحد يسمعه من رواية ، فمنهم من يكون الباعث له على الرحلة طلب ذلك الحديث لذاته ، ومنهم من تقترن بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوي بعينه ، أما لثقته في نفسه ، وإما لعلو إسناده فانبعثت العزائم إلى تحصيله .

وكان اعتمادهم أولا على الحفظ والضبط في القلوب غير ملتفين إلى ما يكتبونه محافظة على هذا العلم ، كحفظهم كتاب الله ولا معوّلين على ما يسطرونه وذلك لسرعة حفظهم وسيلان أذهانهم .

---

(١) انظر القول السديد في اتصال الاسانيدللشيخ احمد عثمان العدوى المعروف بالمنبتى مصطلح ٣٨ مخطوط تيمور .
(٢) انظر فتح المبغث شرح ألفية الحديث .
(١)
(١) انظر قواعد التحديث ص ٥٠ .

فلما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار ، وتفرقت الصحابة في الأقطار وكثرت الفتوحات ومات معظم الصحابة وتفرقت أصحابهم وأتباعهم وقل الضبط ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ، احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة لأنها الأصل ، فان الخاطر يغفل والقلم يحفظ ، فمارسوا الدفاتر وسايروا المحابر وعقدوا العزم وأجابوا في نظم قلائده أفكارهم ، وأنفقوا في تحصيله أعمارهم ، واستغرقوا في تقييدهم ليلهم ونهارهم ، فأبرزوا تصانيف كثرت صنوفها ، ودونوا دواوين ظهرت شفوفها ، فاتخذها العالمون قدوة ، ونصبها العارفون قبلة .

الحديث على عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم والعرب في جهالة جهلاء وضلالة عمياء موروثة عن ذي قبل . فكان من رحمة الله بهم وبالإنسانية جمعاء أن أرسل فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الناس نسباً وأكرمهم أماً وأباً وأصلا ومحتدا .

ومن الحكمة البالغة أن بدأ بالدّعوة سرّاً حتى لا يفجأ القوم بها خاصة وهم غارقون في جهلهم يتخبطون في غيهم ، فتبعه أفراد قلائل ، لا يتجاوز عددهم أصابع اليد ، ثم جهر بالدعوة إلى الله فدخل في الدين خلق كثير ، دخلوا الإسلام عن بيّنة من أمره ، واستمعوا إلى كتاب ربهم وسنّة نبيهم ، فخالطت أنوار الإيمان قلوبهم ، لا سيما وهم متعطشون إلى ما ينقذهم من ظلمات الشرك ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فصادف الإسلام قلوباً مستعدة متهيأة فتمكن فيها كل التمكن ، وجرى الإيمان فيهم مجرى الدم في عروقهم ، ذلك أنهم عرفوا من النبي عليه السلام أن هذا الدين هو طريق سعادتهم ومعقد عزّهم وسبب نهضتهم وتقدمهم ، فعقدوا عليه خناصرهم ، وأحبوا رسول الله حباً يسمو على الأبناء والآباء وانكبوا على ماجاءهم به من القرآن يحفظونه ، وعلى ما حدثهم في بنائه العظيم بعد القرآن الكريم ، كما علم ا أمر الله باتباعها ، وتحذيره الشديد من مخالفة أمره ، اعتقدوا هذا بقلوبهم ووضعوه نصب أعينهم .

ملكت الآيات والأحاديث على الصحابة مشاعرهم وسيطرت على ألبابهم وحواسهم وأفسحت قلوبهم حباً لله ورسوله عليه الـ لام وألهبت نفوسهم نشاطاً نحو العلم والعمل فلم يدخروا وسعاً في حفظ الأحكام والسنن .

وإلى جانب هذه الحمية الدينية ، استعداد فطري ونشاط طبيعي هو استعداد الحافظة ونشاط الذاكرة وسرعة الخاطر ووفرة الذكاء وكمال العبقرية .

فالصحابة عرب خلص أميون لا يقرؤون ولايكتبون ، فكل اعتمادهم على ملكاتهم في الحفظ ، واعتبر ذلك بحالهم في الجاهلية ، فقد حفظوا أنسابهم ومناقبهم وأشعارهم وخطبهم ، وكثيراً ماكانت تقع بينهم

المفاخرة بالأنساب والأحساب ، فلا يسعفهم غير اللسان يثيرون به ماحفظوه من أخبارهم ، وأخبار خصومهم ، مما يرفع من شأنهم ويحط من شأن أعدائهم .

ساعدهم حبهم للتفاخر بالأحساب والأنساب والتنابز والمثالب بالألقاب ، مع ما رسخ فيهم من عصبية قبلية على إجادة الحفظ والضبط ونشاط في الذاكرة لم يتوفر لأمة من الأمم . فكانت هذه الصدور الحافظة مهداً لآي الذكر الحكيم ، وكانت هذه القلوب الواعية أوعية لحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

فاندفع الصحابة إلى تلقي حديث رسول الله بنهم عظيم وشـوق كبير ، وأظهر الله بهم دينه على الدين كله .

وتظاهر العامل الروحي ، والعامل الفطري فأتى القوم بما لم يأت به أمة من يوم أن بعث الله رسله إلى الخلق ، فحفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم .

الطريقة التي تلقى الصحابة بها الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :

لم يكن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يجيد الكتابة إلا نفر قليل فقد كانت الأمية غالبة عليهم ، فكان اعتمادهم في تلقي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم على استعدادهم في الحفظ ، كما أنهم نهوا عن كتابة الحديث في بدء الأمر خوف اختلاطه بالقرآن الكريم ، وكان الصحابة يتلقون الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إما بطريقة المشافهة ، وإما بطريقة المشاهدة لأفعاله وتقريراته ، وإما بطريق السماع ممن سمع منه صلى الله عليه وسلم ، أو شاهد أفعاله وتقريراته لأنهم إلم يكونوا جميعاً يحضرون مجالسه صلى الله عليه وسلم بل كان منهم من يتخلف لبعض حاجاته .

كتابة الحديث في عهد النبي عليه السلام :

تقدم أن الصحابة قد اعتمدوا على الحفظ في تلقي ما يأتيهم به النبي صلى الله عليه وسلم وزعم البعض أن قلة التدوين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعود بالدرجة الأولى إلى ندرة وسائل الكتابة .

وأنا لست مع من يقول بذلك : لأنها لم تكن قليلة إلى هذا الحد الذي يبالغ فيه ، وهي – على كل حال – قلة نسبية قد تكون أحد العوامل في ترك كتابة الحديث ، ولكنها بلا ريب ليست العامل الوحيد ، فما منعت ندرة هذه الأدوات صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من تجشم المشاق وركوب الصعاب في كتابة القرآن كله في اللخاف والعسب والأكتاف والأقتاب وقطع الأديم ، ولو أنهم أرادوا تدوينه مثل القرآن لفعلوا ولكن الصحابة بتوجيه من نبيهم ومن تلقاء أنفسهم كانوا منصرفين إلى تلقي القرآن مشغولين بجمعه في الصدور والسطور ، وكان كتاب الله يستغرق حل أوقاتهم ، كما يملك عليهم مشاعرهم ، وحديث رسول الله حينئذ أكثر من أن يحصوه ، فله في كل حادثة قول ، وفي كل استفتاء توضيح ، وفي كثير

من الوحي القرآني تبيان وتفسير ، فأنيّ للكتبة منهم الوقت لمتابعة الرسول عليه السلام في كتابة جميع ما يقوله أو يعمله أو يقرّ الناس عليه ، خاصة وأن الكاتبين منهم قليل .

ومع ذلك قام بعض هؤلاء الكاتبين بتقييد جميع ماسمعه ورآه من النبي صلى الله عليه وسلم وأقرّهم على ذلك حين أمن التباس السنّة بالقرآن ، على حين كتب أفراد آخرون أشياء قليلة ، وظل سائرهم بين قارىء كاتب لكنه مشغول بالقرآن شغلا لا يتيح له كتابة الحديث ، فغدا يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم ويعمل به ولا يجد الحاجة لتقييده ، وبين أمي يحفظ من القرآن والحديث ماتيسر له في صدره ، وهو ماكان عليه أكثر الصحابة في بدء الإسلام ومطلع فجره .

وانصراف الصحابة إلى القرآن جمعاً له في الصدور والسطور ، واشتغالهم به عن كل شيء سواه ، كان جزءاً من التوجيه النبوي الحكيم لهؤلاء التلامذة الخالدين من الأميين والكاتبين ، وهو توجيه متدرج مع الحياة والأحياء متطور مع الأحداث التي تعاقبت على المجتمع الإسلامي ، فما كان لهذا التوجيه أن يجمد على صورة واحدة ، بل روعي فيه الزمان ، وروعيت الأشخاص .

فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة الأحاديث أول نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن ، ولا سيما إذا كتب هذا كله في صحيفة واحدة مع القرآن (١) .

وقال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (٢)

الصحف المكتوبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

ثم أذن بذلك اذناً عاماً حين نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون ، وأمن اختلاطه بسواه فقال عليه الصلاة والسلام « قيدوا العلم بالكتاب » (٣) .

من المؤكد أن بعض الصحابة كتبوا طائفة من الأحاديث في حياته صلى الله عليه وسلم ومنهم من كتبها باذن خاص من النبي صلى الله عليه وسلم .

من تلك الصحف : صحيفة سمرة بن جندب (٦٠هـ) كان قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة كبيرة ورثها ابنه سليمان ورواها عنه ، وهي التي يقول فيها ابن سيرين : في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير .

---

(١) وقد أشار الى ذلك الخطابي في معالم السنن فقال : « يشبه أن يكون النهى متقدما . وآخر الأمرين الاباحة .
وقد قيل : إنه انما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به ويشتبه على القارىء ، فأما أن يكون نفس الكتاب مخطوطا و تقييد العلم بالخط منهيا عنه . فلا ١ هـ مختصر جـ ٥ ص ٣٤٦ كتاب العلم حديث ٣٤٩٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ ص ١٢٩ كتاب الزهد من حديث بي سعيد الخدرى . وقد أعل بعضهم هذا الحديث ووقفه على أبي سعيد الخدرى قال : ابن حجر في الفتح جـ ١ ص ٢١٨ . ومنهم من أعل حديث بي سعيد ، وقال : الصواب وقفه على أبي سعيد ، قاله البخارى وغيره ١ هـ وقال الشيخ احمد شاكر في تعليقه على الباعث الحثيث . ص ١٤٨ . وهذا غير جيد فان الحديث صحيح . وملحظ الشيخ شاكر . لأن الحديث معروف متداول بين العلماء وفي كتب الحديث .

(٣) رواه ابن عبد البر عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدوا العلم بالكتاب » ورواه موقوفا على عمر بن الخطاب وابن عباس مثله ، وعن أنس أيضاً أنه كان يقول لبنيه يا بنى قيدوا العلم بالكتاب ١ هـ جامع بيان العلم وفضله جـ ١ باب الرخصة في كتاب العلم ص ٨٦ .

ومن أشهر الصحف المكتوبة في العصر النبوي (الصحيفة الصادقة) التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتملت على ألف حديث ، كما يقول ابن الأثير (١) ومحتواها محفوظ في مسند أحمد بن حنبل(٢) . حتى ليصح أن نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهده صلوات الله عليه ، وهذه الوثيقة كانت نتيجة طبيعية محتومة لفتوى النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو وإرشاده الحكيم له . فقد جاء عبد الله يستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الكتابة قائلا : أكتب كل ما أسمع ؟ قال : نعم ، قال في الرضا والغضب ؟ قال : نعم ، فإني لا أقول في ذلك إلا حقاً .

وسأذكر الحديث فيما بعد ، والذي يظهر لي أنه لابد أن يكون عبد الله ابن عمرو قد أخذ في كتابة الحديث بعد هذه الفتوى الصريحة من الرسول الكريم ، وتلك الصحيفة الصادقة كانت ثمرة هذه الفتوى ، وآية اشتغال عبد الله بن عمرو بكتابة هذه الصحيفة وسواها من الصحف ، أيضاً قول أبي هريرة الصحابي الجليل « ما في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب (٣) .

وقد أتيح للتابعي الجليل مجاهد بن جبر (١٠٣ هـ) أن يرى هذه الصحيفة عند صاحبها عبد الله بن عمرو(٤) وكان عبد الله بن عمرو — لشدة حرصه على هذه الصحيفة — لا يسمح لأعز الناس عليه بتناولها ، ورؤية جابر لها لم تكن إلا عرضاً فإنه قال : « اتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة تحت مفرشه فمنعني ، قلت : ما كنت تمنعني شيئاً ! قال هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيني وبينه أحد ، إذا سلمت هذه وكتاب الله والوهط فلا أبالي علام كانت عليه الدنيا ؟ والوهط أرض كان يزرعها (٤) .

ولقد شاعت في عصر الصحابة صحيفة خطيرة الشأن أمر النبي عليه السلام نفسه بكتابتها في السنة الأولى للهجرة ، فكانت أشبه « بدستور » للدولة الفتية الناشئة آنذاك في المدينة ، وهي الصحيفة التي دون فيها كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق المهاجرين والأنصار واليهود ، ولفظ الكتابة صريح في مطلعها « هذا كتاب محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس(٥) » وقد تكررت فيها عبارة أهل هذه الصحيفة وغير ذلك من الصحف .

انظر مسند عبد الله بن عمرو في مسند أحمد ٢/١٥٨— ٢٢٦ .

(١) جامع بيان العلم لا بن عبد البر جـ١ ص ٨٤ باب الرخصة في كتابة العلم .

(٢) تهذيب التهذيب جـ ٨ والمحدث الفاصل يقل الدكتور صبحى الصالحى .

(٣) جامع بيان العلم وأسد الغابة لابن الأثير ترجمة عبد الله بن عمرو جـ ٣ ص ٣٥٠ ط الشعب .

(٤) أسد الغابة — المرجع السابق .

(٥) راجع الوثائق السياسية في العهد النبوى للدكتور محمد حميدة رقم ١ .

سار الأمر على ما تقدم حتى إذا كان عهد الخلفاء الراشدين لم يتغير الحال ، فقد كانت آراء هؤلاء الخلفاء في التشدد في الرواية والتورع عن الكتابة امتداداً لآراء إخواتهم الصحابة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا أبو بكر يجمع بعض الأحاديث ثم يحرقها ، يقول الذهبي بسنده : حدثني القاسم بن محمد قالت عائشة : جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً . قالت فغمني فقلت : أتتقلب بشكوى أو لشيء يقلقك ؟ فلما أصبح قال : أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها فقلت لم احترقتها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندى فيكون فيها أحاديث عن رجل قد إئتمنته ووثقت ، ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك فهذا لا يصح ١ هـ (١) .

وكان أبو بكر أول من احتاط في قبول الأخبار فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب أن الجدّة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : حضرت رسول الله عليه السلام يعطيها السدس فقال اه هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر .

ومن مراسيل ابن أبي مليكة : أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : انكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري ، لا سدّ باب الرواية ، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة . فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتي استظهر الثقة بثقة آخر ، ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقول الخوارج ١٠ هـ .

وهذا عمر بن الخطاب لا يلبث أن يعدل عن كتابه السنن بعد أن عزم على تدوينها عن عروة بن الزبير « أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له . فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا أشوب » « كتاب الله بشيء أبداً (٢) .

وفي رواية أخرى أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنّة ، ثم بدا له أن يكتبها ، ثم كتب في الأمصار في الأمصار ، من كان عنده شيء فليمحه . (٣) .

---

(١) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٥ .
(٢) أنظر جامع بيان العلم لا بن عبد البر جـ١ ص ٧٧ باب كراهية كتابة العلم وتخليده في مصحف .
(٣) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٧ ط ٣ .

والخلفاء الراشدون لم يتشددوا في أمر الكتابة وحدها بل بلغ بهم الورع أن راحوا يتشددون حتى في الرواية .

وعمر بن الخطاب هو الذي سنّ للمحدثين التثبت في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، فروى الجريري (سعيد ابن اياس) عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع فأرسل عمر في أثره ، فقال : لم رجعت : ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع ، قال : لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلنّ بك فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس فقلنا : ما شأنك فأخبرنا وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا نعم كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتي عمر فأخبره .

أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر ، ففي هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد وفي ذلك حض على تكثير طرق الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم ، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد وقد كان عمر من وجله أن يخطىء الصاحب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم لئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن ١ هـ (١) .

أقول : ومن هنا بدأ علم أصول الحديث أو مصطلح الحديث ، وأنه نشأ مع الرواية فكانا توأمين ولدا وعاشا معا .

فإذا رأينا كلا من أبي بكر وعمر – بعد هذا – يكتبان الحديث أو ينصحان بكتابته (٢) . رأن كثيراً من كبار الصحابة في عصرهما كانوا كذلك ينصحون بالكتابة ويأمرون بها أمراً صريحاً ، أدركنا علة ذلك التشدد الذي وصفناه قبل ، وثبت لنا – كما قال اسماعيل بن ابراهيم بن علي لية البصري (٢٠٠ هـ) أن الصحابة إنما كرهوا الكتابة لأن من كان قبلكم اتخذوا الكتب ، فاعجبوا بها فكانوا يكرهون أن يشتغلوا بها عن القرآن (٣) .

وكما قال الخطيب البغدادي : « إن كراهة من كره الكتابة من الصدر الأول : إنما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره ، أو يشتغل عن القرآن بسواه (٤) .

رأي آخر :

يقول الشيخ أبو بكر بن عقال الصقلي في فوائده على ما رواه ابن بشكوال: إنما لم يجمع الصحابة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصحف كما جمعوا القرآن ، لأن السنن انتشرت وخفي محفوظها من

---

(٢) انظر الحديث ومصطلحه . (٣) تذكرة الحفاظ

(٤) انظر علم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى .

مدخولها ، فوكل أهلها في نقلها إلى حفظهم ، ولم يوكلوا من القرآن إلى مثل ذلك ، وألفاظ السنن غير محروسة من الزيادة والنقصان كما حرس الله كتابه ببديع النظم الذي أعجز الخلق عن الإتيان بمثله . فكانوا في الذي جمعوه من القرآن مجتمعين . وفي حروف السنن ونقل نظم الكلام نصّاً مختلفين ، فلم يصح تدوين ما اختلفوا فيه ، ولو طمعوا في ضبط السنن . كما اقتدروا على ضبط القرآن لما قصروا في جمعها ، ولكنهم خافوا إن دونوا مالا يتنازعون فيه أن يجعل العمدة في القول على المدوّن ، فيكذبوا ماخرج عن الديوان فتبطل سنن كثيرة ، فوسعوا طريق الطلب للأمة فاعتنوا بجمعها على قدر عناية كل واحد في نفسه ، فصارت السنن عندهم مضبوطات ، فمنها ما أصيب في النقل حقيقة الألفاظ المحفوظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي السنن السالمة من العلل ، ومنها ما حفظ معناها ونسي لفظها ، ومنها ما اختلفت الروايات في نقل ألفاظها ، واختلف أيضاً رواتها في الثقة والعدالة وهي تلك السنن التي تدخلها العلل فاعتبر صحيحها من سقيمها أهل المعرفة بها على أصول صحيحة وأركان وثيقة لا يخلص منها طعن طاعن ولا يوهنها كيد كائد — انتهى (١) .

حول النهي والإباحة :

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الكتابة ، فكرهها طائفة منهم لحديث أبي سعيد الخدري قال : « لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه (٢) .

قال القاضي عياض : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم ، فكرهها كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم ، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال الخلاف ، ومن مليح قولهم في ذلك : يعيبون علينا أن نكتب العلم وندوّنه ، وقد قال الله عز وجل « علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى »(٣) .

وجاء في الإباحة والنهي حديثان : فحديث النهي وهو ماروواه مسلم عن أبي سعيد لا تكتبوا عني الحديث ، وحديث الإباحة « اكتبوا لأبي شاه » متفق عليه .

روى أبو داود بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال حدثني أبو هريرة قال : لما فتحت مكة قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبة النبي قال : فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال : يارسول الله ، اكتبوا لي فقال : (أكتبوا لأبي شاه » .

وبين في الرواية الثانية ، أنها الخطبة التي سمعها يومئذ منه (٤) .

---

(١) انظر شروط الأئمة الخمسة ص ٤٨ .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ١٢٩ ط المصرية .

(٣) سورة طه — آية ٥٢ .

(٤) انظر سنن أبي داود — كتاب العلم — جـ٢ ص ٢٨٦ .

ورواه ابن عبد البر بمثله . . (١)

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده مايخرج منه إلا حق (٢) .

وقد تقدم حديث أبي هريرة « ليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عنه مني إلا ماكان من عبد الله بن عمرو . . الحديث (٣) .

وقد اختلف في الجمع بينها وبين حديث أبي سعيد السابق ، فقيل : هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب ، ويحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث اكتبوا لأبي شاه . وحديث صحيفة علي رضي الله عنه (٤) وحديث كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديات . وحديث كتاب الصدقة ونصاب الزكاة الذي بعث به أبو بكر رضي الله عنه أنساً حين وجهه إلى البحرين وحديث أبي هريرة أن ابن عمرو ابن العاص كان يكتب ولا أكتب .

وقيل إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث ، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك أذن في الكتابة ، وقيل ، إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه على القارىء . (٥) لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فربما كتبوه معها فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه ، وقيل : النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه ، والاذن في غيره (٦) .

قال ابن القيم : قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الكتابة والاذن فيها ، والاذن متأخر فيكون ناسخاً لحديث النهي . وقد صح عن النبي أنه قال لهم في مرض موته « إئتوني اللوح والدوار والكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً وهذا كتابة كلامه باذنه ا هـ (٧) .

وقد قال ابن الصلاح « ثم إنه زال ذلك الخلاف ، وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة « ولقد صدق رحمه الله (٨) .

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٨٤ باب الرخصة في كتاب العلم .

(٢) انظر سنن ابي داود جـ ٢ ص ٢٨٦ ، أبو شاه : بالهاء الأصلية وشاه لفظ فارسي معناه الملك ، قيل لفظه بالهاء وقفا ووصلا . وقيل بنون وصلا كما في الاصابة .

(٣) فتح البارى كتاب العلمباب كتاب العلم ص ٢١٧ وانظر بيان العلم لا بن عبد البر جـ ١ ص ٨٤ .

(٤) انظر فتح البارى كتاب العلم باب كتاب العلم جـ ١ ص ٢١٤ .

(٥) ينظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٨ كتاب الزهد ص ١٢٩ .

(٦) ينظر قتدريب الراوى .

(٧) انظر مختصر المنذرى جـ ٥ ص ٢٤٥ حديث ٣٤٩٧ باب رواية حديث أهل الكتاب .

(٨) مقدمة ابن الصلاح ص ١٧١ . النوع الخامس والعشرون في كتابه الحديث .

عصر التابعين وتابعيهم :

وإذا انتقلنا إلى عصر التابعين هالتنا تلك الروايات المتضافرة على كراهة كبار التابعين وأوساطهم وأواخرهم للكتابة ، ثم لا نلبث أن نجد كثيراً منهم يتساهلون في أمرها ، أو يرخصون بها ، أو يحضون عليها ، ونجدها أصبحت أمراً « رسمياً » في عصر أوساطهم .

والأسباب التي حملت الخلفاء الراشدين على الكراهة على التدوين ، هي التي حملت التابعين عليها ، فإذا بطلت أسباب هذه الكراهة قال الجميع قولا واحداً وأخذوا به وأجمعوا عليه وهو جواز كتابة العلم ، بل وإيثار تقييده ، والتشجيع عليه .

وهنا جاء دور الخليفة الورع التقي عمر بن عبد العزيز حين أمر رسمياً بالشروع في تدوين الحديث ، إنما استند إلى آراء العلماء ، ولعله لم يقدم على ذلك إلا بعد أن استشارهم أو اطمأن إلى تأييد كثرتهم .
وإن كانت الأخبار المتضافرة توحي بتفرده في هذه الفكرة لما له في القلوب من منزلة ، ولا سيما بين معاصريه الواثقين بتقواه وورعه .

ويتضح من جملة الأخبار المروية في هذا الشأن أن خوف عمر بن عبد العزيز من دروس العلم وذهاب أهله هو الذي حمله على الأمر بالتدوين .

التدوين العام للحديث :

يقول الحافظ ابن حجر في مقدمته : أعلم – علمني الله واياك – أن آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدوّنة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين :

أحدهما : أنهم كانوا في إبتداء الحال قد نهوا عن ذلك ، كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسعة حفظهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة .

أقول : نفي كتابة الآثار المشار إليها، ليس على اطلاقه ، فقد وجد من كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأقرّه بل طلب عليه السلام أن يكتب كتاباً لأصحابه ، كما تقدم .

فيحمل كلام ابن حجر على الكتابة العامة .

يقول ابن حجر : فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح (توفي ١٦٠ هـ) ، وسعيد بن أبي عروبة (١٥٦هـ) وغيرهما ، وكانوا يصنفون كل باب على حدة ، إلى أن قام كبا أهل الطبقة الثالثة ، فدوّنوا الأحكام .

فصنف الإمام مالك « الموطأ » وتوخى فيه القويّ عن حديث أهل الحجاز ، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين ، ومن بعدهم (توفي ١٧٩ هـ) .

وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة (توفي ببغداد ١٥٠ وقيل : ١٥١ ﻫ (١) .

وصنف أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي بالشـــام (١٥٦ ﻫ) وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثو ي بالكوفة (توفي ١٦١ ﻫ) وحماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة بالبصرة (توفي ١٧٦ ﻫ) .

ومعمر بن راشــد باليمن المتوفي ١٥٣ ﻫ ، وجرير بن عبد الحميــد بالريّ (توفي ١٨٨ ﻫ) (وعبــد الله بن لمبــارك بخراسان المتوفي ١٨١ ﻫ) ، ثم تلاهم كثير من أهــل عصرهم في النسج على منوالهم ، إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك على رأس المائتين ، فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسنداً (توفي ٢١٣ ﻫ) وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسنداً وصنف أسد ابن موسى الأموي مسنداً (توفي ٢١٢ ﻫ) وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسنداً .

ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم ، فقلّ امام من الحفاظ إلا وصنّف حديثه على المسانيد ، كالإمام أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء .

ومنهم من صنف على الأبواب والمسانيد معاً كأبي بكر بن أبي شيبة ، (ولما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها ، وجدها جامعة للصحيح والحسن ، والكثير منها يشمله التضعيف ، فحرّك همته لجمع الحديث الصحيح ، وقوى همته لذلك ماسمعه من أستاذه الإمام اسحاق بن راهوية حيث قال : لمن عنده والبخاري فيهم « لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال البخاري فوقع ذلك في قلبي وأخذت في جمع الجامع الصحيح » انتهى (٢) .

يقول السيوطي : « وهؤلاء المذكورون ، في أول من جمع ، كلهم من أثناء المائة الثانية .

---

(١) يقول بروكلمان عن النجوم الزاهرة : ان عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، كان جده جريج عبداً رومياً وأصل اسمه جريجوريوزس . كان أول من صنف أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد جمع كتابه في الآثار وحروف التفسير ، احاديث لمجاهد وعطاء وغيرهما بمكة ، ولكنه لم ينل من الخليفة المنصور ما كان يرجو من العطاء ١ ﻫ يقول : وقد بقيت بقايا قليلة من مجموعات القدماء من رجال الحديث منذ المرحلة الأولى للتدوين تشتمل عليها دور الكتب في استانبول وذكر فايسفيلر أوصاف هذه الأجزاء في كتابه عن مخطوطات الحديث في مكتبات استانبول .

(٢) انظر هدى السارى . وانظر تنوير الحوالك جـ١ ص ٥ وتدريب الراوى ص ٣٩ ط ١ .

وأما ابتداء تدوين الحديث فانه وقع على رأس المائة في خلافة عمر (١) بن عبد العزيز بأمره ، ففى صحيح البخارى « وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ « كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق : انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوه « قال في : فتح البارى : « يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوى ، ثم أفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ، ابن شهاب الزهرى . ١ هـ (٢) .

وأخرج الهروىّ في ذم الكلام من طريق يحيى بن سعيد ، عن عبد الله بن دينار قال : « لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث ، انما كانوا يؤدونها لفظا ، ويأخذونها حفظا ، الا كتاب الصدقات (٣) .

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، الامام أمير المؤمنين أبو حفص الأموى القرشى مولده بالمدينة زمن يزيد ، ونشأ في مصر في ولاية أبيه عليها ؛ حدث عن عبد الله بن جعفر وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وطائفة ، وكان أماماً فقيهاً مجتهدا ، عارفاً بالسنن كبير الشأن ثبتا حجة حافظا قانتا لله أواها منيبا ، حدث عنه ابناء عبد الله وعبد العزيز والزهرى وأيوب وأبو بكر من حزم وأبو سلمة بن عبد الرحمن وهما من شيوخه ، وأمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاى وكان مليحا ابيض جميل الشكل حسن اللحية ، بجبهته أثر حافر فرس شجه في صغره ، ولذا كان يقال له أشج بني أمية، وفي آخر أيامه خطه الشيب ، عاش أربعين سنة ، ويعد له وزهده ، يضرب المثل رضي الله عنه .

قال الشافعى : الخلفاء خمسة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر ابن عبد العزيز ، وقد ولى أولا أمرة المدينة خلا فة الوليد ، وبنى المسجد وزخرفه ، وكان إذ ذاك لا يذكر بكثير عمل ، ولا زهد ، ولكن تجدد له لما استخلف وقلبه الله فصار بعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر ، وفي الزهد مع الحسن البصرى ، وفي العلم مع الزهرى ، ولكن موته قرب من شيوخه ، فلم ينشر عمله ، عن ابي جعفر الباقر قال: ان نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز انه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، وقال مجاهد: أتيناه لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه ، وقال ميمون بن مهران : ما كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذة .

قال ابن سعد قالوا : ولد سنة ٦٣ وكان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثا كثيرا وكان امام عدل ، سمعت عبد الله بن داود يقول : ولد مقتل الحسين سنة (٦١) وقال أنس بن مالك : ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى . وقال الذهبي : سيرته تحتمل مجلدا ، ومات بدير سمعان وقبره هناك يزار ، ومات في رجب سنة احدى ومائة ، وله أربعون سنة سوى ستة أشهر . . ١ هـ . . مقدمة تحفة الأحوذى ج" ط٢ ص ٤٧١ .

(٢) انظر تدريب الراوى ص ٤٠ ط ١ .

(٣) روى ابو داود بسنده عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ، فلم يخرجه الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه فعمل به أبو بكر ، حتى قبض ، ثم عمل به عمر ، حتى قبض ، فكان فيه في خمس من الابل شاة . . الحديث .

وروى عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : « هذه نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه في الصدقة، وهى عند آل عمر بن الخطاب قال ابن شهاب أقرأنيها سالم بن عبد الله بن عمر ، فوعيتها على وجهها ، وهى التى انتسخ عمر بن عبد العزيز من عبد الله بن عبد الله بن عمر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، فذكر الحديث١ هـ مختصر سنن ابي داود للمنذرى ج ٢ ص ١٨٥ . حديث ١٥١٠ ، ١٥١٢ من كتاب الزكاة باب في زكاة السائمة .

والشيء اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء حتى خيف عليه الدروس وأسرع في العلماء الموت ، أمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمي ، فيما كتب إليه أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه .

وقال مالك في الموطأ رواية محمد بن الحسن « أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم (١) به علقه البخاري في صحيحه (٢) .

وروى عبد الرازق عن ابن وهب ، سمعت مالكا يقول : « كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى ، وأن يعملوا بما عندهم ، ويكتب الى أبي بكر بن حزم أن يجمع السنن ، ويكتب بها اليه . فتوفي عمر بن عبد العزيز ، وقد كتب ابن ابن حزم كتبا قبل أن يبعث بها إليه . . ا هـ (٣) . . وفي رواية أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على المدينة أبي بكر بن حزم يأمره . . « انظر ما كان من حديث رسول الله أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة (٤) فاكتبه ، وقد ضم اليها في بعض الروايات اسم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ١٠٧ هـ) وكلاهما من تلاميذ عائشة فكانا أعلم الناس بأحاديثها عن رسول الله ، ولقد قام أبو بكر ابن حزم بما عهد اليه عمر ، ولكن هذا الخليفة العظيم لحق بربه قبل أن يطلعه على نتائج سعيه ، على أن عمر كان قد كتب الى أهل الآفاق والى عماله في الأمصار بمثل ما كتب الى ابن حزم(٥) .

وكان أول من استجاب له في حياته وحقق له غايته عالم الحجاز والشام محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري المدني (٦) الذي دوّن لى في ذلك كتابا ، فغدا عمر يبعث الى كل أرض دفترا من دفاتره ، وحقّ للزهري أن يفخر بعمله قائلا : « لم يدّون هذا العلم أحد قبل تدويني (٧) .

ويخيل الى الباحث عندما يبلغ هذه المرحلة من الدراسة أن فكرة كره التدوين قد اختفت الى الأبد ، وأنها في هذا العصر بدأت تنسى .

---

(١) انظرقتنوير الحوالك ص ١٥ هـ قال ابن حجر في فتح الباري : ابو بكر بن حزم ، هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، نسب الى جد أبيه ، ولجده عمرو صحبة ، ولأبيه محمد رؤية ، وأبو بكر تابعي فقيه استعمله عمر بن عبد العزيز على أمرة المدينة وقضائها ، ولهذا كتب اليه ، ولا يعرف له اسم سوى بي بكر وقيل كنيته أبو عبد الملك ، وأسمه أبو بكر ، وقيل اسمه نيته (فاكتبه) يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوى ، فكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ ، فلما خاف عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء رأى في تدوينه ضبطا له وبقاء الخ – فتح الباري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٢) قال البخاري : وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن.حزم : انظر ما كان من.حديث رسول الله صلى الله عيه وسلم فاكتبه ، خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسعم لم ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سراً ، ورواه أيضاً من طريق عبد الله بن دينار عن عمر بن عبد العزيز ا هـ جـ ١ ص ٢٠٤ نفس الكتاب والباب السابقين .

(٣) أنظر تدريب الراوي ص ٤٠ ط ١ .

(٤) عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة وقد روى الزهري عن عمرة بنت عبد الرحمن وآخرون وروت عن عائشة وأم سلمة وكانت عالمة ا هـ جـ٨ ص ٣٥٣ – طبقات ابن مسعد ط الشعب .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٤ .

(٦) محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري أبو بكر المدني أحد الأعلام نزل الشام . روى عن ابن عمر وجابر وأنس وغيرهم من الصحابة وعنه أبو حنيفة ومالك وعمر بن عبد العزيز وغيرهم مات سنة أربع وعشرين ومائة ا هـ اسعاف المبطأ للسيوطي ص ٣٧ .

(٧) الرسالة المتطرفة ص ٤ . . أقول : قال أبو داود حديثه ألفان ومائتان النصف فيها مسندا ا هـ . مقدمة تحفة الأحوذي ص ٤٧٥ .

ومما تقدم يتبين لنا أن علماء التدوين قد طوفوا الدنيا كلها ، وانتشروا في البلدان والامصار وأحاطوا بها يجمعون ويكتبون في حركة نشطة دائبة يواصلون الليل بالنهار ، ليسجلوا أجل وأخلد سجل عرفته البشرية على الاطلاق ، على امتداد تاريخها الطويل ، فبعد كتاب الله جندوا أنفسهم وأقلامهم ليدونوا مصدر شريعتهم ، ومنبع عزهم الدائم .

وأقول : ان رأى أكثر العلماء في ذلك العصر من التردد في شأن الكتابة ، بين الفعل والترك يرجع الى أمرين :

فالحرص على كلام رسول الله أن يضيع كالخوف عليه أن يشيع فيه غير الصحيح **كانا عاملين** كبيرين في توجيه العلماء نحو القول بكتابة الحديث تارة والنهى عنها تارة أخرى .

واذا كان أوساط التابعين قد بدءوا يحذرون وضع الوضاعين ، فان أواخر التابعين أمسوا **يصادفون** كثيرا من نماذج الوضاعين وصور وضعهم تأييداً للفرق والشيع المختلفة ، فقد أمسى لزاما أن **يشيع** التدوين وينتشر في عصرهم حفظا للنصوص النبوية من عبث العابثين ، وميزة التدوين في هذا العصر أن الحديث كان ممزوجا غالبا بفتاوى للصحابة والتابعين ، كما في موطأ مالك .

خلاصة تدوين السنة

يبدأ هذا الدور من أوائل القرن الثاني الى آخر القرن الثالث . وكان هذا الدور عصرا مجيدا للسنة ، فقد تنبه رواتها **الى** وجوب تصنيفها وتدوينها ، ومعنى تصنيفها ضم الأحاديث التى من نوع واحد في الموضوع بعضها الى بعض كأحاديث الصلاة ، وأحاديث الصيام وما شاكل ذلك .

وجدت هذه الفكرة في جميع الأمصار الاسلامية في أوقات متقاربة حتى لم يعرف من له فضيلة السبق الى ذلك .

ونستطيع أن نحدد هذا الدور بثلاثة أطوار :

الطور الأول :

فكان من مدوني الطور الأول من هذا الدور الامام مالك بن أنس بالمدينة وعبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج بمكة الى آخر من تقدموا وتقدمت طريقتهم في التدوين أيضا .

الطور الثاني :

رأت طبقة ثانية بعد هؤلاء أن يفرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غيره ، وذلك على رأس المائتين فألفوا ما يعرف بالمسانيد .

والمسانيد هى الكتب التى موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة صحيحا كان أو حسنا أو ضعيفا ، وان اختلفت أنواعه ، فتارة ترتب فيه أسماء الصحابة على حروف الهجاء ، كما فعله غير واحد

وهذا أسهل تناولاً ، وتارة ترتب على أسماء القبائل . فيقدم بنو هاشم ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب وتارة ترتب على السابقة في الاسلام فيقدم العشرة المبشرون بالجنة، ثم أهل بدر ، ثم أهل الحديبية ، ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ، ثم من أسلم يوم الفتح ، ثم أصاغر الصحابة سنا ، ويختم بالنساء .

الطور الثالث :

جاء بعد هذه الطبقة ، طبقة أخرى رأت ما أمامها من هذه الثروة العظيمة ، ففتح أمامها باب الاختيار ، وفي طليعة هذه الطبقة الامامان الجليلان شيخا السنة أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفى المتوفي ٢٥٦ هـ ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى المتوفي سنة ٢٦١ هـ صنفا صحيحها بعد أن دققا في الرواية والاختيار فكان اليهما المنتهى في ذلك .

وحذا حذوهما أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (فارس الحلبة) المتوفي ٢٧٥ هـ ، وأبو عيسى محمد بن عيسى السلمى الترمذى المتوفي سنة ٢٧٩ هـ وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة ٣٠٣ ، وأبو عبد الله محمد ابن يزيد القزوينى المعروف بأبن ماجه توفي ٢٧٣ هـ .

وكتبهم هى المعروفة في لسان أهل الحديث بالكتب الستة ، وقد حازت عند المسلمين من القرن الثالث الى وقتنا هذا درجة عظيمة من الاعتبار لما لهم في رواتها من الثقة العظمى .

ليس هؤلاء هم الذين ألفوا في السنة فقط ، بل وجد بجانبهم كثيرون سواهم ، الا أن هؤلاء هم الذين نالوا شهرة لم ينلها غيرهم ، ونستطيع أن نقول لم تدون السنة الصحيحة وحدها مرتبة على الأبواب الا في أتباع أتباع التابعين وعلى رأسهم أصحاب الصحاح الستة ، وفي أواخر القرن الثالث انتهى أمر السنة ، وفي أثناء هذا الدور حتى صارت علما مستقلا له رجال قصروا عليه بحثهم ، ولا يخفى على عاقل أن هذا العصر لأجل عصور أهل الحديث وعلم السنة ، وأسعدها بخدمة التأليف والتدوين ، ففيه ظهر جهابذة المحدثين ، وكباو المؤلفين وحذاق الناقدين وعقلاء المدققين ، وعمدة المحققين ، وفيه ظهرت أنوار كتب السنة الستة ، وأشرقت شموسها ، حتى كادت لا تغادر من صحيح الحديث وحسنه إلا النذر اليسير ، ومن ذلك اعتمد عليها المستنبطون ، واعتضد بها المناظرون ، وعول عليها المطالعون ورجع اليها المصنفون ، وبهذا أخذ علماء الفقه أجمعون .

وكاد يتم جمع الحديث وتدوينه وتأليفه وتهذيبه وترتيبه في هذا العصر المجيد ، عصر امامنا أبي داود السجستاني أمام أهل السنة ، وحسبنا فخرا أن ننتهى بأطوار الحديث الى طور الازدهار والاشتهار حيث وجد وأطل على الدنيا شمس المحدثين مالك زمام الحديث وطبيب علله أبو داود السجستاني ، وفيه نشأ ، فهو حبة عقده رحمه الله .

أما المتأخرون في عصر الرواية فيكون عملهم — في نهاية المطاف — تهذيبا وشرحا واختصارا للكتب الصحيحة المشهورة .

وهكذا مر الحديث النبوى بمراحل طويلة حتى وصل الينا محررا مضبوطاً .

أين كانت الدراية في أثناء المراحل المتقدمة ؟؟

سايرت الدراية أو علوم الحديث الرواية في جميع الأطوار المتقدمة ولم تنفك عنها ، وآية ذلك تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الكذب عليه روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك أنه قال انه ليمنعنى أن أحدّثكم حديثا كثيرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من تعمّد عليّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار(١) .

وفي الباب أحاديث كثيرة . .

وما موقف أبي بكر وعمر ، وحضهما على تكثير طرق الحديث لكى ترتقى عن درجة الظن الى درجة العلم الا دليلا على ذلك . وقد تقدم .

ولكن فروعه لم تتشعب في عهد الصحابة لثقتهم وعدالتهم ولأنهم حملة الشريعة وتلاميذ النبي — صلى الله عليه وسلم — .

وظل الأمر كذلك في عهد كبار التابعين ، وبدأ أوساطهم يحذرون من الكذابين ، ولكن لما ظهرت الفرق والشيع المختلفة ، ووجد من يؤيدهم صادف أواخر التابعين نماذج من الوضاعين ومن هنا دوّن الحديث وعلومه حفظا للنصوص النبوية من عبث العابثين .

وعلم من تعريف علم الحديث دراية أن واضعه هو ابن شهاب الزهرى فيكون ندا لعلم الحديث رواية .

ولذلك وجد في دور تدوين السنة رجال كان همهم البحث عن حال رواة الحديث من التابعين فمن بعدهم ، ووصف كل رجل منهم بما يستحق من ضبط واتقان وعدالة أو أضدادها ، ويعرفون برجال الجرح والتعديل ، فمن عدلوه قبلت روايته ، ومن جرحوه ترك حديثه ، وقد يختلفون في ذلك الشأن نجد من الرواة من أجمع على تعديله وضبطه واتقانه وذلك هو الغاية العليا ، ومنهم من أجمع على تركه وذلك هو الغاية الدنيا ، وبين ذلك درجات بعضها أدني من بعض ، ومن الأسانيد ما هو كالشمس في الاشراق حتى ليكاد سامعه يقطع بصدق رواته ، ومنها ما هو دون ذلك .

(١) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٦٦ .

قال الذهبي : أول من زكى وجرح من التابعين – وان كان قد وقع ذلك قبلهم – الشعبي وابن سيرين (١) حفظ عنهما توثيق أناس وتضعيف آخرين وسبب قلة ذلك في التابعين قلة متبوعهم من الضعفاء اذ أكثر المتبوعين صحابة عدول ، وأكثر المتبوعين في عصر الصحابة ثقات ولا يكاد يوجد في القرن الأول الذى انقرض فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف الا الواحد بعد الواحد ، كالحارث الأعور (٢) ، والمختار الكذاب ، فلما مضى القرن الأول ودخل الثاني ، كان في أوائلهم من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالبا من قبل تحملهم وضبطهم الحديث ، فتراهم يرفعون الموقوف ويرسلون كثيرا ، ولهم غلط كأبي هارون العبدى .

فلما كان عند آخر عصر التابعين ، وهو حدود الخمسين ومائة تكلم في التوثيق والتضعيف أئمة(٣) .

ويوضح الذهبي في موقع آخر أن علم مصطلح الحديث اشتغل به كبار التابعين يقول : في علم الحديث ولا رأيت أهل الحديث فأوائلهم كان لهم شيخ عالى الاسناد بينه وبين الله تعالى واحد معصوم عن معصوم سيد البشر عن جبريل عن الله عز وجل ، فطلبه مثل أبي بكر وعمر وابن مسعود وأبي هريرة الحافظ وابن عباس وسادة الناس الذين طالت أعمارهم وعلا سندهم وانتصبوا للرواية الرفيعة ، فحمل عنهم مثل مسروق وابن المسيب والحسن البصرى والشعبي وعروة وأشباههم من أصحاب الحديث وأرباب الرواية والدراية والصدق والعبادة والاتقان والزهادة الذين من طلبتهم مثل الزهرى وقتادة . . الخ (٤) .

---

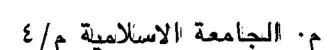
(١) من ذلك ما رواه ابن سعد قال : روى جرير عن مغيرة عن الشعبى قال : حدثني الحارث الأعور وكان كذوبا ، واما ابن سيرين فهو محمد بن سيرين ويكنى أبو بكر مولى أنس بن مالك ، وكان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها اماما كثير العلم ورعا ، وكان به صمم ، ولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وكان يقول : ان هذا العلم دين ، فانظروا عن من تأخذونه ، وعن ابن عون قال : كان محمد بن سيرين اذا حدث كأنه ينقى شيئا كأنه يحذر شيئا ، وقال ابن عون : سمعت محمداً يقول : لو كنت متخذا كتابا لا تخذت رسائل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن سيرين لا يرى بأسا أن يكتب الحديث فاذا حفظه محاه ، عن أنس بن سيرين قال : لم يبلغ محمدا حديثا قط ، أحدهما أشد من الآخر الا أخذ بأشدها قال : وكان لا يرى بأسا وكان قد طوق لذلك ا هـ طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ١٤٠ ط الشعب .

(٢) الحادث الأعور بن عبد الله بن كعب بن أسد بن خالد بن حوب ، وقد روى الحارث عن على وعبد الله بن مسعود ، وكان له قول سوء وهو ضعيف في روايته ، قال ابن سعد : بسنده أن على بن أبي طالب خطب الناس فقال : من يشترى علما بدرهم؟ فاشترى الحارث الأعور صحفا بدرهم ثم جاء بها عليا فكتب له علما كثيرا ، وكانت وفاة الحارث الأعور بالكوفة أيام عبد الله بن الزبير ا هـ طبقات بن سعد جـ ٥ ص ١١٦ .

يقول أبو داود في رسالته : ولعله ليس للحارث الأعور في كتاب السنن الا حديثا واحدا فانما كتبته بآخره ، : والواقع أني وجدت له في السنن أربعة أحاديث وهى على الترتيب . . الحديث الأول: كتاب الصلاة باب النهى عن التلقين جـ ١ ص ٢٠٨ ط ١ ، الحديث الثاني : كتاب الزكاة باب في زكاة السائمة ص له فيه ثلاث روايات . الحديث الثالث : كتاب النكاح باب التحليل جـ ١ ص ٤٧٩ له في فيه روايتان . الحديث الرابع : كتاب الأدب باب ما يقول عند النوم جـ ٢ ص ١٦٠٧

(٣) انظر تدريب الراوى حاشية ص ٢٢٩ ط ١ عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٤) انظر بيان زغل العلم والطلب للحافظ الذهبى ص ١٠ مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ هـ .



تقدم أن السنة : كانت محفوظة في صدور العدول الأمناء ، لا يعرف مكانها دس أو تغيير ، ومن ذلك فقد كانت من بعض الصحابة وكبار التابعين رحلات الى بعض البلدان ، لطلب الخبر وسماعه ممن سمع أو انفرد برواية ، ومضت المـــائة ، فكل رواة السنة إمـــا صحابي عدل ضابط ، وأما تابعى كبير ثقة يتحرى الصدق ويتشدد في الرواية ـ الا مـــا كان من اليسير الذى يقـــع لبعضهم من الأوهـــام والأخطاء ـ ومع ذلك : فقد تكلم في الرواة من الصحابة جماعة منهم ، ونقدوا بعض ما روى عنهم ، فتكلم ابن عباس وأنس بن مالك والسيدة عائشة .

وتكلم من كبار التابعين الشعبي وابن المسيب وابن سيرين وغيرهم وكان القول منهم في الرجل الواحد بعد الرجل لقلة الضعفاء في ذلك العصر .

ولما كانت أوائل المائة الثانية وعصر أوساط التابعين بعد الخمسين والمائة وفيها كان كبار اتباع التابعين ، وظهرت الفرق السياسية وانتشرت النحل والعصبية وزاحمت الثقافات الأعجمية المعارف الشرعبة ، وظهر من يتعمد الكذب ، ترويجا لبدعته وانتصاراً لمذهبه ونحلته .

فاضطر العلماء الجهابذة من علماء الجرح والتعديل الى اتساع النظر والاجتهاد في التفتيش عن الرواة ونقد الأسانيد ، فتكلم شعبة ومالك ومعمر ، ثم ابن المبارك ، وابن عيينة ، ثم يحى بن سعيد القطان وتلامذته كعلى بن المديني ويحى بن معين .

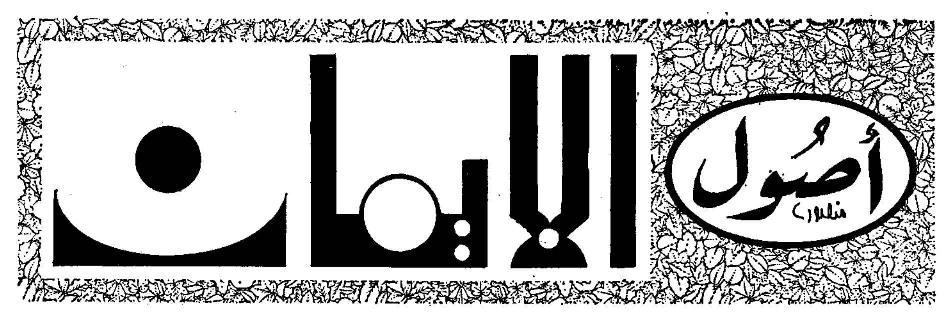
وتكلم من علماء المائة الثالثة أحمد بن حنبل، وما نقله تلاميذه في اسئلتهم له ومحـــــاورتهم معه ، ومن أعظم ثمرات تلك المحاورات كتاب المسائل التى وجهها اليه تلميذه أبو داود السجستاني ، فهو جامع شامل نافع ، وأيضا رسالة أبي داود السجستاني الى أهل مكة في بيان طريقته في سننه الشهيرة ، وتعليقاته على أحاديثها التى تعتبر النواة لعلوم الحديث ، وما كتبه تلميذ أبي داود أبو عيسى الترمذى الحافظ في كتابه « العلل المفرد » في آخر جامعه ، وما بثه في الكلام على أحاديث جامعه في طيات الكتاب من تصحيح وتضعيف وتقوية وتعليل .

وللامام البخارى التواريخ الثلاثة ، ولغيره من علماء الجرح والتعديل من معاصريه ومن بعدهم .

ـ يتبع ـ


في ظلال
العقيدة
الإسلامية





لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز / الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخيرته من حلقه وأمينه على وحيه نبينا وامامنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه الى يوم الدين .
أما بعد . .

أيها الأخوة الكرام : حديثي معكم فيهذه الكلمة فيما يتعلق بأصول الايمان ، وهذا موضوع اختارته الجامعة ووافقت عليه ، لأنه موضوع مهم جدا ، لأن مدار ديننا على هذه الأصول ، لأنه سر نجاح الأمة وسر سعادتها وسر أمنها وسر تقدمها وسر سيادتها على الأمم اذا حققته في أقوالها وأعمالها وسيرتها وجهادها وأخذها وعطائها وغير ذلك . .

وقد أوضح القرآن هذه الأصول كما أوضحها نبينا عليه الصلاة والسلام في آيات وأحاديث كثيرة ، وهي أصول ستة ، هي أصول الإيمان ، وهي أصول الدين . . فإن الإيمان هو الدين كله وهو الإسلام وهو الهدى وهو البر والتقوى وهو ما بعث الله به الرسول عليه الصلاة والسلام من العلم النافع والعمل الصالح ، كله يسمى إيمانا ، هذه أصول ديننا الستة أوضحها الكتاب العزيز في مواضع ، وأوضحها رسول الله الأمين في الأحاديث ، فمما ورد في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » الآية . فبين سبحانه هنا خمسة من أصول الإيمان . الإيمان بالله ، واليوم الآخر ،والملائكة ، والكتاب ، والنبيين. هذه خمسة أصول عليها مدار الدين ظاهره وباطنه ، وقال جل وعلا : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » الآية .

فبين سبحانه وتعالى هنا أربعة أصول في قوله : كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولم يذكر اليوم الآخر ، ولكنه ذكره في الآية السابقة ، وهذه سنة الله في كتابه يتوع سبحانه الأخبار عنه عز وجل

وعن أسمائه وصفاته ، وعن أصول هذا الدين ، وعن شئون يوم القيامة والجنة والنار ، وعن الرسل وأممهم حتى يجد القارىء في كل موضع من كتاب الله مايزداد به إيمانه وعلمه وحتى يطلب المزيد من العلم في كل موضع من كتاب الله وفي كل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسم ، قال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً » .

وقد أوضح سبحانه في هذه الآية الأخيرة أن الكفر بهذه الأصول ضلال بعيد عن الهدى والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وفي مواضع يذكر الإيمان بالله وحده لأن جميع ماذكر في الآيات الأخرى داخل في ضمن الإيمان بالله ، وفي بعضها الإيمان بالله ورسوله ، وفي بعضها الإيمان بالله واليوم الآخر فقط ، وماذاك إلاّ لأن البقية داخلة في ذلك ، فإذا ذكر الإيمان بالله دخل فيه بقية الأشياء التي ذكرها في الآيات الأخرى كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، فمن هذا قول الله جل وعلا : « آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل » فاقتصر على الإيمان بالله ورسوله والكتاب المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام والكتاب المنزل من قبل ولم يذكر الأصول الأخرى لأنها داخله في الإيمان بالله ، وهكذا قوله جل وعلا : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا » ذكر الإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب والسنة ، لأن البقية داخلة في ذلك ، فالكتاب والسنة داخلة في النور ، وهكذا كل ما أخبر الله به ورسوله مما كان وما يكون كله داخل في النور ، وهكذا قوله جل وعلا : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » فذكر الإيمان بالله ورسوله فقط وما ذاك إلاّ لأن البقية داخلة في الإيمان بالله ورسوله .

ومما جاء في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث جبريل المشهور لما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فذكر الإسلام أولا ، وفي لفظ بدأ بالإيمان ثم ذكر الإسلام ثم الإحسان ، فالمقصود أنه ذكر الإيمان بما يصلح الباطن ، لأن الباطن هو الأساس ، والظاهر تبع للباطن فسمى الأعمال الظاهرة إسلاماً لأنها إنقياد وخضوع له ، والإسلام هو الاستسلام لله والانقياد لأمره ، فسمى الله سبحانه وتعالى الأمور الظاهرة إسلاماً لما فيها من الانقياد لله والذل له والطاعة لأمره والوقوف عند حدوده عز وجل ، يقال أسلم فلان لفلان أي ذل له وانقاد ، ومعنى أسلمت لله أي ذللت له وانقدت لأمره خاضعاً له سبحانه وتعالى .

فالإسلام هو الاستسلام لله بالأعمال الظاهرة ، والإيمان هو التصديق بالأمور الباطنة ، وهذا كله عند الاقتران ، ولهذا لما قرن بينهما في هذا الحديث الصحيح فسر رسول الله عليه الصلاة والسلام الإسلام بالأمور الظاهره وهي الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج ، والإيمان بالأمور الباطنة وهي الإيمان بالله وملائكته الخ .

ومن هذا الباب ماجاء في الحديث الصحيح قيل يارسول الله أي الإسلام أفضل ، قال : أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . وفي حديث آخر أي الإسلام أفضل ، قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده .

فالإسلام أخص بالأعمال الظاهرة التي يظهر بها الانقياد لأمر الله والطاعة له والاتباع لشريعته وتحكيمها في كل شيء ، والإيمان أخص بالأمور الباطنة المتعلقة بالقلب من التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ولهذا لما سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ففسر الإيمان بهذه الأمور الستة التي هي أصول الإيمان وهي في نفسها أصول الدين كله لأنه لا إيمان لمن لا إسلام له ، ولا إسلام لمن لا إيمان له ، فالإيمان بهذه الأصول لابد منه لصحة الإسلام لكن قد يكون كاملا وقد يكون ناقصاً ، ولهذا قال الله عز وجل في حق الأعراب : « قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » .

فلما كان إيمانهم ليس بكامل . بل إيمان ناقص لم يستكمل واجبات الإيمان نفى عنهم الإيمان يعني به الكامل لأنه ينفي عمن ترك بعض الواجبات كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا صبر له » لا يؤمن أحدهم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم » من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، فليكرم ضيفه ، فليصل رحمه ، فلا يؤذي جاره ، إلى غير ذلك ، فالمقصود أن الإيمان يقتضي العمل الظاهر ، كما أن الإسلام بدون إيمان من عمل المنافقين فالإيمان الكامل الواجب يقتضي فعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك مانهى عنه الله ورسوله ، فإذا قصر في ذلك جاز أن ينفي عنه ذلك الإيمان بتقصيره كما نفى عن الأعراب بقوله تعالى: « قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » وكما نفى عمن ذكر في الأحاديث السابقة .

والخلاصة أن الله سبحانه ورسوله نفى الإيمان عن بعض من ترك واجبات الإيمان وأثبتنا له الإسلام ، فهذه الأصول الستة هي أصول الدين كله ، هي أصول إسلامنا وديننا كله ، فمن أتى بها مع الأعمال الظاهرة صار مسلماً مؤمناً ، ومن لم يأت بها فلا إسلام له ولا إيمان ه كالمنافقين فإنهم لما أظهروا الإسلام وادعوا الإيمان وصلوا مع الناس وحجوا مع الناس وجاهدوا مع الناس إلى غير ذلك ، ولكنهم في الباطن ليسوا مع المسلمين بل هم في جانب والمسلمون في جانب ، لأنهم مكذبون لله ورسوله ، منكرون لما جاءت به الرسل في الباطن ، متظاهرون بالإسلام لحظوظهم العاجلة ولمقاصد معروفة ، فلهذا صاروا كفاراً ضلالا ، بل صاروا أكفر وأشر ممن أعلن كفره ، ولهذا صاروا في الدرك الأسفل من النار ، وما ذاك إلاّ لأن خطرهم أعظم لأن المسلم يظن أنهم اخوته وأنهم على دينه وربما أفشى إليهم بعض الأسرار ، فضروا المسلمين وخانوهم ، فصار كفرهم أشد وضررهم أعظم ، وهكذا من ادعي الإيمان بهذه الأصول ثم لم يؤد شرائع الاسلام الظاهرة ، فلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أو لم يصل ، أو لم

يصم أو لم يزك ، أو لم يحج ، أو غير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة التي أوجبها الله عليه ، فإن ذلك دليل على عدم إيمانه أو على ضعف إيمانه ، فقد ينتفي الإيمان بالكلية كما ينتفي الشهادتين اجماعاً ، وقد لا ينتفي أصله ولكن ينتفى تمامه وكماله لعدم أدائه ذلك الواجب المعين كالصوم والحج مع الاستطاعة والزكاة ونحو ذلك من الأمور عند جمهور أهل العلم فان تركها فسق وضلال ولكن ليس ردة عن الاسلام عند أكثرهم ، أما الصلاة فذهب قوم إلى أن تركها ردة ولو مع الإيمان بوجوبها وهو أصح قولي العلماء لأدلة كثيرة ، وقال آخرون بل تركها كفر دون كفر اذا لم يجحد وجوبها ، ولهذا المقام بحث خاص وعناية خاصة من أهل العلم ، ولكن المقصود الاشارة إلى أنه لا اسلام لمن لا ايمان له ، ولا ايمان لمن لا اسلام له ، فهذا يدل على هذا ، وهذا يدل على هذا ، وسبق أن الاسلام سمى اسلاما لأنه يدل على الانقياد والذل لله عز وجل والخضوع لعظمته سبحانه وتعالى ، ولأنه يتعلق بالأمور الظاهرة .

وسمي الإيمان إيماناً لأنه يتعلق بالباطن والله يعلمه جل وعلا ، فسمي ايمانا لأنه يتعلق بالقلب المصدق ، وهذا القلب المصدق للدلالة على تصديقه وصحة إيمانه أمور ظاهرة ، اذا أظهر الاسلام واستقام عليه وأدى حقه دل ذلك على صحة ايمانه ، ومن لم يستقم دل ذلك على عدم ايمانه أو على ضعف إيمانه ، والإيمان عند الاطلاق يدخل فيه الاسلام ، والعكس كذلك عند اطلاق الاسلام يدخل فيه الايمان عند أهل السنة والجماعة كما قال الله عز وجل : « ان الدين عند الله الاسلام » . فالمعنى فيه الايمان عند أهل السنة والجماعة فانه لا اسلام الاّ بايمان ، فالدين عند الله هو الإسلام وهو الإيمان وهو الهدى وهو التقوى وهو البر ، فهذه الأسماء وان اختلفت ألفاظها ، فانها ترجع الى معنى واحد وهو الايمان بالله ورسله والاهتداء بهدى الله والاستقامة على دين الله ، فكلها تسمى برا وتسمى ايمانا وتسمى اسلاما وتسمى تقوى وتسمى هدى ، وكذلك اذا أطلق الاحسان دخل فيه الأمران الاسلام والايمان لأنه يخص الكّل من عباد الله فباطلاقه يدخل فيه الأمران الأولان الاسلام وا لإيمان ، وعند اطلاق أحد الثلاثة اذا أطلق فانه يدخل فيه الآخران ، فاذا قيل المحسنون هم أخص عباد الله ، فلا احسان الاّ باسلام وايمان قال تعالى : « وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » وقال سبحانه : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » فالمحسن انما يكون محسنا باسلامه وايمانه وتقواه لله وقيامه بأمر الله بهذا سمى محسنا ، ولا يتصور أن يكون حسنا بدون اسلام وإيمان .

وهكذا يا أخى لفظ المؤمنين يدخل فيه المسلمون لأنهم — أعنى المؤمنين — أخص من لفظ المسلمين ، قال الله تعالى : « وأن الله مع المؤمنين » وقال عز وجل : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار » . الآية ، فالمؤمن سمي مؤمنا لتصديقه بقلبه واسلامه بجوارحه لله وحده ، فالمؤمنون مؤمنون بتصديقهم وبأسلامهم وقيامهم بأمر الله ووقوفهم عند حدوده سبحانه وتعالى ، ومما يدل على هذا المعنى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم لما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما وترك قوما قال سعد يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وأني لأراه

مؤمنا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلما ، فعاد سعد الى مقالته والنبي عليه الصلاة والسلام يقول أو مسلما والمقصود أن الاسلام والايمان عند الاقتران لهما معنيان ، معنى أخص ، ومعنى أعم ، فالمسلم أعم من المؤمن ، والمؤمن أخص من المسلم ، فكل مؤمن مسلم ولا عكس ، ولكن عند الاطلاق يدخل أحدهما في الآخر كما سبق بيان ذلك .

وما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « الايمان بضع وسبعون شعبة ، وفي لفظ بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » فهذا الحديث يدل على أن مطلق الإيمان يدخل فيه الاسلام ، والهدى والاحسان ، والتقوى والبر ، فالايمان الذى أعلاه لا اله الا الله وأدناه اماطة الأذى عن الطريق هو ديننا كله ، وهو الإسلام ، وهو الإيمان ، ولذا قال فأفضلها قول لا اله الا الله ومعلوم أن لا اله الا الله هي الركن الأول من أركان الاسلام مع الشهادة بأن محمداً رسول الله ، فجعلها هنا أعلى خصال الإيمان . فعلم بذلك أن الإيمان عند الاطلاق يدخل فيه الاسلام وأركانه وأعماله وهكذا عند اطلاق الايمان بالله فقط أو الإيمان بالله ورسوله يدخل فيه كل ما شرع الله ورسوله من الصلاة والزكاة والحج والإيمان بالملائكة والكتاب والنبيين واليوم الآخر والقدر خيره وشره لأن هذا كله داخل في مسمى الإيمان بالله ، فان الإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته ووجوده وأنه رب العالمين وأنه يستحق العبادة ، كما يتضمن أيضا الإيمان بجميع ما أخبر به سبحانه وتعالى وشرعه لعباده ، ويتضمن أيضا الإيمان بجميع الرسل والملائكة والكتب والأنبياء وغير ذلك .

وهكذا ما جاء في السنة في هذا الباب مثل قوله صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم » يدخل فيه كل ما أخبر به الله ورسوله وكل ما شرعه لعباده ، ومن هذا الباب قوله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » أى قالوا الهنا وخالقنا ورازقنا هو الله ، وآمنوا به إيمانا يتضمن الاستقامة على ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فالقرآن الكريم من سنة الله فيه سبحانه وتعالى أنه يبسط الأخبار والقصص في مواضع ويختصرها في مواضع أخرى ليعلم المؤمن وطالب العلم هذه المعاني من كتاب مجملة ومفصلة فلا يشكل عليه بعد ذلك مقام الاختصار مع مقام البسط والايضاح ، فهذا له معنى وهذا له معنى .

وهكذا الإيمان يطلق في بعض المواضع ، وفي بعض يعطف عليه أشياء من أجزائه وشعبه تنبيها على أن هذه الشعبة من أهم الخصال وأعظمها كما قال عز وجل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم » . الآية فقوله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة من جملة الايمان والعمل الصالح لكن ذكرهما هنا تنبيها على عظم شأنهما ، وهكذا قوله عز وجل : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا » . الآية ، فالنور المنزل هو من جملة الايمان بالله ورسوله وهو داخل فيه عند الاطلاق ولكن نبه عليه لعظم شأنه ، وهكذا قوله عز وجل : « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا

وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . . فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من جملة الأعمال الصالحات ، والعمل الصالح من جملة الإيمان ، فعطف العمل على الايمان من عطف الخاص على العام ، وهكذا عطف التواصي بالحق والتواصي بالصبر على ما قبله هو من عطف الخاص على العام ، فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر من جملة الأعمال الصالحات ، ولهذا لم يذكرا في آيات أخرى ، قال جل وعلا : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » . . ولم يذكر التواصي بالحق والتواصي بالصبر لأنهما داخلان في العمل في قوله (وعملوا الصالحات) كما أنهما داخلان في الإيمان عند الاطلاق لأنه يدخل فيه عند الأطلاق كل ما أخبر الله به ورسوله عما كان وما سيكون في آخر الزمان وفي يوم القيامة وفي الجنة والنار ، كما يدخل فيه كل ما أمر الله به وزسوله ، ويدخل فيه أيضا ترك ما نهى الله عنه ورسوله وكل ذلك داخل في الإيمان عند الاطلاق ، وانما يذكر سبحانه بعض الأعمال للعطف عليه ، وترك بعض السيئات هو من باب عطف الخاص على العام ، فهكذا ما يتعلق بأصول الإيمان تارة تذكر هذه الأصول الستة جميعا كما في الآية الكريمة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم » . . الآية ، فأنه ذكر فيها خمسة ، وذكر القدر في آيات أخرى كما في قوله عز وجل : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » . . وفي قوله سبحانه وتعالى : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا أنفسكم الا في كتاب » . . . الآية — الى غير ذلك من الآيات ، وذكر بعضها في آيات أخرى ولم يذكرها كلها .

وهكذا في الحديث ذكر بعض هذه الأصول وذكر الستة في حديث جبريل ، وفي بعض الأحاديث ذكر الإيمان بالله فقط كحديث : « قل آمنت بالله ثم استقم » . . وفي بعضها الإيمان بالله واليوم الآخر ، وما ذاك الا لأن الإيمان بالله واليوم الآخر يدخل فيه كل ما أمر الله به ورسوله فان المؤمن بالله واليوم الآخر يحمله إيمانه بذلك على فعل كل ما آمر الله به ورسوله ، كما يحمله آيضا على ترك ما نهى الله عنه ورسوله ولهذا اقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر في بعض النصوص ، لأن من آمن بالله إيمانا صحيحا وباليوم الآخر حمله ذلك على آداء ما وجبه الله وعلى ترك ما حرمه الله وعلى الوقوف عند حدود الله سبحانه وتعالى ، ومن هذا قوله عز وجل : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »..

فالإيمان بما ذكر أمر لابد منه ومن لم يؤمن بذلك فانه كافر بالله عز وجل وان أظهر اسلاما وإيماناً ، ولكنه بكفره بواحد من الأصول الستة أو كفره بشيء آخر مما علم من الدين أنه من دين الله بالأدلة المعروفة فانه يكون كافرا بالله ولا ينفعه بعد ذلك ما أقر به ، فان هذا الدين لابد أن يقبل كله ، ولابد أن يحصل به الإيمان كله ، فإذا آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو كافر حقاً ، وبهذا يعلم المؤمن عظم شأن هذه الأصول وأنها أصول عظيمة لابد منها ، فيدخل في الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته ، أو أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته كله داخل في الإيمان بالله ، فيدخل في ذلك الإيمان بأنه رب العالمين ، وأنه الخلاق الرزاق وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته

وأفعاله ، ويدخل فيه أنه سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب وقدر الأشياء وعلم بها قبل وجودها سبحانه وتعالى وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، ومن أجمع ما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله سبحانه : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . . وقوله سبحانه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .. وقوله عز وجل : « فـلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون » . . وقوله عز وجل « هل تعلم له سميا » الى أشباه هذه الآيات الدالة على كماله سبحانه وأنه جل وعلا موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب ، فهو كما أخبر عن نفسه و كما اخبر عنه الرسول محمد عليه الصلاة والسلام له الأسماء الحسنى وله الصفات العلا .

فواجب على المؤمن أن يؤمن بكل ما أخبر الله عنه ورسوله من أسماء الله وصفاته ويعرفها كما جاءت لا يغير ولا يبدل ولا يزيد ولا ينقص ، بل يعرفها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل تثبت كما أثبتها السلف الصالح .

فمن ذلك الاستواء ، والنزول ، والوجه ، واليد ، والرحمة ، والعلم ، والغضب ، والارادة وغير ذلك كلها صفات لله عز وجل فتثبت له سبحانه كما جاء في الكتاب العزيز و كما جاء في السنة الصحيحة نثبتها له كما أثبتها السلف الصالح من أهل السنة والجماعة كما أثبتتها الرسل عليهم الصلاة والسلام فنقول استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، ليس كما تقول الجهمية استولى فانه ليس في موقف المغالب جل وعلا فلا أحد يغالبه فهو مسئول على كل شيء جل وعلا ، ولكن الاستواء صفة خاصة بالعرش معناه العلو والارتفاع فهو عال فوق خلقه مرتفع فوق عرشه استواء يليق به سبحانه لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جل وعلا ، فاستواؤه أمر معروف كما قال مالك رحمه الله : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، و كما قال ربيعة شيخ الامام مالك رحمهما الله و كما قالته أم سلمه رضي الله عنها و كما قاله أهل السنة والجماعة ، فالصفات معلومة وكيفها مجهول والإيمان بها واجب ، هذا طريق الصفات كلها ، العلم ، والرحمة ، والغضب ، والوجه ، واليد ، والقدم ، والأصابع وغير ذلك مما جاءت به الآيات ، والسنة الصحيحة طريقها واحد ، وهكذا حديث النزول نؤمن به ونثبت معناه لله على الوجه اللائق به ولا يعلم كيفيته سواه ، فنقول ينزل بلا كيف كما يشاء سبحانه وتعالى نزولا يليق بجلاله وعظمته لا ينافي علوه وفوقيته سبحانه وتعالى ولا يشابه نزول المخلوقين .

وهكذا استواؤه على العرش لا ينافي علمه بالأشياء واحاطته بها وأنه مع عباده ومع أهل طاعته مع عباده بعمله واطلاعه سبحانه وتعالى كما قال عز وجل : « وهو معكم أينما كنتم » فهذا لا ينافي علوه واستواءه على عرشه فهو معنا بعلمه واطلاعه ، وهو فوق العرش سبحانه وتعالى كما يشاء و كما أخبر جل وعلا من غير تحريف ولا تكييف ، وهو مع أوليائه وأهل طاعته بعلمه وتأييده أيضا وعنايته بهم و كلأته لهم ونصره اياهم ، فهما معيتان ، معية عامه تقتضى العلم والاحاطة ورؤية العباد ، وأنه لا تخفى عليه

خافية ، ومعية خاصة مع أنبيائه وأهل طاعته مثل قوله سبحانه : « انني معكما أسمع وأرى » . . « لاتحزن إن الله معنا » ومثل « واصبروا ان الله مع الصابرين » الى أمثالها ، وهي معية خاصة تقتضى الحفظ والكلاءة والتأييد والتوفيق مع العلم والاطلاع كما قال عز وجل : « وهو معكم أينما كنتم » .

وليس كما تقول الجهمية والمعتزلة وأشباههم من حلوله في كل مكان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، فالله سبحانه وتعالى فوق خلقه وفوق عرشه كما أخبر ، وعلمه في كل مكان ، وليس مختلطا بخلقه سبحانه وتعالى ، فأهل السنة والجماعة يدخلون في الإيمان بالله الإيمـــان بكل ما أخبر الله به عنه ورسوله ، والإيمان بجميع اسمائه وصفاته ، كل ذلك عندهم داخل في الإيمان بالله عند الاطلاق فيؤمنون به سبحانه ربا ومعبودا بالحق ، كما يؤمنون بأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، يخلق ويرزق ويعطى ويمنع ويخفض ويرفع الى غير ذلك من صفات الكمال ، فهو المعبود الحق ، وهو الخلاق العليم ، وهو الرزاق لعباده ، وهو على كل شيء قدير .

وكل هذه الصفات لا تشبه صفات خلقه ، بل صفاته تليق به عز وجل ، وصفاتنا تليق بنا ، وصفاته لها البقاء ولها الدوام ولها الكمال ، وصفات العبد لهـــا النقص والاضمحلال ، كل هذا داخل في الإيمان بالله عز وجل ، ويدخل في الإيمان بالملائكة الإيمان المجمل والمفصل ، فالملائكة قسمان : —

قسم نعلمه لأنهم قد سموا لنا ، فنؤمن بهم وبأسمائهم تفصيلا ، كميكائيل واسرافيل وعزرائيل وملك الموت وما أشبه ذلك من الملائكة ، والبقية نؤمن بأن لله ملائكة كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى كما قال عز وجل : « بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » .

ونؤمن بأنهم أقسام منهم موكل بنا لحفظ أعمالنا وكتابتها ، ومنهم موكل بالسياحة في الأرض يحضرون مجالس الذكر ويستمعون لهـــا ، ومنهم الذين يتعاقبون فينا ليلا ونهارا ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم غير ذلك ، وقد جاء في الحديث الصحيح أنه يدخل البيت المعمور الذى في السماء السابعة كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه آخر ماعليهم وهذايدل على كثرتهم وأنهم جنود لا يحصيهم الاّ الله عز وجل فنؤمن بهم اجمالا وتفصيلا وأنهم عباد مكرمون ليسوا بشرا وليسوا جنا ولكنهم خلق آخر خلقوا من النور كما في الحديث الصحيح خلقت الملائكة من النور لهم شأن آخر ، يتشكلون كما يشاء الله عز وجل ، ولهم أعمال ، ولهم صفات تليق بهم بعضها علمناه من السنة لمجيء جبريل تارة في صورة فلان وتارة في صورة فلان وتارة في صورته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، وتارة في صورة انسان مجهول لا يعرف لما جاء يسأل عن الاسلام والإيمان الى غير ذلك .

فالمقصود أنهم يتلونون بالألوان التى يريدها الله جل وعلا ويشاؤها سبحانه وتعالى ولهم خلقة يعلمها الله عز وجل ، وهم لهم أجنحة كما أخبر الله في كتابه العظيم في سورة فاطر الى غير ذلك

مما أخبر الله به عز وجل في الكتاب والسنة ، فنؤمن بما جاء في الكتاب والسنة تفصيلا ، ونؤمن بهم على سبيل الاطلاق والاجمال فيما لا نعلم من شأنهم وصفاتهم .

وهكذا مسألة الكتب ، الباب واحد ، يؤمن المؤمن بكتب الله اجمالا وأن لله كتبا أنزلها على رسله وأنبيائه لا نحصيها نحن ، ولكن نؤمن بها اجمالا ، ونؤمن بما فيها اجمالا ، أما تفاصيلها وما فيها فالى الله سبحانه وتعالى ، ومنها ما سمي لنا ، كالتوراة ، والانجيل ، والزبور ، وصحف موسى وابراهيم ، والكتاب العظيم وهو القرآن الكريم ، نؤمن بهذه الكتب التى سميت لنا ، وأما ما لم يسم لنا فنؤمن بأن لله كتباً أنزلها على رسله وأنبيائه لا يحصيها الا ّ الله جل وعلا ولا يعلمها الا ّ هو ، الاّ بنص يثبت لنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان شيء من ذلك .

وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام فيهم تفصيل واجمال ، فنؤمن بهم ايمانا مجملا وأن لله رسلا أرسلهم الى الناس ، مهمتهم دعوتهم الى الله كما قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » . . « وما أرسلنا من قبلك من رسول الاّ نوحى اليه أنه اله الاّ أنا فاعبدون » . . فلله سبحانه رسل أرسلهم لعباده مبشرين ومنذرين ، أما احصاؤهم وبيان أسمائهم ، فهذا اليه سبحانه وتعالى ، لكن جاء في حديث أبي ذر ، وجاءت له شواهد من حديث أبي أمامة وغيره ما يدل أن الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر ، لكن أسانيدها لا تخلو من مقال .

أما الأنبياء فقد جاء في احدى الروايات أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كلهم أنبياء وفي رواية مائة وعشرون ألف ، لكن أسانيدها فيها مقال كما تقدم ، والحاصل أن الأنبياء والرسل جم غفير ، لكن علم عددهم بالقطع يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، علينا أن نؤمن ايمانا مجملا أن لله رسلا وأنبياء أرسلوا لبيان الحق وارشاد الخلق كما قال عز وجل : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاّ اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » . . الآية .

وقال سبحانه وتعالى : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وقال عز وجل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الآية ، فالله له رسل كثيرون وله أنبياء كثيرون لا يحصيهم إلاّ الله جل وعلا .

إننا نؤمن بذلك إيماناً تفصيلياً وإجمالياً وهم جم غفير ومهمتهم عظيمة وهي الدعوة التي توحيد الله ونهي الناس عن الشرك بالله وبيان شرائع الله لهم وأمرهم بما أمر الله به ونهيهم عما نهى الله عنه ، هذه مهمتهم ، ونؤمن تفصيلياً بمن سمى منهم ، كنوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان وهود ، وصالح ، وغيرهم ، وآدم من جملتهم ، فقد جاء في بعض الروايات من حديث أبي ذر وغيره أنه نبي مكلم معلم ، وجاء في بعضها أنه رسول ، وهو لاشك أنه يوحي إليه وأنه على شريعته ، إنما الشك

هل هو نبي رسول ، أو نبي فقط ، اختلفت الروايات في ذلك فالمقصود أن آدم من جملة الأنبياء بلاشك وأنه على شريعة ، وحديث جمع الناس يوم القيامة وتقدم المؤمنين إلى نوح وقولهم له يانوح أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ، يحتج به على أن نوحاً أول الرسل وأن آدم نبي مكلم فقط ، ولو صح أنه رسول فالمعنى أنه رسول إلى ذريته بخلاف نوح فإنه أرسل إلى قومه وهم أهل الأرض ذلك الوقت ، أما آدم فإنه أرسل إلى ذريته بشريعة خاصة قبل وقوع الشرك ، وأما نوح فقد أرسل إلى قومه وهم ذلك الوقت أهل الأرض جميعاً من ذريته وغيرهم بعد وقوع الشرك في الأرض ، وبذلك لا يبقى تعارض بين كون آدم رسولا إن صح الحديث وبين كون نوح هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض .

وهكذا القول في الأصل الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر نؤمن به إجمالا وتفصيلا ، فنؤمن بما سمى الله من أمر الآخرة ، كالجنة والنار والصراط والميزان وغير ذلك وماسوى ذلك مما لم يرد في الآيات والأحاديث الصحيحة تفصيله ، نؤمن به على سبيل الإجمال .

وهكذا القدر ، وهو الأصل السادس ، نؤمن به كما جاءت به النصوص ، والإيمان به يشمل أربعة أشياء عند أهل السنة ، وهي العلم بأن الله سبحانه وتعالى قد علم الأشياء كلها وأحصاها وأنه لا تخفى عليه خافية جل وعلا فهو سبحانه يعلم كل شيء كما قال عز وجل « إن الله بكل شيء عليم » بهذا يرد على الجهمية والمعتزلة الذين أنكروا هذا العلم ، ولهذا قال الشافعي « رحمه الله » في حقهم : ناظروهم بالعلم ، فإن أقروا به خصموا وأن جحدوه كفروا ، لأن قولنا إن الله عالم بالأشياء هذا هو القدر ، لأن الأشياء لا تخفى على الله ، فمتى علم الله بالأشياء فمستحيل أن تقع على خلاف علمه ، لأن وقوعها على خلاف علمه يكون جهلا .

أما إن جحدوا ذلك ، وقالوا لا يعلم ، فهذا كفر وضلال وتكذيب لله سبحانه وتعالى ووصف له وهذا تنقص عظيم يوجب كفر من قاله .

(الأمر الثاني) الكتابة ، وهو أن الله سبحانه قد كتب الأشياء كما قال عز وجل « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » وقال سبحانه : « ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير » فالمقصود أنه كتب الأشياء جل وعلا ، وهكذا حديث عبد الله بن عمر : إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء . أخرجه مسلم في صحيحه .

فكتابة الأشياء التي أوجدها سبحانه أو سيوجدها أمر معلوم جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فعلينا أن نؤمن بذلك وأن الله كتب الأشياء كلها وعملها وأحصاها لا تخفى عليه خافية وهو سبحانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير سبحانه وتعالى .

(الثالث) مشيئته النافذة وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء في ملكه دون مشيئته جل وعلا ، بل ماشاء الله كان وإن لم يشأ الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس فلا بد إذا من الإيمان بهذه المشيئة ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال عز وجل « لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » وقال سبحانه : « لمن شاء ذكر ، وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله » فالمقصود أنه سبحانه له المشيئة الكاملة النافذة « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » سبحانه وتعالى .

(الأمر الرابع) قدرته على الأشياء وخلقه وإيجاده لها ، وأن نؤمن بأنه سبحانه على كل شيء قدير وأنه الخلاق العليم وأن جميع الأشياء الموجودة هو الذي خلقها وأوجدها ، وهكذا في المستقبل لا أحد يشاركه في ذلك ، بل هو الخلاق والرزاق وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم كما قال سبحانه « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » .

فالإيمان بالقدر يشمل هذا كله ، يشمل علمه بالأشياء ويشمل إيماننا بعلمه بالأشياء وكتابته لها وإيماننا أيضاً بأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وإيماننا أيضاً بأنه الخلاق لكل شيء وأن جميع الأشياء هو خالقها وموجدها سبحانه وتعالى ، وفي هذا رد على من قال خلاف ذلك من المعتزلة وغيرهم ، فإن من أنكر مشيئة الله وقال إنه يوجد في ملكه مالا يريد فهو مكذب لله عز وجل متنقص له سبحانه وتعالى فلا بد من الإيمان بأنهعلى كل شيء قدير وأن ماشاءه كان وما أراده بإرادته الكونية كان ولكن بعضالناستخفىعليهم هذه الأشياء التي جاءت بها الرسل ، فيجب أن تبين لهم بأدلتها ، وأن يوضح لهم الفرق بين الإرادة الكونية التي لا يتخلف مرادها وهي المذكورة في مثل قوله سبحانه « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وبين الإرادة الشرعية التي قد يتخلف مرادها بالنسبة إلى بعض الناس وهي المذكورة في قوله سبحانه : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم » الآية .

ومعلوم أن بعض الناس مات على جهله ومات على غير توبة ، وقال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم الآية ، هذه إرادة شرعية ، لأنه سبحانه قد خفف على قوم ولم يخفف على آخرين ، فمعنى ذلك أنه أمر بهذا ورضي به وأحبه ، ولكن من الناس من وفق لهذا الشيء ومنهم من لم يوفق له ، ومن ذلك ماجاء في الحديث الصحيح « أن الله سبحانه يقول يوم القيامة لبعض المشركين لو كان لك مثل الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به ، فيقول نعم ، فيقول الله سبحانه له قد أردت منك ما هو أدنى من ذلك وأنت في صلب أبيك آدم أردت منك أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ الشرك ، يعني أردت منك شرعاً أن لا تشرك بي » وذلك بما جاء على ألسنة الرسل من الأمر بعبادته وحده والنهي عن الإشراك به ، لكن أبى أكثر الخلق الاّ الشرك بالله عز وجل ، ولم يقبلوا الإرادة الشرعية فمن آمن بهذه الأمور الأربعة ، وهي علم الله سبحانه بجميع الأشياء وكتابته لها ، ومشيئته لما وجد منها ، وأنه سبحانه خالق الأشياء وموجدها ، فقد آمن بالقدر . إيماناً كاملا ، ومن قصر في ذلك فقد قصر في الإيمان بالقدر ولم يسر على هدى أهل السنة والجماعة في

ذلك ، ولم يؤمن بالقدر على حقيقته ، بل آمن ببعضه وكفر ببعض ، ثم هذا الإيمان بالقدر لا يلزم منه أن يكون العبد مجبوراً لا إرادة له ولا مشيئة وإنما هو كالسعفة تطيرها الرياح هكذا وهكذا وكالريشة في الهواء خلافاً للقدرية المجبرة من الجهمية وغيرهم ، بل له اختيار ومشيئة وله ارادة وعقل يميزه به ، ولكن هذه المشيئة وهذه الإرادة وهذا الاختيار لا يكون به شيء بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى « لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين » .

فهو مخير ومسير ، مخير من جانب لأن الله أعطاه عقلا وأعطاه بصراً وأعطاه أدلة ومكنه من الإيمان والعمل فهو قادر وله إرادة وله مشيئة يقدر أن يتباعد عن المعصية ويقدر أن يطيع وأن يعصي ويقدر أن يتصدق ويقدر أن يمتنع ، وهو مسير من جهة أخرى وهي أنه ليس له مشيئة إلاّ بعد مشيئة الله ولا اختيار إلاّ بعد اختيار الله ولا يستقل بالأشياء ، فله إرادة خـــاصة ومشيئة خاصة بعد مشيئة الله وإرادته ، ولهذا قال عز وجل : « هو الذي يسيركم في البر والبحر » الآية فالإنسان سائر ومسير ، هو سائر بما أعطاه الله من العقل والاختيار والمشيئة،ومسير بما سبق في علم الله من القدر السابق ، فهذا لا يمكن أن يخالفه ولا يحيد عنه ، ومن هذا يعلم المؤمن الفرق بين عقيدة السلف الصالح ، وعقيدة المعتزلة والقدرية النفات ، وعقيده القدرية المجبرة .

فالقدرية المجبرة غلو في إثبات القدر حتى قالو ليس للعبد إرادة ومشيئة ، وقد أخطأوا في ذلك وأصابوا في الإيمان بالقدر .

أما القدرية النفات ، فغلوا في نفي القدر وأفرطوا في ذلك وأخطأوا في هذا غاية الخطأ ولكنهم أصابوا في إثبات المشيئة والاختيار للعبد ، وأخطأوا في جعله مستقلا بذلك . فأهل السنة والجماعة أخذوا ماعند الطائفتين من الحق وتركوا ماعندهما من الباطل .

وهكذا يجب على أهل الحق إذا ردوا على أهل الباطل أن يفصلوا وأن ينصفوا ، فيقولوا لهم قلتم كذا وقلتم كذا ، فنحن معكم في هذا ، ولسنا معكم في هذا ، نحن معكم في الحق الذي قلتموه كالإيمان بالقدر ولسنا معكم بأن العبد مجبور ، بل له اختيار ومشيئة ، ويقال للمعتزلة وأشباههم نحن معكم في أن العبد له مشيئة واختيار ، ولكن لسنا معكم في تجهيل الله سبحانه وإنكار علمه ومشيئته .

وهكذا يقال للشيعة نحن معكم في محبة أهل البيت ومحبة علي رضي الله عنه وأرضـــاه فإنه ومن سار على نهجه على هدى وأنه من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أفضلهم بعد الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً ، ولكن لسنا معكم في أنه معصوم ولسنا معكم في أنه الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل قبله ثلاثة ، ولسنا معكم في أنه يعبد من دون الله ويستغاث به وينذر له ونحو ذلك ، لسنا معكم في هذا ، لأنكم مخطئون في هذا خطأ عظيماً ، لكن نحن مغكم في محبة أهل البيت

الملتزمين لشريعة الله والترضي عنهم والإيمان بأنهم من خيرة عباد الله عملا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في حديث زيد بن أرقم « أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي »

وهكذا بقية الطوائف نأخذ مامعهم من الحق ونقر لهم به ، ونرد عليهم باطلهم بالأدلة النقلية والعقلية . . وبهذا يتضح أن هذه الأصول الستة هي أصول الدين ، وهي الجامعة لكل ما أخبر الله عنه ، فمن استقام عليها قولا وعملا فقد استكمل الإيمان وسلم من النّفاق ، لأن هذه الأصول تقتضي من المؤمن بها أداء ما أوجب الله عليه له ولعباده ، وتقتضي تصديقه بكل ما أخبر الله به في كتابه ، أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح من السنة ، ومن جحدها أو جحد شيئاً منها لم يكن مؤمناً .

والخلاصة أن هذه الأصول أصول عظيمة وقواعد أساسية لهذا الدين العظيم ، تجب مراعاتها والاستقامة عليها في جميع الأحوال ، والبراءة من كل ماخالفها ، ومن أتى بقول أو عمل يوجب كفره فهو دليل على عدم إيمانه بهذه الأصول أو بعضها الإيمان الصحيح ، وذلك مثل ترك الصلاة المكتوبة ، فإن الذي لا يصلي لا إيمان عنده على الصحيح يحجزه عن ترك الصلاة التي هي عمود الإسلام ، ولهذا فإن القول الصواب إنّه كافر كفراً أكبر ، وكالذي يستهزىء بالله ، أو بالجنة ، أو بالقرآن ، وما أشبه ذلك فإنه كافر إجماعاً ، لأن هذا الاستهزاء والتنقص دليل على أن دعواه الإيمان باطلة ، وأنه ليس عنده إيمان يحجزه عن الاستهزاء بالله ورسوله .

وهكذا الذي يهين المصحف أو يلطخه بالنجاسة أو يجلس عليه وهو يعلم أن المصحف كتاب الله ، هذا دليل على أن هذا الرجل لا إيمان له ، وإنما يدعى الإيمان ، ولو كان عنده إيمان صحيح لحجزه عن هذا العمل الذي يوجب كفره .

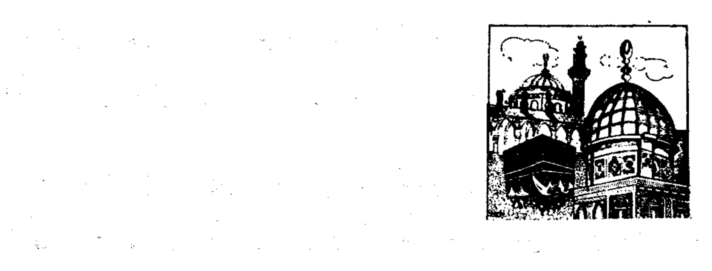
وهكذا من استهزأ بالرسل أو كذب بعضهم يكون عمله دليلا على أن ايمانه ليس بصحيح بل هو دعوى ، وعلى هذا يقاس بقية الأمور التى تقع من الناس ، ومن ذلك قوم مسيلمة لما صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وصلوا وصاموا ، ولكنهم ادعوا أن مسيلمة شريك في الرسالة صاروا عند أهل العلم والإيمان من الصحابة ومن بعدهم كفارا لا نزاع بين أهل العلم في ذلك ولو صلوا وصاموا وقالوا ان محمدا رسول الله ، لأنهم لما قالوا ان مسيلمة شريك في الرسالة كفى هذا في كفرهم لأنهم بهذا قد كذبوا قول الله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » كما كذبوا الأحاديث الصحيحة المتواترة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين والمرسلين .

وهكذا القاديانية لما آمنوا بأن غلام أحمد نبي وأنه يوحى اليه ، صار من آمن منهم بهذا كافرا كفرا أكبر لأنه مكذب لله ورسوله وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » وهكذا من لم يؤمن بأن الجنة حق ، أو

لم يؤمن بأن النار حق ، أو قال ان النار ليست عذابا لأهلها بل نعيم لهم ، كما يقول ذلك ابن عربي الضال المعروف بالقول بوحدة الوجود ، ولا شك أن هذا انكار لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع أهل العلم من كون النار أعدها الله عذابا لا نعيما جزاء لهم على ما فعلوا من الأعمال التى حرمها الله عليهم وعلى ما تركوه مما أوجب الله عليهم ، وعلى ما كذبوا به مما أخبرت به الرسل ودل عليه الكتاب العزيز ، والقرآن مملوء من الآيات الدالة على أن النار عذاب لأهلها ، لا ينكر ذلك الا مكابر معاند ، أو جاهل لا يدرى شيئا مما جاءت به الرسل ، أو فاقد للعقل .

ويتبين من هذا أن الأمور تؤخذ أحكامها على ظاهر الكتاب والسنة ، وعلى ما أخبر الله به ورسوله ، وعلى ما جاء عن سلف الأمة ، ومن أبى ذلك ، وأدعى خلاف ما تقتضيه هذه الأصول فان دعواه باطلة .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا للفقه في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ويرزقنا وسائر المسلمين الإيمان الصادق والعمل الصالح ، وأن يمنحنا الثبات على الحق حتى نلقاه سبحانه انه سميع مجيب ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه باحسان .





إضافة الرب سبحانه إلى مخلوقاته :

أسلفت القول إن عباد الله المخلصين كان جل أدعيتهم بصفة الربوبية ، لأن دعاء الرب عز وجل إنما هو طلب العطاء إنعاماً منه سبحانه وتفضلا ، والعطاء من خصائص الربوبية ، فهو تبارك وتعالى المعطى لكل مطلوب من خزائنه الملآى التى تحوى كل شيء كما يقول تعالى (وان من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما تنزله إلا بقدر معلوم) « الحجر » . . وهو كذلك المعطى لكل مطلوب دون أن يخشى نفاد ما عنده ، لأن ما عنده غير قابل للنفاد ، كما يقول تعالى : (إن هذا لرزقنا ما له من نفاد) « ص »

وقد أضيف اسم الرب سبحانه إلى بعض مخلوقاته ، لوصفه تعالى بدلائل العظمة ، وعظيم القدرة، وكمال الملك ، لتشريف هذه المخلوقات . . ومن أمثلة هذه الإضافة ما يأتي :

١ ــ الإضافة إلى « العالمين » :

وقد وردت هذه الإضافة في القرآن الكريم حول اثنتين وأربعين مرة . وذلك مثل قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » ــ الفاتحة ــ وقوله : « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ــ البقرة ــ ، وقوله : « ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين » ــ المائدة ــ ، وقوله : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين » ــ الأنعام ــ وقوله : « ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » ــ الأعراف ــ . وقوله : « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » . . إلى غير ذلك من الآيات .

وكلمة « العالمين » معناها : من سوى الله تعالى . . فهو جل شأنه ربهم بخلقه لهم ، وإعداده لهم ما يحتاجون إليه من آلات ، وإنعامه عليهم بعظيم النعم التى لو فقدوها لما أمكن لهم البقاء ــ وتربيته تعالى لخلقه نوعان : عامة وخاصة . فالعامة هى خلقة لهم ورزقهم وهدايتهم لما فيه صالحهم وبقاؤهم في الحياة الدنيا ، والخاصة تربيته لأوليائه بالإيمان ، وتوفيقهم لكل خير يرضيه ، ودفع كل ما يصرفهم عن ربهم

عز وجل ، وبهذا تضمن وصفه تعالى بأنه « رب العالمين » بانفراده بالخلق والإنعام والتدبير وكمال غناه عن خلقه غنى مطلقا ، وكمال فقر خلقه إليه فقراً مطلقاً .

وما دام أن « العالمين » تعني ما سوى الله تعالى ، وما سواه هو المخلوقات ، فإن إضافة الرب إلى « العالمين » إنما هي إضافة الخالق إلى المخلوق ، وهي إضافة إلى عام وهو المخلوقات .

وما يضاف إليه الرب سبحانه عدا « العالمين » فهو جزء من « العالمين » .

٢ – الإضافة إلى « كل شيء » :

وقد وردت هذه الإضافة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : « قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ؟ . . » والإضافة إلى «كل شيء » تعني الإضافة إلى المخلوقات ، لأن كل شيء سوى الله مخلوق . فهذه الإضافة تماثل الإضافة إلى : « رب العالمين » .

٣ – الإضافة إلى « السماوات والأرض » :

والسماوات والأرض جزء من المخلوقات . . وقد وردت هذه الإضافة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة . وذلك مثل قوله تعالى : « قل من رب السماوات والأرض ؟ . . قل الله – الرعد – ، وقوله : « ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر » – الإسراء – وقوله : « فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا » – الكهف – . وقوله : « رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » – ص – الى غير ذلك من الآيات .

ووردت الإضافة إلى « السماء والأرض » مرة واحدة في قوله تعالى : « فوربِّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

٤ – الإضافة إلى « و « العرش العظيم » و « العرش الكريم » :

والعرش جزء من المخلوقات وهو أعظمها كما أشارت الأحاديث الصحيحة إلى ذلك . . وقد وردت الإضافة إلى العرش مرتين في قوله تعالى : « فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ، وفي قوله : « سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون » – الزخرف – ووردت الإضافة إلى « العرش العظيم » ثلاث مرات في قوله تعالى : « فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » – التوبة – وفي قوله : « قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم » – المؤمنون – وفي قوله : « الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم » – النمل – ووردت الإضافة إلى «العرش الكريم» مرة واحدة في قوله : تعالى « فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » – المؤمنون –

٥ – الإضافة إلى « المشرق والمغرب » و « المشارق » و « المشرقين والمغربين » و « المشارق والمغارب »

والمشرق والمشرقان والمشارق ، والمغرب والمغربان والمغارب كلها جزء من خلق الله تعالى . وقد وردت الإضافة في مثل قوله تعالى : « رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون » – الشعراء – وفي قوله : « رب المشرقين ورب المغربين » – الرحمن – وفي قوله : « رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » – الصافات – وفي قوله : « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » – المزمل – وفي قوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » – المعارج –

٦ – الإضافة إلى « موسى وهارون » عليهما السلام :

وهما جزء من خلق الله تعالى . وقد وردت هذه الإضافة في قوله تعالى : « قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون » – الأعراف – .

٧ – الإضافة إلى « مكة المكرمة » :

وهى جزء من خلق الله تعالى . وقد وردت هذه الإضافة في قوله تعالى : « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التى حرمها » – النمل –

٨ – الإضافة إلى « البيت الحرام » :

وهو جزء من خلق الله – وقد وردت هذه الإضافة في قوله تعالى : « فليعبدوا رب هذا البيت » – قريش –

٩ – الإضافة إلى « الفلق » :

وهو الصبح ، وهو جزء من خلق الله . وقد وردت هذه الإضافة في قوله تعالى : « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » – الفلق –

١٠– الإضافة إلى « الناس » :

والناس جزء من خلق الله . وقد وردت هذه الإضافة في قوله تعالى : « قل أعوذ برب الناس » – الناس – وهكذا وردت في القرآن الكريم إضافة اسم الرب سبحانه وتعالى إلى كثير من مختلف مخلوقاته كبيرة وصغيرة لتدل على صفات العظمة والقدرة والملك على الإطلاق .

كما وردت هذه الإضافة بنفس المعنى في بعض الآحاديث النبوية ، وذلك في :

١ — ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) . رواه البخارى ومسلم .

٢ — ما ر ى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن » . . رواه مسلم . .

٤ — وما روى عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول : « اللهم رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان . . « رواه مسلم والترمذى وقال حديث صحيح .

٥ — وما روى عن أبي هريرة قال : قال أبو بكر : قلت : يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال : « قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض ، رب كل شيء ومليكه » . . رواه الترمذى وأبو داود والدارمى وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

من العرض الموجز الذى أسلفته في الإضافة السابقة ، يبين أن ربنا جل وعلا يلفتنا بهذه الإضافة إلى صفاته من العظمة والجلال والقدرة والملك على وجه التفرد والإطلاق .

وقد استجاب إلى هذا اللفت عباد الله المخلصين ، ومن ذلك مثلا ما حكاه الله تعالى عن جواب موسى على فرعون سأله : « قال فمن ربكما يا موسى ؟ . . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » — طه — فكان جوابه ببيان خصائص الربوبية من الخلق وهداية كل خلق لما يصلح له في حياته . والذى يخلق يمد من يخلقه بالنعم التى تقيم له حياته .

كذلك ما حكاه الله تعالى عن أصحاب الكهف المؤمنين في قوله : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططا »— الكهف — فكان قول أولئك المؤمنين متضمنا بيان خصائص الربوبية من خلق السماوات والأرض ، والذى يخلق هذين الخلقين العظيمين يدبر أمرهما بما يكفل حفظهما على أكمل وجه وأتم نسق .

ولو أننا أردنا أن نستقصى إضافة الرب إلى مخلوقاته في الكتاب والسنة وتفصيل مفهوم كل إضافة لطال بنا الكلام بما لا تتسع له هذه الصفحات ، لكنها إشارة عابرة ، وعجالة خاطفة ، أردت بها أن أذ كر في هذا الأمر ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وعسى أن ييسر الله فأعود في بحث مستقل الى تفصيل هذا الموضوع .

ولو أن الإنسان ذا العقل السليم يمعن النظر في آيات الله المنبثة في السموات والأرض، لخرّ ساجدا مقراً أن هذا الكون لابد له من خالق عليم ، قادر حكيم ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا تأخذه سنة ولا نوم. والاّ اضطراب هذا الكون ، وفسد سيره ، وأختل نظامه ، ولوجدنا السماء تارة تهبط وتارة تعلو ، ولوجدنا الشمس تصعد فيهلك الخلق من البرودة وتارة تدنو فيهلك الخاق من الحرارة ولوجدنا البحار تفيض مياهها تارة وتفيض أخرى فتقضى على الحياة على سطح الأرض ، ولكننا نجد الكون كله يسير في دقة ونظام ، وسنة لا تتبدل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . . وصدق ربنا الحكيم : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »؟

ورغم كل هذه الآيات الناطقات المقرات بالخلاق العظيم ، رأينا في كل عصر — وخاصة العصر الحديث من يتجرأ بالتصريح بإنكاره ، معلنا أن الطبيعة هى التى خلقت وتخلق كل شيء .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً . .

المنكرون للخالق سبحانه وتعالى :

وإن هناك قوماً ينكرون خالق الكون جل وعلا ، ويعتقدون أن الطبيعة هي التي طبعت نفسها وهي التي خلقت كل شيء ، ومن ثم لا يؤمنون بدين ولا يؤمنون برسل ولا برسالات ، ومن هؤلاء الشيوعيون الملاحدة الذين يقولون (إن الدين هو أفيون الشعوب) ، ويقولون (إن الدين هو الغذاء الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم في الوقت الذي لا يتمكن من إزالتها) ، ويقولون (إن الدين هو خمرة الشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ، ويلهيها بما يغريها من نعيم الدنيا ليستأثر به قادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية أو يسرقوا منه خلسة ما يطيب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه) . . ولا يؤمن هؤلاء أعداء الدين بوجود الخالق المغيّب عنهم الذي لا تراه أعينهم ولا تحسه حواسهم ، بل يؤمنون بالماديات المشاهدة المحسوسة التي لا سبيل إلى الشك في وجودها .

ولقد تداولت هذه الأفكار في العصر الحاضر في العالم ، وتسربت إلى قلوب طائفة من المسلمين خاصة شبابهم في مختلف البلاد ، فاعتنقوها ، وآثروا مبادئها العفنة على مبادىء الإسلام العظيمة ، وسبب ذلك أن الشيوعية وما شاكلها من المبادىء الإنحلالية الملحدة الهدامة تحطم كل القيم ، وتدمر كل القيود ، وتتخطى كل الحدود ، فلا يلتزم الفرد فيها بأي رباط يربطه بخالقه لأنه لا يؤمن به ، وينفلت انفلاتاً لا يعول فيه على شيء ، ولا يرعى فيه أحداً فيرتكب كل منكرة ويأتي كل فحش ، ويمارس كل خبث ويطلق العنان لشهوات نفسه دون قيود ، ويرى في حدود الدين أغلالا يكاد يختنق بها ، وقد أشار الله تعالى إلى ظلم من يتخطى حدوده التي وضعها لصالح عباده فقال تعالى : « وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (الطلاق) . ومن ثم لا ينبغي للإنسان أن يتعدى المعالم التي وضعها الله تعالى فرقاناً بين الحلال والحرام وإلا أورد نفسه موارد المهالك المدمرة .

وإن السبب الرئيسي في تقبل بعض المسلمين وعلى الأخص شبابهم تلك المبادىء الهدامة هو خلو قلوبهم من عقيدة الإسلام الصحيحة ، ولو أن قلوبهم قد امتلأت بهذه العقيدة لطردت كل فكر خبيث مدمر ، ولفظت كل مبدأ هدام .

وإن الذين يؤمنون بتلك المبادىء الإلحادية يحملون سؤالا يرفعونه دائماً بين أيديهم يواجهون به كل من يحاول أن يعرض عليهم الإسلام ، إنهم يسألون فيقولون (ما الدليل العقلي على وجود الله) ؟ . ويظنون بهذا السؤال أنهم أعجزوا من وجهوه إليه وأفحموه .

ولقد شاع هذا السؤال ، حتى وإن بعض المنظمات الألحادية العالمية ، قد حاولت أن توصد الباب أمام الإجابة على هذا السؤال ، فطبع أكابر مجرميها نشرات تشمل إنكاراً صريحاً للخالق سبحانه ، يوزعها شباب مخنفس ، وشابات مخنفسات ، حصلتُ على بعضها ، عندما ابتعثني الجامعة الإسلامية للدعوة إلى الله تعالى في صيف عام ١٩٧٦ م باستراليا وأنا أمر بأحد شوارع مدينة سيدني أكبر مدن وموانى استراليا وعاصمتها السابقة .

وقد حملت هذه النشرات هراءً في عناوين إلحادية خطيرة باللغة الإنجليزية ، ترجمتها ما يأتي :

« ليس هناك إله — ليس هناك حق — ليس هناك قواعد — ليس هناك قيود دعنا نحصل على الفوضوية ليس هناك شيء صحيح — ليس هناك شيء خطأ — ليس هناك شيء له معنى — ليس هناك شيء كامل » فضلا عن ذلك فإن تلك النشرات تحمل دعوات صريحة للتحلل والدعارة .

وينشط أولئك المخنفسون في توزيع تلك النشرات في الطرقات على أكبر عدد ممكن من الناس .

وهذا أمر خطير جداً يجب أن يجابهه المسلمون بكافة الوسائل المضادة التي تقضي على هذه الأفكار الخبيثة المدمرة .

إن الطبيعيين مع ادعائهم الثقافة والمعرفة ، ومع تخرج كثير منهم في الجامعات ، بل إن منهم من حصل على درجات الماجستير والدكتوراه — ملأت قلوبهم تلك الشبهة . . شبهة الطبيعة — فأصبحت إلههم المزعوم ، وإذا سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ أجابوا : الطبيعة ، ومن خلق الشمس والقمر والنجوم وسيرها هذا السير المحكم البديع ؟ : أجابوا : الطبيعة ، ومن خلق الإنسان في أحسن تقويم ؟ أجابوا الطبيعة ، ومن خلق النباتات والحيوانات ؟ أجابوا : الطبيعة .

ومن خلق الماء الذي لا يستغنى عنه مخلوق : أجابوا الطبيعة .

ومن يدبر أمر هذا الكون ؟ أجابوا : الطبيعة .

ونحن نسأل هؤلاء .

مامعنى الطبيعة التي ينسبون إليها كل هذا الخلق ؟ ولا نجد عندهم سوى جوابين :

الجواب الأول عند بعضهم :

أن الطبيعة هي المخلوقات ذاتها التي تتمثل في الإنسان والحيوانات والنباتات والجمادات وغير ذلك مما يُوجد في هذا الكون .

والجواب الثاني عند البعض الآخر :

أن الطبيعة هي الخصائص التي تختص بها هذه المخلوقات والصفات التي تتصف بها كالطول والعرض والليونة والصلابة والهدوء والعنف والألفة والنفرة والسكون والحركة ، وغير ذلك من صفات المخلوقات .

وردنا على هذين الجوابين فيما يلي :

أما الجواب الأول :

وهو أن الطبيعة هي المخلوقات ذاتها ، فهو قول فاسد : ذلك أنه تفسير للطبيعة بالطبيعة بمعنى تفسير الطبيعة بالمخلوقات ذاتها ، أي أن الإنسان هو الذي خلق نفسه ، والحيوانات هي التي خلقت نفسها ، والنباتات هي التي خلقت نفسها ، والجمادات هي التي خلقت نفسها ، ، وكل المخلوقات هي التي قامت بخلق نفسها ، ومن ثم تصبح هي الخالقة والمخلوقة في آن معاً .

وبطلان هذا القول واضح :

وذلك بأنه يعني توحد الخالق والمخلوق ، وهذا أمر مستحيل وجوداً وعقلا فضلا عن أن إدعاء وجود شيء من غير سبب أمر فاسد فساداً جلياً :

ذلك أننا إذا نظرنا إلى مابين أيدينا في السماء والأرض ، نرى أن الثمر يحصل من شجر ، وأن الماء ينشأ من عنصري الأوكسجين والهيدروجين ، وأن المطر ينهمر من السحاب ، وأن الحرارة تصدر من الشمس ، وأن الصوت يحدث من الطرق ، وأن البناء يقوم بيد بنّاء ، وأن هذه السطور تثبت على الأوراق بيد كاتب ، وأن السيارة تصنع بيد صانع وتتحرك بيد قائد ، وهكذا كل موجود لابد له من موجد ، وكل مُسَبَّبٍ لابد له من سبب .

وما لمحنا أبداً أن أدوات سيارة ترمى على الأرض فتركب نفسها ، أو سيارة واقفة تتحرك دون قائدها أو قلماً يوضع بجوار ورق فيسطر عليه سطوراً دون أن يحركه كاتب ، وما شاهدنا أبداً حجارة ورملا وأسمنتاً على الأرض تتحرك جميعها وترص نفسها بنفسها فوق بعضها فتقيم لنا بناءً . ومعنى هذا وخلاصته أنه لا يوجد — قط — حادثٌ من غير محدث ولا موجود من غير موجد . وقد أصبح هذا المعنى الذي

يحكم الواقع الملموس شيئاً مؤكداً لا يتصور العقل خلافه ولا يأبى إقراره إلا عقل عاجز عن الإدراك . لهذا وجدنا ذلك العربي الحصيف الذي أدرك هذه السببية بفطرته يقول قولته الشهيرة (البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، أفلا تدل على اللطيف الخبير ؟).

إذن فلابد لكل حادث من محدث ، ولكل موجود من موجد ، ومحال أن يحدث شيء ذاته أو يوجد مخلوق بغير خالق .

وإلى هذا أشار رب العزة والجلال في قوله تعالى :

(أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون) . « الطور » .

فهذه الآية تشير إلى عدم إمكان وجود أي حادث بغير محدث ، أو وجود أي مخلوق بدون خالق ، ثم فإن منكر الخالق ينحني رأسه ويرغم أنفه على الإقرار بخالقه وخالق هذا الكون إذ قد أكد الواقع والعقل أن الإنسان لا يمكن أن يخلق نفسه فضلا عن غيره ، ولو استطاع أن يخلق نفسه لصورها كما يشاء ، ولأودعها كل صفات الكمال بدايةً ونهايةً ، ولما جعلها عرضة لأن يعتريها شيء مما يعتري النفس البشرية من نقص أو ضعف ، ولما رأينا الإنسان يجوع ، ويعطش ، ويتعب ، وينام ، ويمرض ، ويموت ، بل يبقى على كماله لا يعتريه تغيير ولا تبديل ، ولكن الواقع الذي يراه ويحسه الجميع ويتيقنه ولا يشك فيه أحد أن الإنسان يبدأ نطفةً ، ويمر بأطوار مختلفة ، حتى ما إذا تم نضجه خرج من بطن أمه ضعيفاً هزيلاً لا يعلم من أمر هذه الحياة شيئاً ، ثم يتدرج في النمو حتى يبلغ قوة شبابه ، ثم يبدأ في الانحلال بالشيخوخة والضعف ، ثم تنتهي حياته فيموت ويقبر في التراب ، ثم يتحول بعد ذلك إلى عظام نخرة ، ثم سيبعثه الله بعد ذلك حين يشاء تلك حقائق ثابتة لا يقوى على إنكارها منكر مهما أوتي من حجج وبيان .

ونورد فيما يلي بعض الآيات التي أثبتت تلك الحقائق ، لعل المنكر يتدبرها فيؤمن ، وليزداد بها المؤمن إيماناً يقول ربنا تبارك وتعالى :

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفي ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) الحج ، وكذلك يقول سبحانه :

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلنا نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) المؤمنون .

ويقول سبحانه وتعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل .

ثم أشار الله جل في علاه إلى أول نشأة الإنسان الضعيفة ، ثم إلىقوته ، ثم إلى ضعفه فقال سبحانه :

« الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ٍ ضعفاً وشيبة ً ، يخلق مايشاء وهو العليم القدير » الروم .

كما يشير سبحانه إلى أنه هو المصور للإنسان في رحم أمه فيقول :

« إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء . لا إله إلا هو العزيز الحكيم » آل عمران .

ومن ثم نجد أن الإنسان عاجز عن أن يخلق نفسه . . .

إذ هل يستطيع أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ . . .

أو يحولها علقة ؟ أو يحول العلقة إلى مضغة ؟ أو يحول المضغة عظاماً ؟ أو يكسو العظام لحماً ؟

أو هل يستطيع أن يصور خلقه في رحم أمه ؟

أو هل يستطيع أن ينفخ الروح في نفسه ؟

أو هل يستطيع أن يشغل قلبه بهذا النظام الدقيق على مدى حياته سنين عدداً لا يتوقف فيها لحظة ؟

أو هل يستطيع أن يشغل بداخله المعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس ويمد كلاً منها بالعصارة اللازمة له ؟

أو هل يستطيع أن يمد عينيه ببصرهما ؟ أو أذنيه بسمعهما ؟ أو عقله بإدراكه ؟

أو هل يستطيع أن يسخر الهواء ليدخل من أنفه إلى جهازه التنفسي فيأخذ منه حاجته من الأكسجين اللازم لحياته ؟

هل يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك أو ما شاكله مهما أوتي من علوم وخبرات وأدوات ؟

إنه لن يستطيع ذلك ولن يجد إليه سبيلا حتى يلج الجمل في سم الخياط .

ثم إني لمسائل أولئك الجاحدين الأسئلة الآتية :

١ — من هدى النحل أن يبني بيوته في متنوع الأماكن ، ويأكل من كل الثمرات ، ويخرج من بطونه عسلا صافياً مختلف الألوان فيه شفاء للناس ؟ هل يستطيع أحدٌ أن ينسب هذا إلى غير الخالق العظيم الذي وضح جواب ذلك في قوله سبحانه :

« وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون » (النحل) .

٢ — ومن هدى النمل إلى إعداد مساكنه في أماكن محصنة وخزنه طعامه لوقت حاجته .

٣ — ومن هدى القلب أن يفتح صماماته ليدخل إليه الدم الفاسد فيقوم بتنقيته ثم يفتح صماماته مرة أخرى ليندفع الدم النقي منه كما يوزع على جميع أجزاء الجسم فيغذيه .

٤ — من هدى المعدة أن تهضم أنواع الأطعمة المختلفة وتخلطها بالعصارات المتنوعة حتى تحولها دماً ؟

٥ — ومن هدى الغدد المتنوعة والكبد والبنكرياس والامعاء الدقيقة والغليظة أن تقوم جميعاً بوظائفها بحيث إذا اختلفت أصيب الجسم بالمرض والضعف وقد يصل إلى الموت .

٦ — حين توضع البذرة في الأرض وتسقى بالماء فبينت جذرها وساقها . من هدى الجذر إلى أن ينزل إلى أسفل في باطن الأرض ومن هدى الساق إلى أن يرتفع إلى أعلى على ظاهر الأرض ؟

٧ — ومن هدى الشمس والقمر في نظام محكم ومسارٍ دقيق إلى الشروق والغروب بحيث لا تدرك الشمس القمر ؟ .

٨ — ومن هدى الليل أن يأتي بعد النهار بحيث لا يسبق الليل النهار ؟

٩ — ومن رفع السماء بغير عمد تراها وزينها بمصابيح فما اختلت ، وما تصدعت ، وما هبطت ، وما اقتربت من الأرض ، وما يلمح فيها من فروج بحيث تحتاج إلى ترميم أو إصلاح ؟ مع أن أي بناء يبنيه الإنسان سرعان ما يتصدع وينهار بمرور الزمن عليه ، ولا يبقى على حاله سليماً كما بناه الإنساى؟

١٠ — ومن سطح الأرض وفرشها فكانت مهاداً وألقى فيها الجبال الرواسى الشامخات لم تَـمِـدْ بنا ولم تنقلب رأسا على عقب ، ولم يَنْسكب ما بها من مياه المحيطات والبحار والأنهار ؟ بل ولم يمتزج الماء الملح الأجاج بالماء العذب الزلال عند التقائهما ؟

١١ — ومن أبدع هذا الكون في مختلف مخلوقاته وأحكمه على هذا النسق الرائع ؟ بحيث يسير على سنن منتظمة لا تختلف ولا تتبدل ولا تضطرب لحظة واحدة منذ بـــدء الخليقة حتى هذه اللحظات التى نشاهد فيها هذا الإبداع والاحكام ؟

لو سألنا أولئك المنكرين كل هذه لأفحِموا وما اهتدوا إلى جوابٍ إلاأن يخروا راغمين معترفين بعجزهم وبأن الخالق المبدع هو ربنا الحكيم الخبير (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) . . طه . .

ثم لعل بعض أولئك المتنطعين يقول : إن الانسان قد صنع الصاروخ ،وصنع الأقمار الصناعية ، وفجر الذرة ، ويعتبرون هذا خلقاً من الإنسان لهذه الأشياء ، ويقولون في تعبيراتهم (الإنسان الخلاّق ، والشعب الخلاّق) . وقد كذب هؤلاء المخدوعون الضالون بجهلهم المطبق ودُحروا ، ذلك بأن الخلق هو ان يوجد المخلوق من العدم ، وهذا ما يعجز عنه أى مخلوق .

أما الصناعة فتكون تركيبا لمواد موجودة قد سبق خلقها ، وهذا مما يقوى عليه المخلوق .

لذلك أثبت الخلاق العظيم عجز الخلق جميعا عن أن يخلقوا شيئا فقال : (هذا خلق الله فأروني ما ذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) لقمان .

بل تحدى الخلاق العظيم جل جلاله الناس جميعا أن يخلقوا خلقا تافها كالذباب فقال تعالى : —

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) . . الحج . .

بل وزاد سبحانه في تحديه لهم ليثبت عجزهم الكامل عن استرداد ما يستولى عليه منهم هذا الذباب المخلوق الضعيف فقال تعالى : (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه — ضعف الطالب والمطلوب) الحج . .

ولو أنهم عرفوا الله تعالى وقدروه حق قدره لأدركوا هذه المعاني الملموسة التى تدركها الحواس ولا تنكرها ، لكنهم كما قال تعالى : « ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز » . . الحج . .

لذلك يُلْفِتنا الله تعالى إلى أنه وحده الخالق الذى لا تدركه الأبصار ، فيقول سبحانه (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل — لا تُدْرِكه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير) . . الأنعام . . — كما يؤكد أنه الخالق الذى بيده مقاليد الخلق جميعا .

فيقول سبحانه : (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل — وله مقاليد السموات والأرض — والذين كفروا بآيات الله أولئكهم الخاسرون) . . الزمر . .

كما أنه تعالى يلفت الناس إلى التدبر في آيات خلقه جل وعلا في الآفاق وفي أنفسهم حتى تهتدى نفوسهم إلى أن الله عز وجل هو الحق الشهيد على كل شيء ، المحيط بكل شيء فيقول سبحانه وتعالى :

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق — أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد — ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط) . . . الشورى . .

ويلفتهم تعالى مرة اخرى إلى آياته في الأرض وفي أنفسهم وإلى رزقهم المضمون في السماء في قوله تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ، وفي السماء رزقكم وما توعدون — فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) . . الذاريات . .

ولكن هؤلاء الجاحدين الطبيعيين لم يلتفتوا إلى ما لفتهم الله إليه ، والتفتوا للشيطان الذى سول لهم ، وأملى لهم ، وسألهم الخالق تعالى سؤال توبيخ واستنكار في قوله تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق — أفلا تذكرون) . . النحل . .

وكيف يمكن لأحد من الخلق ان يخلق مخلوقا وينفخ فيه الروح وسـر الحياة لا يملكه واحد منهم إنما يملكه مالك الملك سبحانه — (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . . الإسراء . .

وأما الجواب الثاني :

وهو أن الطبيعة هي خصائص المخلوقات وصفاتها ، فهو قول فاسد كذلك لأنه قول لم يتجاوز وصف ظواهر تلك الخصائص والصفات دون بيان لحقيقتها .

فمثلا لو اننا وضعنا حبة في التراب وسقيناها بالماء لحدثت مجموعة ظواهر انتفاخ الحبة، وانفلاقها وخروج النبت منها وخروج الجذر واتجاهه في باطن الأرض، وخروج الساق واتجاهه الى أعلى، وظهور الأوراق ثم الأزهار ، ثم الثمار .

فالخصائص والصفات التي تمتاز بها الحبة هي التي أدت الى حدوث تلك الظواهر المتتابعة — فمن خصائص الحبة أنها تنتفخ حين تسقى بالماء وتعوم تنفلق لو أن الحبة لم تنتفخ بالماء، ولم تنفلق ، ما نشأ عنها نبت ، جذر ، ولا ساق ، ولا ورق ولا أزهار ، ولا ثمار .

فمن الذى نفخ الحبة ؟ ! . . ومن الذى فلقها؟ . .

لو قيل ان للحبة عقلا يدرك — ولم يقل بهذا احد حتى الجاحدون لقلنا — ان عقلها هو الذى نفخها ثم فلقها ، ولو ان الماء هو الذى نفخها وفلقها حين سقيت به لتساءلنا : لماذا لم ينفخ الماء الانسان مثلا حين يسقى به ؟ . . ثم يفلقه . . ؟ ثم يخرج منه جذر وساق ثم ورق ثم أزهار ثم ثمار ؟ . . كما يحدث للحبة سواء بسواء ؟ . . فنرى اولئك الجاحدين يعجزون عن الجواب ، فنجيب بأن للحبة خصائص وصفات لا تتوافر في الإنسان ، منها أنها حين تسقى بالماء تنتفخ ثم تنفلق ثم تتوالى تلك الظواهر حتى بُدو الثمار .

ان الطبيعيين الجاحدين يقولون انتفخت الحبة ، انفلقت الحبة ، نبتت الجذور والسيقان والأوراق والثمار ، دون أن يعينوا الفاعل الحقيقى لأفعال النفخ والفلق والإنبات ، مقتصرين على ذكر الظواهر التى شاهدوها بناء على خصائص وصفات تميزت بها الحبة ، ونسبوا إلى تلك الخصائص والصفات فعل تلك الظواهر ، جاهلين أو متجاهلين فاعلى تلك الأفعال ، وهو ربنا الخلاق العليم الذى حسم الأمر بقوله : (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون) ؟ . . الأنعام . . ثم أننا لو نظرنا إلى الثمار التى تخرج من الحب لوجدناها مختلفة الألوان والأشكال والطُعُوم ؟ . . مع أن الحبوب توضع في تربة واحدة وتسقى بماء واحد ؟ . . فمن الذى غاير ألوانها وأشكالها وطعومها ؟ . . مع وحدة التربة والماء؟ . . هل الحبوب نفسها التى غايرت؟ . . إنها لا عقل لها ولا إدراك . . أو هل خصائصها وصفاتها هى التى غايرت ؟ . . إن الخصائص والصفات مخاوقة حادثة وليست خالقة محدِثة — فيستحيل أن يسند لها فعل التغاير لأن المخلوق لا يملك أن يخلق .

وقد حسم ربنا الخلاّق العليم هذا الأمر كذلك في قوله : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل . . ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) . . الرعد . .

إن فريقا من الطبيعيين نظروا الى خصائص وصفات المخلوقات وسموها الطبيعة ، ونسبوا إليها خلق المخلوقات وما يصدر عنها من أفعال، ولا يشك عاقل في أن هؤلاء الملاحدة تلعب بعقولهم الشياطين ويقذفون من كل جانب ، دُحُورا ولهم عذاب واصب ، فما للطبيعة الصماء ، العمياء ، البكماء ، وللخلق السميع ، البصير المعبر ، الذى لا يمكن أن يخلقه إلا رب سميع بصير ، متكلم ، عليم ، حكيم خبير ، متفرد بجميع صفات العظمة والجلال والكمال ؟ . . ان كل ما في هذا الكون من خلق رب العالمين فهل استطاع أولئك الضائعون أن يحددوا صراحة أى مخلوق خلَقَه مخلوق ؟ ! . . (هذا خلق الله فأروني ما ذا خلق الذين من دونه ؟ . . بل الظالمون في ضلال مبين) . . القمان . .

أثر انكار الخالق سبحانه:

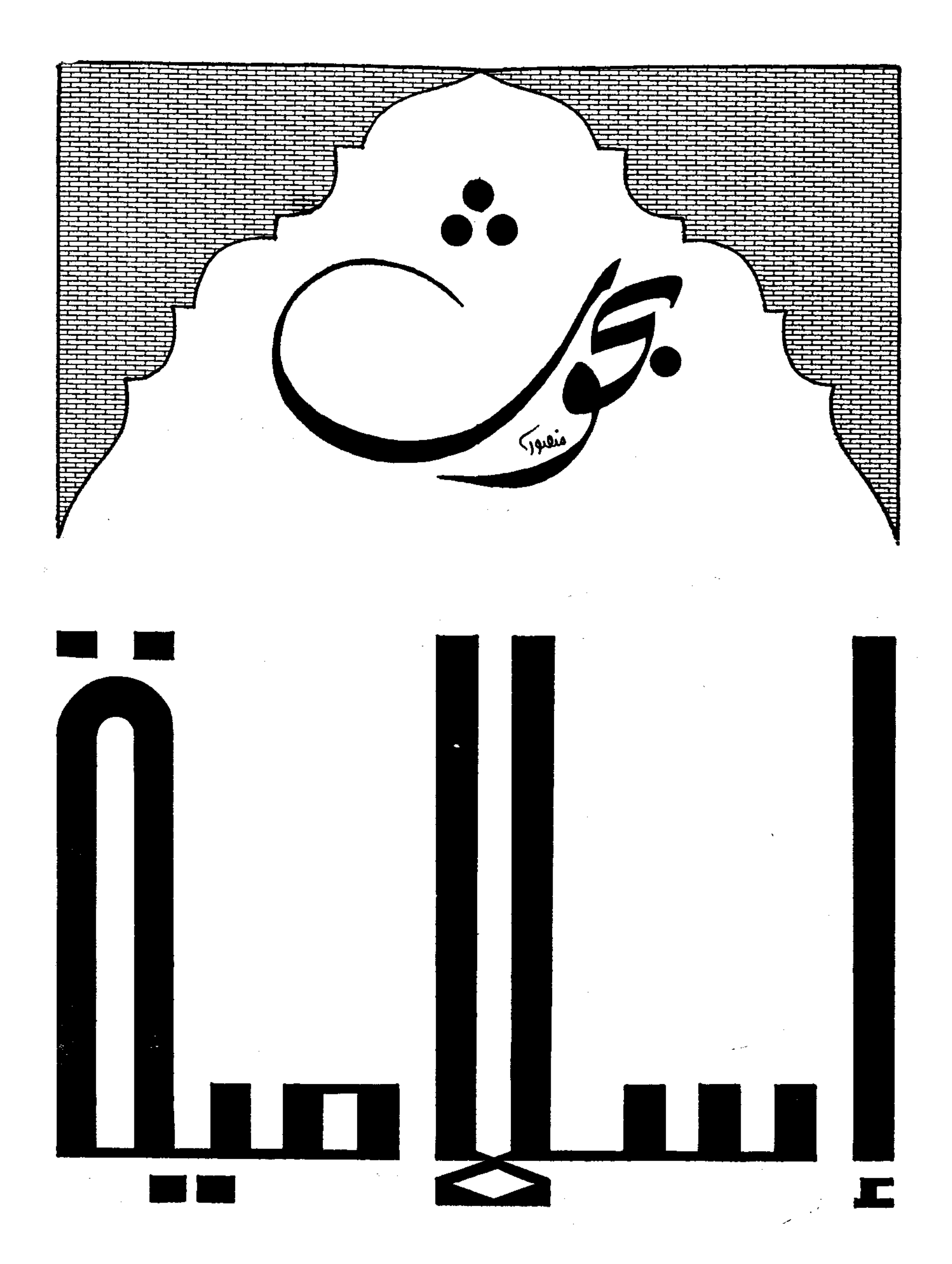
لا شك أن إنكار الخالق سبحانه وتعالى كان له أثر كبير خاصة على الناشئة على وجه العموم وعلى ناشئة المسلمين على وجه الخصوص . ذلك أن التحلل من القيم والانفلات من مبادىء الخير والبناء والانسلاخ من هدى الخالق جل جلاله يجعل الإنسان كالحيوان سواء بسواء لا يعيش حياته إلا لشهوة البطن والفرج كما يقول تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم) . . محمد .

وحين تنعدم قيم الدين والأخلاق من هذه الحياة بين الناس ، ينعدم الخير منهم ، ، ويشيع الفساد والفوضى الخلقية في كل جوانب حياتهم ، وتكثر الجرائم ، وتشيع الفواحش ، وتسقط بينهم حرمة النفوس ، والعقول ، والأعراض ، والأموال ، أثراً حتمياً لسقوط حرمة الدين ، وزوال قدر الخالق لديهم ، وقد خلقهم من العدم وأمدهم ولا يزال يمدهم بنعمه وفضله ، فيقول تعالى : (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا ؟ . .) . . مريم .

وبين تعالى أنه لم يخلقهم عبثا ، فقال سبحانه : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) . . المؤمنون .

ويؤكد عز وجل عودة الإنسان إليه مذكرا إياه بأصل خلقه فيقول : (ايحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من منيّ يمنى ؟ . . ثم كان علقة فخلق فسوى ؟ . . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ؟ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ . .) . . القيامة .

بلى يا ربنا . . أنت قادر . . وغيرك لا يقدر . . آمنا بك . . وآمنا بما أنزلت . . وأتبعنا الرسول . . فاكتبنا مع الشاهدين . .


بحوث
إسلامية



لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . . أما بعد :

فانه قد طرأ على صفاء هذا الدين ووضوح أحكامه في عصور انحطاط المسلمين كثير من البدع والمحدثات التى زادت انحطاطهم انحطاطا وشغلتهم عن العودة الى العقيدة الصافية والتمسك بها والرجوع إلى الحق بتتبع المظاهر الفارغة والتقاليد العمياء التى سنها من ضل وأضل فحادت بهم عن طريق الحق وسلكت بهم مسالك الضلال ولبست على المسلمين في عقيدتهم وأخمدت فيهم جذوة الإيمان وجمال الاتباع وامتصت طاقاتهم المتعددة المتقدة قوة وحماسا بمظاهر فارغة وأعمال خاوية فانتشرت بينهم أعمال الاحتفالات المبتدعة واتجه رجاؤهم وتعلقهم بالله الى التعلق بالقبور والاضرحة

والتماس الشفاعة منها وطلب الحاجات اليها فعاد أكثر المسلمين بهذه الضلالات الى مظاهر الوثنية وتقديس الأشخاص فاستخفهم اعداؤهم وازداد تدهورهم وتحولت قوتهم الى ضعف .

وبحلول التاريخ الموافق لمولد رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – تحل مناسبة ابتدع كثير من الناس فيها إقامة الاحتفالات بالمولد وزعموا أن ذلك مما يحقق المراد من حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وموالاته ويغفلون الواجب في أن محبة الرسول انما تكون باتباعه وطاعته . . أما هذه الاحتفالات الشائعة فهى غير جائزة بل هي من البدع المحدثة في الدين لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم باحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومتابعة لشرعه ممن بعدهم وأول من ابتدعها فيما بلغناهم الفاطميون في القرن الرابع الهجرى وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة واظهار التشيع لأهل البيت وللغلو فيهم وقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » . . أى مردود عليه . وقال في حديث آخر : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وأياكم ومحدثات الأمور فان في كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله » .

ففى هذين الحديثين تحذير شديد من احداث البدع والعمل بها وقد قال الله سبحانه في كتابه : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . . وقال عز وجل : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » . . وقال سبحانه : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . . » . . وقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » . . وقال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . . والآيات في هذا المعنى كثيرة واحداث مثل هذه الموالد يفهم عنه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة وان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغى للأمة ان تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين ان ذلك مما يقرب إلى الله وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه . وعلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – . والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة والرسول – صلى الله عليه وسلم – قد بلغ البلاغ المبين ولم يترك طريقا يوصل إلى الجنة ويباعد من النار الا بينه للأمة . كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله من نبى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم» . . رواه مسلم في صحيحه . ومعلوم ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغا ونصحا فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذى يرضاه الله سبحانه لبينه الرسول – صلى الله عليه وسلم – للأمة أو فعله في حياته أو فعله اصحابه رضى الله عنهم . فلما لم يقع شيء من ذلك علم انه ليس من الاسلام في شيء بل هو من المحدثات في الدين التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته – كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين .

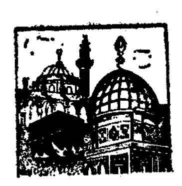
وقد جاء في معناهما أحاديث أخر مثل قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة : « أما بعد . . فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . . » رواه مسلم في صحيحه . والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة . . وقد صرح جماعة من العلماء بانكار الموالد والتحذير منها عملا بالأدلة المذكورة وغير ها وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاختلاط النساء بالرجال واستعمال آلات الملاهى . . وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر . وظنوا انها من البدع الحسنة والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس الى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه

الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » . . وقال تعالى : « وما أختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله » وقد رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد الى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه . ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها . وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذى أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه وقد رددنا ذلك أيضا – الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله اصحابه رضى الله عنهم فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وانصاف في طلبه ان الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع والمحدثات التى أمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم بتركها والحذر منها ولا ينبغى للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله الناس في سائر الأقطار فان ، الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وانما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى : «وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هودا أو نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » . . وقال تعالى : « وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » . . الآية . . ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات اخرى : كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك ، وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو غيره من الأولياء ودعائه والاستعانة به وطلبه المدد واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبى صلى الله عليه وسلم وغيره ممن يسمونهم بالأولياء وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « إياكم والغلو في الدين فأنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » . . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . . أخرجه البخارى في صحيحه من حديث عمر رضى الله عنه .

ومن العجائب والغرائب ان الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة ويدافع عنها ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات . ولا يرفع بذلك رأسا ولا يرى أنه أتي منكرا عظيما . ولا شك ان ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة وكثرة ما ران على القلوب من صنوف المعاصى والذنوب . . نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين . . ومن ذلك ان بعضهم يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الموالد . ولهذا يقومون له محيين ومرحبين وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل . فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس ولا يحضر اجتماعاتهم بل هو مقيم في قبره الى يوم القيامة – وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال تعالى : « في سورة البقرة . . « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » . . وقال

النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول مشفع » . . عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام . . فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء في معناهما من الآيات والآحاديث كلها تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من امـــوات انما يخرجون من قبورهم يوم القيامة وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم فيتبغى لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان . . والله المستعان وعليه التكلان . . ولا حول ولا قوة إلا به . . أما الصلاة والسلام على رسول الله فهى من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات كما قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » . . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من صلى على صـــلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا » . . وهى مشروعة في جميع الأوقات ومتأكدة في آخر كل صلاة بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة منها ما بعد الآذان وعند ذكره عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة . .

والله المسئول ان يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه وان يمن على الجميع بلزوم السنة والحذر من البدع انه جواد كريم . . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . .





لفضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد قادرى / عميد كلية اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على نبينا محمد . . وعلى آله وصحبه أجمعين . .

أما بعد . .

فأني أقدم هذه القطوف المقيدة للأستاذ الذى جعل همه تعليم العلم والعمل وغرسها في نفوس تلاميذه . . وللتلاميذ الذى يهمهم التلقي السليم المفيد الذى يثمر في نفوسهم العلم والعمل . .

أسأل الله أن ينفعني واخواني المسلمين به انه على كل شيء قدير . . وصلى الله وسلم على خير المعلمين وعلى آله وصحبه خير من تلقى عنه وطبق ما تعلمه في واقع الحياة . .

البحث الأول

قوة الصـــلة بالله

ان أول هدف يجب أن يضعه نصب عينه المعلم والمتعلم على السواء هو أن يكون الغرض من التعليم والتعلم قوة الصلة بالله وعبادته سبحانه على الوجه الذى يرضاه فإن عبادته هي الغاية من خلقنا ، كما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

كيف تحقق قوة الصلة بالله ؟

وتتحقق قوة الصلة بالله بأن يكون المؤمن كله لله تعالى كما قال عز وجل : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ولنفصل ذلك بعض النفصيل في الأمور الآتية : —

١ – الاخـــلاص :

والمراد بالإخلاص – تصفية العمل وتنقيته من شوائب الشرك بالله تعالى سواء كان شركا أكبر ، وهو الذى قال الله تعالى فيه: « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . . أو شركا أصغر ومنه ارادة الإنسان بعمله الرياء ، أي مراءاة الناس كما قال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » .

وقال تعالى – في الحديث القدسى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيرى تركته وشركه – وقد أمر الله بالاخلاص في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في نصوص كثيرة ، قال عز وجل : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » .

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل : « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك – وقال : « اتق الله حيثما كنت » . .

فعلى الأستاذ أن يحرص كل الحرص على الاخلاص ومحاربة الرياء في نفسه وفي تلاميذه وأن يذكروا أن المخلوقين مهما عظمت منزلتهم فهم مخلوقون لا يقدرون أن ينفعوه بشيء ولا يضروه وأن يتذكروا عظمة الله الخالق الذى إذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون – فان تذكر الأمرين ضعف المخلوق وعجزه ، وقوة الخالق وقدرته وعظمته مما يعين على الاخلاص لله تعالى في الأعمال .

٢ – التلقي من أجل العمل بالعلم : لا من أجل الثقافة والترف العلمي والفكرى ، وان كانت الثقافة ستحصل تبعا ، وتتوسع آفاق فكر العامل وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – فما كانوا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموهن ويعملوا بهن وبفقد هذه الروح أو ضعفها في طلبة العلم كثر المنتسبون للعلم وقل العمل ، بل وأصبح الفساد الذى يأتي من قبلهم أكثر من الفساد الآتي من عامة الناس .

وقد قال الله تعالى عن اليهود الذين يعلمون ولا يعملون : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم . . وقال تعالى عمن لم يعمل بما علم في هذه الأمة معاتبا ومنكرا : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

فعلى الأستاذ أن يركز على تحقيق هذا المعنى في نفسه وفي نفوس تلاميذه حتى لا يكونوا نسخا مكررة لغيرهم من عامة المسلمين .

٣ – موافقة الفعل للشرع : وعدم الزيادة والنقصان فيه . . أى أتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – والبعد عن البدع قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » . . وقال

تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . .وقال : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » . . وقال : « صلوا كما رأيتموني أصلي . وقال : « خذوا عنى مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا » . . وقال العلماء في قوله تعالى : « ليبلوكم أيكم أحسن عملا : أخلصه وأصوبه – قيل ما معنى أخلصه وأصوبه – قال : إن العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ما قصد به وجه الله ، والصواب ما وافق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٤ – الاكثار من قراءة كتاب الله تعالى مع تدبره وتفهم مراميه وعرض الانسان نفسه عليه ليعلم منه أهو سائر في طريقه أى طريق القرآن . . أم في طريق عدوه . . الشيطان . . وينبغي أن يحافظ على ورد معين منه يوميا ، لأن البعد عنه يورث القسوة في القلب والغفلة عن الله .

٥ – الاكثار من ذكر الله : المطلق منه والمقيد والمراد بالمطلق ما لم يقيد بزمان ولا مكان ولا عدد « يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا » لا يزال لسانك رطبا بذكر الله . . والمقيد ما قيد بزمان ، كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات ، أو بمكان كأذكار مناسك الحج المعينة وغير ذلك أو بعدد كالاستغفار مائة مرة ، وتسبيح ثلاث وثلاثين .

ويمكن الرجوع في هذا الباب الى الكلم الطيب وصحيحه ، والوابل الصيب والأذكار للنووى ورياض الصالحين ، وغيرها من كتب السنة .

٦ – القراءة المستمرة في كتب السنة : وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن السنة تفسر القرآن وتكمل ما أراد الله من عباده والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة العليا للمسلم : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . . (يراجع في ذلك الأمهات الست ، والترغيب والترهيب ورياض الصالحين ومشكاة المصابيح وسيرة ابن هشام ، ومختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب ، ومختصر السيرة لابنه أيضـــا ، وفقه السيرة للغزالى، والغزوات لمحمد أحمد باشميل .

٧ – قراءة سيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبارهم النموذج البشرى الذى طبق الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في أعلى صورة « جيل قرآني فريد » (يراجع في ذلك تاريخ ابن كثير – البداية – وغيرها كحياة الصحابة . وكذلك سيرة الدعاة العاملين في كل زمان ومكان .

٨ – المحافظة على الفرائض المكتوبة : من صلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها من الواجبات الأخرى ، كبرّ الوالدين وصلة الأرحام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى : « ما تقرب الى عبدى

بشيء أحب الى مما افترضته عليه » . . حديث قدسى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (وفرض فرائض فلا تضيعوها) .

٩ — الأكثار من نوافل الطاعات التى تعتبر حاجزا منيعا يحول بين الشيطان وبين تثبيط المؤمن عن القيام بالواجبات كما أنها تكمل النقص الذى قد يحصل في الفرائض « ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . . أى أن الله يحيطه بعنايته وتوفيقه فلا يستعمل نعم الله التى أنعم بها عليه الا في طاعته .

ومن أعظم النوافل التى ينبغي الحرص عليها وعدم التقصير فيها قيام الليل الذى حافظ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وكان وقوده الذى يمده بالصبر على البلاء والامتحان . .

« يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا — نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا » . .

والأستاذ الداعية الى الله ، والطالب الذى يعد للدعوة الى الله في حاجة الى تأمل هذه الآيات والعمل بهن للقيام بأعباء الدعوة والتكاليف الآلهية . .

فالرسول صلى الله عليه وسلم الذى ينزل عليه جبريل من السماء صباح مساء كان في حاجة الى الاتصال المتكرر بالسند الذى يؤيده لتثبيت صبره وقوة احتماله فأمر بقيام الليل من أجل ذلك : « قم الليل . . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » . .

١٠ — مجاهدة النفس للوصول الى محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم المحبة الصادقة التى أرادها الله والتى عبرّ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : —

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان « أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار . وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين » .

وتظهر محبة الله ورسوله ومن يحبه الله ورسوله عندما يقدم العبد رضا الله على سواه ، كما قال تعالى :

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم — وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين « » وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم .

١١ ــ مجالسة الصالحين الذين يعينون على فعل الخير وترك الشر . فان في مجالسة أهل الضلال الخسران الذى يندم صاحبه في الدنيا والآخرة . . « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلنى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاء ني وكان الشيطان للانسان خذولا».
وفي حديث أبي موسى المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك أما أن يحذيك ، واما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا منتنة . » . .

وكم من أستاذ كان ظاهره الصلاح ، ويعتبر مربيا فصار ضحية لبعده عن الصالحين واقترابه من الفاسدين ، وكم من شاب صالح يعتاد المساجد ويؤمن بالله ورسوله والاسلام ويحب ما يحبه الله ورسوله هو في حمأة الرذيلة والالحاد بسبب جليس سوء .. فعلى الأستاذ والطالب معا الحفاظ على مرافقة عباد الله الصالحين والبعد عن صحبة أتباع الهوى والشيطان . وبذلك يمكن البعد عن المحرمات وفعل الطاعات وعدم إضاعة الوقت فيما يضر أو فيما لا ينفع فقد خلق الله الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .

١٢ ــ الجد والمثابرة في طلب العلم . من كتاب الله وسنة رسوله وكتب أهل العلم الذين يتمسكون بهما ولا يقدمون عنهما قول أحد كائنا من كان . والتساهل في طلب العلم أو القعود عنه دليل للهبوط الى الجهل والقعود عن معالي الأمور التى لا تنال بدون العلم .

١٣ ــ زيارة القبور لتذكر أصل الإنسان وقيمة الحياة الدنيا، والموت والبعث ، والحساب ، والدعاء للمؤمنين بالوارد .

١٤ ــ الاكثار من قراءة كتب الترغيب والترهيب وصفة الجنة والنار ونعيم القبر وعذابه وأحوال يوم القيامة ومصائر الأمم كقوم نوح وعاد وثمود .

١٥ ــ الاحساس القوى بالمسئولية الفردية أمام الله عن عمله في هذه الحياة . وعن أهله وأولاده وأقاربه وجيرانه وأصدقائه ، بل أنه مسئول عن تبليغ دين الله قدر استطاعته وذلك يحتم عليه أن يتحمل أعباء الدعوة الى الله مع استكمال أصولها من العلم والحكمة والبيان والصبر وفي الحديث « كلكم راع ومسئول عن رعيته » . .

فلابد للداعية الى الله ــ والأستاذ من أوائل الدعاة أن يتحلي بما يأتي : ــ

١ ــ الأخلاص .
٢ ــ القناعة التامة بما يدعو إليه .
٣ ــ العلم بما يدعو اليه من الكتاب والسنة .
٤ ــ العمل بما علم وكونه قدوة حسنة .

٥ – لين الجانب وعدم الغلظة .

٦ – الصبر على المحنة والابتلاء .

وعليه أن يركز على تحقيق الأمور الآتية في تلاميذه علاوة على ما مضي :

١ – غرس الإيمان بالغيب وتثبيته وتقويته بالحجج والبراهين المقنعة ودحض الشبه التي يوردها أعداء الإسلام على ذلك .

٢ – تقوية الجانب العبادى على ضوء ما مر في تقوية الصلة بالله .

٣ – تمرينهم على البدء بالأهم فالأهم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ – اختيارهم الأسلوب السهل عند دعوة غيرهم أو تعليمهم حسب المقام والأشخاص .

٥ – مساعدة الطالب في نقله من البيئة الفاسدة الى البيئة الصالحة حتى يتمكن من السير في صراط الله ويصبح هو أيضا قادرا على نقل غيره كما نقل هو .

٦ – اقناعهم بالاعتصام بحبل الله والتعاون مع اخوانه المسلمين في كل أنحاء الأرض من أجل رفع راية لا اله إلا الله والقضاء على رؤوس الفتنة والضلال من أعداء الله مستعينا بما يأتي : –

أ – التذكير بالأوضاع الكافرة التي أحدثت للعالم كله القلق والاضطراب ومكنت للظلم والظالمين .

ب – التذكير بحالة المسلمين التي يعيشونها .

ج – التذكير بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالتمسك بالجماعة وان من شذ شذ في النار .

د – التذكير بصفات الطائفة المنصورة التي تبدأ بالايمان وتنتهى بالجهاد وطلب الشهادة من أجل تحقيق رفع راية الإسلام .

ه – التذكير بأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم العهد على الجهاد ويتبغى أن يعينه بذكر الكتب والمراجع التي تفيده في هذا الباب وغيره ليسير مع على النهج الصحيح .

البحث الثاني

عوامل تقوية صلة الأستاذ بتلاميذه وتقوية صلة بعضهم ببعض

ان ما عليه الأستذة مع طلبتهم في المدارس النظامية من الجفاء والبعد عن الروح الودية والإخاء لا تقره الآداب الإسلامية .

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المربي الأول لهذه الأمة كما قال الله تعالى عنه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » . . وكان أصحابه

رضي الله عنهم يسرعون إليه كلما اعترضتهم مشكلة ليحلها لهم . « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » .

وكان صلى الله عليه وسلم من تعليمه لهم ونصحه أياهم يتفقد أحوالهم ويزورهم في السلم والحرب في البيت وفي المعركة وهكذا كان أصحابه من بعده ساروا على دربه وكذلك كان علماء الإسلام في كل جيل تربط بينهم وبين تلاميذهم الأخوة الإيمانية والمحبة ولذلك أثمر عملهم وآتي أكله .

ومما يحقق الأخاء والمحبة بين الأستاذ وطلبته وبين الطلبة بعضهم مع بعض الأمور الآتية :

١ - التعــارف :

وهو من الآداب الإنسانية العامة التي لا تستغنى عنه الأمم والأفراد ولا يمكن تحقيق العلاقات التعاملية بدونه ، ولذلك كان التعارف من أهم الآداب الإسلامية التي ركز عليها القرآن في سورة الحجرات كما قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم » . .

والتعارف الإسلامي لابد أن يثمر الإخوة الإسلامية الحقة والمحبة المتبادلة الصادقة فعلى الأستاذ أن يحقق التعارف بينه وبين طلابه ويتعرف على مشاكلهم ليحاول حل ما قدر عليه منها ، ويعمل على ايجاد التعارف بين طلبته بعضهم مع بعض كذلك .

٢ - التناصــح :

ومن العوامل التي تقوى الصلة بين الأستاذ وطلبته أن يتواصى معهم بالحق ، فلا يسكت عن منكر وخطأ يراه في طالب بل يسارع في نصحه سرا ، فاذا اقتضى الأمر نصحه علنا نصحه ، ويدربهم أيضا على أن يتناصحوا فيما بينهم . لأن في ذلك صلاحهم جميعا ، بل وصلاح الأمة كلها ، لأنهم اذا لم يحققوا التناصح فيما بينهم ، وهم في ميدان التلقى والطاب فسيكون الأمر كذلك عندما يدخلون في ميدان العمل والممارسة وفي ذلك ما فيه من خطورة على مستقبل العمل للاسلام .

وعلى الأستاذ أن يتقبل نصح طلبته له أيضا فهو بشر يخطىء ويصيب مثلهم . وإن كان المفروض أن يكون أقل منهم خطأ وأكثر صوابا ، وعليهم أن ينصحوه ولا يترددوا في نصحه وعلى الجميع أن يكون هدفهم من النصح محبة الخير للمنصوح عن اخلاص وتواضع لا عن رياء وتكبر وتشهير .

(تراجع في هذا الموضوع الآيات والآحاديث المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - ويراجع رياض الصالحين وغيره) . .

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستقيم أمر المسلمين وبدونه تضطرب الأمور وتنتشر الفوضي والظلم ويسيطر الفسقة والطغاة .

٣ ــ التعاون على البر والتقوى وحل المشاكل التى تعترض الأستاذ وطلبته :

وهذا يقتضي مكاشفة الطلاب الأستاذ ومكاشفة بعضهم بعضا بمشاكلهم حتى يتعاونوا على حلها لأن الفرد الذى تعترضه المشاكل في حياته إذا أخفاها في نفسه لا يمكن أخوانه من حلها لعدم معرفتهم أياها .

وقد تكون تلك المشاكل معوقة للفرد عن السير في دراسته اذا استمر ولذلك ينبغى أن يبدأ الأستاذ طلبته بالسؤال عن أحوالهم تشجيعا لهم على ابداء ما قد يترددون في اظهاره ابتداء . وقد يعجز الأستاذ أوطلبته عن حل بعض المشاكل ولكن ذلك لا يمنع من ابدائها من أجل المواساة والتسلية والتواصي بالصبر .

٤ ــ الاسراع في حل أى خلاف :

قد يحدث بين الطلبة أو بينهم وبين الأستاذ مع التزام العدل والابتعاد عن الاثارة والدعاوى الباطلة أو التهم التى لا حقيقة لها هروبا من الاتصاف بصفة المنافق « اذا خاصم فجر » .

٥ ــ ومما يقوى الصلة بين الأستاذ وبين طلبته وبين الطلبة بعضهم مع بعض القيام ببعض الرحلات الخلوية آسبوعية آو نصف شهرية يبيتون في مكان واحد وتستغل أوقاتهم فيما يعود عليهم بالفائدة ويمكن أن يكون ذلك كما يلى :

- ــ مدارسة القرآن الكريم وشيء من تفسيره .
- ــ تلخيص بعض الكتب أو كتابة بعض البحوث في موضوعات معينة تقرأ في الرحلة على أن يكون يكون التكليف بذلك قد سبق بوقت كاف .
- ــ القراءة في بعض كتب الحديث لا سيما كتب الترغيب والترهيب .
- ــ قراءة تراجم بعض الشخصيات الإسلامية من الأنبياء والصحابة والدعاة والمجاهدين للاستفادة من حياتهم التطبيقية علما وعملا ودعوة وتحملا .
- ــ الاكثار من ذكر الله الوارد مطلقا ومقيدا .
- ــ مذاكرة بعض المشاكل التى تعترض الطلبة في سيرهم الدراسي أو الدعوة وحلها .
- ــ القيام ببعض التمرينات الرياضية المفيدة .

٦ ــ الزيارات العادية وذوات الأسباب مع تحسين الأوقات المناسبة وعدم التثقيل على المزور .

٧ ــ تبادل الهدايا ولو قلت « تهادوا وتحابوا » .

٨ ــ آداء صلاة الجماعة في مسجد واحد .

٩ ــ أغتنام أى فرصة للقاء والاجتماع ولو كان قصيرا كصلاة الجماعة والركوب في سيارة واحدة .

١٠ ــ حفاظ الاستاذ على مواعيده وعدم تأخره عنها وكذلك حفظ التلاميذ على مواعيدهم مع أستاذهم

أو مواعيد بعضهم مع بعض بكل عناية ودقة وعدم التساهل في ذلك لما فيه من المحاذير الكثيرة ومنها :

١ — الاتصاف بصفات المنافقين التى حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ — تضييع الوقت على الآخرين .

٣ — زعزعة ثقة زملائه فيه .

٤ — تفويت فرص قد لا تعوض من الخير .

٥ — فتح أبواب قد لا تغلق من الشر .

٦ — وعلى الجميع مناصحة من تكرر منه ذلك حتى يتخلص من تلك الصفة الذميمة .

٧ — حفاظ الآستاذ على كتمان سر طلبته لا سيما الشخصية منها ، وعدم افشائها وكتمان الطلبة سر أستاذهم وسر بعضهم بعضا ، فيجب على كل منهم عدم أفشاء سر أخيه ، بل لا يجوز له افشاء سر زوجته بل سر نفسه الذى يستره الله عليه وعلى الأستاذ أن يدرب طلبته على ذلك ويبين لهم أن ذلك مهم في حياة دعوتهم ، ولا سيما في الدول الكافرة المعادية للإسلام وللحكم بكتاب الله .

وقد كان الكتمان من الأمور الهامة في حياة الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان يكتم أمره في مكة وفي المدينة عند الحاجة .

وليس معنى ذلك أن يجعل الدعاة الى الله خوف الناس سببا لانزوائهم عن الناس وعدم تبليغ الاسلام اليهم ، كلا ، بل معناه حماية الداعية نفسه واخوانه من فتح الباب على مصراعيه لأعداء الله في غير البلاد الإسلامية .

فالعلم والعبادات لا تكتم : يدرس في هذا كتمان الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته من كتب السنة والسيرة ورسالة الكتمان لمحمود شيت خطاب .

المبحث الثالث

خطـوات الدرس

ليس المراد هنا الدراسة النظامية في المدارس ، فتلك لها مناهجها ونظامها الخاص الذى قد لا ينفع الاقتراح في تعديلها ، وانما المراد هنا الحلقات المسجدية وغيرها من الحلقات التى لا يقيد الأستاذ وطلبته فيها الا ما فيه مصلحة عامة تعود على الجميع بالفائدة . وأرى أن يتبع الأستاذ الخطوات التالية :

— قراءة بعض آيات القرآن يعينها لكل لقاء لاحق أحد الحاضرين في اللقاء السابق . ويكلف آخر بتحضيرها من كتب التفسير (كتفسير ابن كثير ، أو في ظلال القرآن) ليفيد زملاءه بها باختصار .

وينبغى أن تكون الآيات مناسبة للمقام ، فالترغيب — مثلا يناسبه آيات الوعد والثواب وصفة الجنة وصفات المؤمنين ، والترهيب يناسبه ذكر الوعيد وصفات النار وأعمال الكافرين — وهكذا يقال في الانفاق والجهاد والصبر والصدق والأمانة والعلم والعمل وغيرها .

— مناقشة عامة لما مضى في الدرس الماضى بذكر ما تم كما ينبغي ، وما لم يتم مع ذكر العوائق التى اعترضت الطالب ومناقشة حلها — وعلى المقصر أن يعترف بتقصيره ان حصل دون جدال ، ويعتذر بعدم التقصير مستقبلا . وعلى الأستاذ وبقية الطلبة قبول العذر وعدم التأنيب فان تكرر فيعالج بالحكمة والأسلوب المناسب في الزمان والمكان المناسبين .

— البدء في دراسة الفصل المقرر ، وينبغي تنوع الدراسة تنوعا يحقق هضمه من جميع الحاضرين ، وفي الامكان اتباع ما يلى ؛ : —

أ — يعطي الاستاذ خلاصة للدرس السابق ، أو يسأل الطلبة عن نقاطه الرئيسية للربط بينه وبين الدرس الجديد ، ويمكن أن يكلف بتلخيصه أحد الحاضرين أو كلهم ، أو يجعل بعضهم يسأل وبعضهم يجيب .

ب — يذكر الأستاذ النقاط الرئيسية للدرس الجديد ، ويطلب من كل طالب الكلام على جزيئات كل نقطة على حدة . أو يطلب من كل طالب ذكر بعض النقاط الرئيسية ثم يقسم الجزيئات على الطلبة كل واحد يتكلم على بعضها .

وعليه تتبع التلخيص أو الأجابة على الجزيئات ليعلق في آخر الأمر ملى ما يراه يستحق التعليق وللأستاذ أن يكلف أحد الطلبة بالقيام بالتدريس اذا رآه أهلا لذلك ليتمرن طلبته على التدريس ، ويصحح لهم مايقعون فيه من خطأ . وعليه أن يبرز الجوانب المقصودة من الدراسة بشكل واضح حتى يتعود طلبته على فهم مقاصد الدراسة والتدريس .

ج — على كل طالب آن يحضر النقاط التى أشكلت عليه في كراسته ولا يبدأ بالسؤال عنها ، بل ينصت ويناقش الى أن ينتهى الأستاذ من البحث الذى فيه نقطة الأشكال فان فهم الاشكال من خلال المناقشة فيها والا سأل أستاذه ، وعلى الأستاذ أن يجيب بوضوح ان كان عنده علم بذلك والا طلب التأجيل ليبحث واذا كان عند بعض طلبته علم فعليه أن يمكنه من ابداء ما عنده ليحصل التعاون بينه وبين طلبته .

وعلى الأستاذ أن يحضر أسئلة على النقاط الصعبة لتنبيه الطلبة على فهمها وأن يسارع بالاجابة أو المساندة عليها اذا أحس عجز الطالب أو الطلبة عن الإجابة .

كما يجب أن يكون غرض الجميع الافادة والاستفادة مع التواضع وعدم الترفع على الآخرين .

د — على الأستاذ أن يعود طلبته في ختام الدرس على الادلاء بما سمعوه من الأخبار المهمة المتعلقة بالعالم الإسلامى أو غيره ، وذكر المقالات الاسلامية . التى ينبغى اقتناؤها وقراءة ما ورد في ختم المجلس .

هـ – لا ينبغي أن يضن الأستاذ أو طلبته بالوقت للدراسة فخير الأوقات ما استغل في طاعة الله لا سيما ما يعود نفعه لعامة المسلمين . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » .

و – وهناك أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أن على الأستاذ أن يكون ملما الماما واسعا بالدروس التى يلقيها لطلبته متمكنا من فهم مسائلها تمكنا كاملا وأن يتوسع في المراجعة في الكتب المناسبة، ويحرص كل الحرص على عدم ظهوره بمظهر المتردد في فهم المسائل حتى لا تضعف ثقتهم به حتى لا يكون قدوة لهم في عدم اتقان مادة الدرس كما أن عليه ألا يتردد عن قول لا أدرى فيما لا يعلم لئلا يقع في مثل قوله : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب – هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب » .

المبحث الرابع

أمور هامة ينبغي للأستاذ أن يمرن طلبته عليها

– الجد في الأمور والبعد عن الهزل والهازلين .

– الحرص على فهم عقيدة السلف الصالح من كتبهم وبالأخص كنب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم .

– التعمق المستمر في فهم كتاب الله وسنة رسوله عن طريق قراءتهما المباشرة والتدبر وقراءة التفسير وعلومه والحديث وعلومه .

– البعد عن التعصب الذى وقع فيه المقلدون الجامدون فالحق أحق أن يتبع وليس أحد من الناس معصوما الا من عصمه الله ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ويجب رد ما اختلف فيه الى الله ورسوله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

– تطهير المجالس من أقذار الغيبة وتجريح الأفراد والجماعات فالوقت يجب أن يستغل في بناء الطالب وتعويده على الالتزام بالأدب الاسلامي والتنفير عن الوقوع في أعراض الناس وفي عيوب الانسان نفسه ما يغنيه عن التفكه بعيوب الآخرين .

– وهذا لا يمنع من ذكر السلبيات التى تؤثر على سير الدراسة أو الدعوة والتى يقع فبها بعض الأساتذة ويقدر ذلك بقدره ، على أن يكون المقصود التحذير من الوقوع فيها .

– عدم تضييع الوقت فيما لا ينفع أو فيما هو مهم على ما هو أهم فضلا عن تضييع الوقت فيما يضر .
وما أكثر ما يضيع طلبة العلم أوقاتهم في الكلام والغلو الذى لا فائدة فيه ، اذا سلموا من الكلام الذى يجلب عليهم الأثم .

ومن صفات المؤمنين « وإذا مروا باللغو مروا كراما » وأمرهم تعالى : بالقول النافع المفيد فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » . .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» . . واستعذاب الكلام فيما لا يفيد دليل فقدان الروح العملية ، فليحذر العاملون ذلك كل الحذر .

المبحث الخامس

عوامل تقدم الطلبة في دراستهم وارتقائهم

١ ــ أن يكون أستاذهم قدوة حسنة في التقدم والارتقاء .

٢ ــ أن يفهموا دروسهم (المنهج المقرر) أولا بأول فهما دقيقا شاملا مع التطبيق العملي لما درسوه فالتطبيق العملي يثبت العلم وعدمه يسبب النسيان .

٣ ــ التركيز على كتاب معين في كل عام يقرأ قراءة دقيقة من أوله إلى آخره مع الفهم وحفظ القواعد والنصوص اللازمة حتى يكون هذا الكتاب بمنزلة المتن لهذا الفن .

٤ ــ إعداد موضوعات وبحوث مناسبة لمراحل الدراسة وتكايفهم باعداد شيء من ذلك .

٥ ــ تعيين بعض الكتب للمطالعة المستمرة وأخرى للتلخيص .

٦ ــ أن يكونوا على صلة بما يجدّ من الكتب والموضوعات والمجلات والجرائد المناسبة والحوادث المعاصرة .

٧ ــ تنمية روح المسئولية فيهم والاستقلال لا التبعية والتقليد مع ترسيخ التواضع فيهم والاعتراف بالفضل لأهله .

٨ ــ متابعتهم متابعة دقيقة ووضع كل منهم في مكانه المناسب في الوقت المناسب .

٩ ــ أن يقبل كل استفسار أو استشكال أو شبهة أو نقد أو إقتراح ويناقش من تقدم بذلك مناقشة هادئة موضوعية مقنعة ، ويسلم لصاحب الحق ويشكره على ذلك .

مع ملاحظة أنه يجب ألا يكون همّ الفرد هو النقد أو القدح وإنما مراده المصلحة والوصول إلى الحق .

١٠ــ تشجيعهم على القيام بجولات مستمرة للدعوة العملية .

١١ــ وعلى الجميع أن يحاسبوا أنفسهم كل بمفرده كل ليلة قبل النوم لمعرفة ما وقع فيه من الأعمال التي لا تليق بالمسلم والتوبة إلى الله منها لينطبق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

المبحث السادس

تدريب الأستاذ طلبته على تنظيم الرحلات

من الأمور التي لا ينبغي للأستاذ أن يغفل عنها تدريب طلبته على تنظيم الرحلات لما في ذلك من الفائدة لهم على تحمل المسئولية وخدمة الآخرين والإيثار والتضحية ويمكن إتباع الطريقة الآتية :

تعيين مجموعة من الطلبة وتكليفهم بالتخطيط للرحلة مع توجيههم بما يلي :

١ – تحديد المكان والزمان (استعداداً وبدأ وعودة) .

٢ – تحديد وسيلة النقل .

٣ – عدد المشتركين حسب الظروف والحاجة .

٤ – المال الكافي .

٥ – المنهج الثقافي وتوزيعه مع مراعاة شموله ومناسبته ويركز على الهدف الذي أنشئت الرحلة من أجله .

٦ – تعيين الأساتذة الذين يمكن الاستفادة منهم .

٧ – تقسيم المشتركين في الرحلة إلى لجان كل لجنة تقوم بمهمة محددة واضحة مع الحث على التعاون العام .

٨ – ارشاد أعضاء الرحلة إلى ماينبغي إتخاذه من الحيطة في الملابس والبسط والأغطية أو غير ذلك .

٩ – ينبغي ألا تستمر مجموعة واحدة من الطلبة في التخطيط للرحلات كلها . بل يكون ذلك بالتناوب بحيث يعلم أن هذه المجموعة أجادت فهم التخطيط والتنظيم للرحلات فتكلف بعدها مجموعة أخرى وهكذا ، وليتمكن الأفراد كلهم أو أغلبهم من التدرب على ذلك .

١٠– يجب أن يوضح المكلف مراده توضيحاً كاملا وعلى المكلف فهم ذلك وتوضيحه لمن يبلغهم عن الرحلة وعلى الأفراد المبلغين فهم ذلك أو التأكد منه بالاستيضاح .

١١– على كل واحد من أعضاء الرحلة أو مجموعة منها عدم تجاوز اختصاصهم حتى لا تضطرب الأمور وتتمكن الفوضى وتستمر فالنظام في حاجة إلى الالتزام ، ومعرفة كل فرد أو جماعة حدودهم .

١٢– على كل لجنة حلّ مشاكلها بواسطة رئيسها وفيما بينها وإذا لم يتمكنوا فليرفعوا أمرهم إلى المسئول المختص حتى تسير الأمور بانتظام .

١٣– ولابد في الرحلة الخلوية – والليلية منها بالأخص من كلمة سر يعرف بها الدخيل من الأصيل . .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

مشكلات التخلف الدراسي وعلاقتها بالقدرات العقلية

لفضيلة الدكتور عباس محجوب / الأستاذ بكلية الدعوة

تمهيـــــد :

من أهم القضايا التي عالجها علماء النفس معرفة المشكلات التي تواجه الإنسان ومحاولة تحديدها ودراستها وتفسيرها بغية الوصول إلى حلول لها وضبط ومعرفة أسبابها حتى يتحول الإنسان من كائن تسيطر عليه المشكلات والمعوقات إلى كائن يسيطر هو على مشكلاته ويتغلب عليها . وهذه المشكلات تختلف من فرد إلى آخر .

وقد اهتم علم النفس بالمشكلات التي تصل إلى درجة الخروج عن السلوك العادي المألوف الذي يعوق حياة الفرد العادية ويؤثر على حياته الدراسية والاجتماعية ، ومن هذه المشكلات مشكلة التخلف الدراسي الذي سنعالجها في هذا الموضوع الذي نأمل ونسأل الله التوفيق في تناوله.

مامعنى التخلف الدراسي ؟

هناك تعريفات كثيرة للتخلف فمن الباحثين في علم النفس من يطلقه على طائفة من ضعاف العقول يندرجون تحت (العقل الخفيف) وهؤلاء يتراوح نسبة ذكائهم بين ٧٠ – ٩٠ وقد ترتفع هذه النسبة عندهم قليلا كما عرف بأنه انخفاض نسبة التحصيل دون المستوى العادي المتوسط في حدود انحرافين معياريين سالبين وله نوعان :

١ – تأخر دراسي عام يرتبط بالغباء حيث تتراوح نسبة الذكاء بين ٧٠ – ٨٥ .
٢ – تأخر دراسي خاص في مادة بعينها كالحساب وهو الذي يرتبط بنقص القدرة .

وهناك من يرى أن المتأخرين دراسياً الذين هم يستجيبون استجابات صحيحة إيجابية للمنهج الدراسي عندما يعالج تأخرهم الدراسي . والتخلف هنا يعتمد على نواح نفسية تربوية طارئة . وهؤلاء يختلفون اختلافاً كبيراً عن ضعاف العقول الذين لا يستجيبون استجابات إيجابية للمنهج .

ومما تقدم نلحظ اختلاف المصطلحات أو التعريفات التي حددت أنواع التخلف لاختلاف النظر إلى العوامل المسببة له . فعلى التعريف الأول يكون انخفاض نسبة الذكاء سبباً في التخلف إلى جانب أسباب أخرى .

العوامل المؤدية للتأخر الدراسي :

هناك عوامل كثيرة يمكن أن تؤدي إلى التخلف الدراسي ترتبط بعوامل اجتماعية أو نفسية أو تربوية ويمكننا أن نحدد هذه العوامل فيما يلي :—

١ — انخفاض نسبة الذكاء العام عن المعدل المتوسط كما رأينا في التعريف الأول لأن تكوين القدرة على اكتساب الوظائف العقلية المعقدة يحتاج إلى نسبة ذكاء لا تقل عن الحد الأدني المساعد على التحصيل المعقول ، أي أن الضعف في الناحية العقلية أو النقص في قدرات الطفل العقلية والذي نصفه غالباً بالغباء عامل مهم في التأخر الدراسي .

٢ — عامل عضوي مثل ضعف السمع أو البصر ، ودورهما كما نعلم هام في عملية التعلم ، وكذلك التلف المخى والاضطراب الصحى العام ، وذلك كله لأن عملية التعليم تحتاج الى إنسان صحيح البنية مكتمل الحواس خال من العيوب الخلقية المتصلة بالجهاز العقلى أو الأجهزة العصبية أو العمليات الحسية المتصلة بها .

٣ — البيئة والمجتمع : في حالات اضطرابات التنشئة الاجتماعية في الأسرة وسوء التوافق الاجتماعى كان يصاحب الطفل أقران السوء بأن ينشأ في ظل علاقات اجتماعية مضطربة القيم والمفاهيم والسلوك أو حرمان الطفل من المثيرات الثقافية والعقلية . .

٤ — علاقة الطفل بالمدرسة ولأن المدرسة متعددة النشاطات فإن كراهية الطفل لوجه من أوجه النشاط المدرسى قد يكون سببا في كراهيتة للمدرسة ، وبالتالى للدراسة وعدم توافقه وانسجامه معها ، كما أن الجو العام للمدرسة أو الفجوة بين المواد التى يدرسها والواقع الذى يعيش فيه أو صعوبة الطرق التى تدرس بها المناهج أو انعدام التوجيه والضبط التربوى السليم ، كل هذه العوامل تلعب دوراً هاماً في التخلف الدراسى .

٥ – الاضطرابات الانفعالية مثل عمليات الاحباط المستمرة سواء في البيت أو المدرسة والاضطراب العصبي وعدم الاتزان الانفعالى والحرمان الدائم .

٦ – ضعف الدوافع والدافعية كما نعلم لها دور مهم في التعلّم ، كما أن عدم بذل الجهد الكافي في التحصيل وقلة الاهتمام مرتبطة بضعف الدافعية .

٧ – أسلوب التربية للطفل ونوع المعاملة التى يجدها من أسرته وعلاقة أفراد الأسرة ببعضها ومدى اضطرابها أو توفر المودة والرحمة فيها وعدم التناسب بين قدرات الطفل وطموحه وسنه .

٨ – عدم اعتماد الطفل على نفسه وتحمل مسؤولياته واعتماده على والديه أو المدرس الخصوصى .

٩ – ضعف الذاكرة : إذ أن التذكر هو أساس العمليات العقلية والوسيلة التى يخزن بها ما يكتسب من خبرات ومعلومات ولأن النسيان عامل كبير في التأخر الدراسى فالعلافة بين التذكر والحفظ قوية ، وقوة الذاكرة وعدم النسيان مظهران من مظاهر النشاط العقلى وعاملان هامان في تذكر الخبرات السابقة وتخزينها .

١٠ – ظروف الطفل الإقتصادية : ومع أن الإقتصاد عامل بيئى إلا أن العامل الإقتصادى مثل توفير احتياجات الطفل من الأدوات المدرسية وامتلاكه ما يمتلكه زملاؤه أمر مهم وفقدانه لذلك قد يجعله متخلفا في الدراسة .

مميزات وسمات المتأخرين عقلياً :

١ – من حيث النواحي الجسمية فنموهم أقل من المتوسط إذا ماقورنوا بزملائهم العاديين وقد يختلفون في نموهم العقلي وإن كانوا لا يختلفون في الانفعالات والاتجاهات والدوافع والرغبات الجسمية والجنسية وربما ظهر المتأخرون دراسياً أطول قامة وأضخم بنية من أقرانهم في الدراسة وذلك إما لتخلفهم عاماً أو عامين عن أقرانهم في الدراسة برسوبهم أو لتأخر التحاقهم أساساً بالمدرسة كما أنهم يتميزون بارتفاع نسبة الإعاقة في السمع والبصر عن أقرانهم .

٢ – من حيث الناحية العقلية فهم ضعاف الذاكرة والقدرة على التفكير الاستنتاجي كما أنهم ضعفاء في قدرتهم على حل المشكلات التي تحتاج إلى المعاني العقلية وهم لايستطيعون اختزان المعلومات لفترة طويلة ويعجزون عن تكرار الأعداد والجمل التي تحتاج إلى تكرار عقب سماعها مباشرة دون أن يجدوا صعوبة في ذلك كما أنهم سطحيوا الإدراك وضعاف من حيث الحفظ والفهم العميق للأمور ، الأمر الذي يجعل استفادتهم الكاملة من الخبرات السابقة أمراً قليلا وهم إلى جانب ذلك كله أقل تقديراً للعواقب أو إدراكاً للنتائج ومايترتب على تصرفاتهم مما يجعلهم يتصرفون بتلقائية وسهولة .

٣ – أما من الناحية الانفعالية فغالباً مايسيطر عليهم احساس عدائي نحو المدرسة ونحو الزملاء أو المدرسين نتيجة لاحساسهم بالنقص أو شعورهم بالذنب وهم لذلك يحبون الانطواء على أنفسهم والهروب

من المدرسة أو المجتمع كما أنهم سلبيون في اتجاهاتهم نحو المدرسة بحيث يقنعون أنفسهم بأنهم فاشلون وبالتالي منبوذون من مجتمع المدرسة ومن لهم مثل هذا النوع من الإحساس يصعب تعديل سلوكهم .

٤ — أما من ناحية الاجتماعية فيرى بعض الدارسين أن التأخر في الطبقات ذات المستوى الاجتماعي المنخفض أعلى منه في الطبقات ذات المستوى العالي . وهؤلاء يرجحون جانب العلاقات الاقتصادية ، أما البعض الآخر فيرى أن التأخر لا علاقة له بالمستوى الاقتصادي أو الثقافي لأنه يشمل جميع الطبقات باختلاف مستوياتهم المادية وهم من الناحية الإجتماعية ينقادون بسهولة للمربيين وللخارجين على القانون كتنفيس لإحساسهم نحو المجتمع أو للانتقام منه .

٥ — من الناحية الشخصية فهم كما ذكرنا أقل تكيفا وتنعدم فيهم روح الابتكار والقيادة . .وحب الاستطلاع والتحصيل والمثابرة معدوم عندهم نتيجة الإحباط الدائم من الناس والأقران ووصفهم بالأغبياء والبلهاء زيادة على السلبية في اتجاهاتهم وميولهم وإن كانوا لا يختلفون عن أقرانهم في النواحى الإنسانية المتعلقة بالطاعة بل قد يكونون اكثر طواعية وانقياداً من غيرهم .

علاقة التأخر الدراسى بالقدرات العقلية

يذكر الدكتور أحمد زكي أن (وظيفة التعلم الأساسية هي مساعدة الكائن الحي على أن يتكيف مع بيئته الخارجية بأبسط طريقة ممكنة بأقل مجهود ممكن على أصح طريقة ممكنة بواسطة تنمية أساليب سلوك مكتسبة تساعده على مواجهة المواقف الخارجية والتغلب على مشكلاتها بنجاح) ومن هنا كانت أهمية دراسة العلاقة بين التأخر الدراسي والقدرات العقلية لأن عملية التعلم بالطريقة التي حددها الدكتور أحمد زكي لا يمكن إتمامها بالصورة المرضية للمتأخرين عقلياً لأن عملية التعلم تعتمد أساساً على عمليات عقلية تسهم فيها ، وسنحدد هذه العمليات العقلية لنحدد موقف المتأخرين عقلياً منهـــا .

١ — التذكر ضعيف عند المتأخرين دراسيا وهو كما ذكرنا أساس عمليات التعلم وبما أن المتخلف لا يستطيع أن يتذكر خبراته القديمة وبالتالى يربطها بالخبرات الجديدة فإنه يفتقد عاملا هاما من عوامل التعلم الأساسية .

٢ — الحفظ : يتميز المتأخرون دراسيا بأنهم لا يحفظون ، وبالتالى لا يتذكرون الخبرات الماضية ولا يستطيعون استدعاء ما تعلموه في المواقف الجديدة . فسريعوا التعلم يحفظون أكثر من ضعاف التعلم لأن الحفظ مظهر من مظاهر الذكاء والمتأخر أقل ذكاء من الشخص العادى .

٣ — التفكير : فعن طريقه ينظم العقل بين الخبرات وإدراك العلاقات بين المواضيع والمواقف . وبما أن التفكير يتطلب نشاطا عقليا أكبر من نشاط المستويات العقلية الأخرى ، فإن المتأخرين دراسيا يعجزون

عن أداء هذه العملية العقلية العليا ، وبالتالى لا يستطيعون اكتساب عادات فكرية صحيحة وتدريب تفكيرهم وتوجيهه بالقدر الذى تسمح به قدرة الإنسان .

٤ — الاستدعاء : وهو استرجاع الذكريات مع ما يصاحبها من ظروف الزمان والمكان وهذه مرحلة عقلية يمكن تدريب المتأخرين عليها ، إلا أن سرعة الأستدعاء عندهم أقل من السرعة عند أقرانهم من زملائهم .

علاج التأخر الدراسي

فرق الدكتور حامد الفقى بين نوعين من التأخر هما : —

(أ) التأخر الخِلقي .

ذلك راجع إلى قصور أو تغير في نمو الجهاز العقلى أو الأجهزة العصبية أو العمليات الحسية المتصلة بها . هذا النوع من التخلف يصعب علاجه لأنه راجع إلى قصور في النمو أو سبب في التكوين البيولوجى للمخ وهؤلاء لا أمل في زيادة نسبة ذكائهم ، ولكن من الممكن رفع كفايتهم التحصيلية وزيادة فعالية استعدادهم، وذلك عن طريق اثارة الدوافع . ويمكن أيضا تغيير اتجاهاتهم السلبية وتخليصهم من الإحساسات التى يحسون بها من مشاعر مؤلمة . فالصعوبة في علاجهم أنهم معوقون من النواحى الإجتماعية والانفعالية والتربوية التى ترجع إلى العيش في ظروف ينخفض فيها المستوى الثقافي والاجتماعى في الريف والأحياء الفقيرة في المدن كما أنهم يفتقرون الى الخبرات والتجارب التى تجعلهم مستعدين للعملية التربوية بالإضافة إلى سوء التغذية والمسكن .

(ب) التأخر الوظيفي :

يرجع الى اسباب يمكن علاجها لأنها ترجع الى اسباب تتعلق بالظروف الإجتماعية والأسرية التى يعيشون فيها وغالباً ما يكون اباؤهم وامهاتهم أميين وقدراتهم محدودة ويمكن لعلاجهم تحديد برامج لهم قبل دخولهم المدارس لأثارة الحماس والنشاط واكسابهم خبرات جديدة افتقدوها في بيئاتهم — كذلك الأسباب الانفعالية يمكن علاجها بإزالة الأسباب المؤدية إليها كاضطراب الأسرة وسوء العلاقة بين الطفل وأسرته فالعلاقة الطبيعية لها دور في نموه الانفعالى وتحسينها سيؤدى إلى تحسين مستوى الطفل — كما يمكن علاج هذه الحالة بتحسين اساليب الآباء في التربية . . وطريقتهم في تأديب أولادهم زيادة على اهتمام الأمهات بالرعاية الصحية لأبنائهن وأسرهن وإتاحة فرص الترفيه واللعب للأطفال وتوجيه عواطف الآباء نحو أولادهم بحيث تسود مشاعر الحب والاحترام بدلا من الكراهية .

كما يمكن معالجة التأخر الناتج من تفكك الأسرة بتوجية الأسرة إلى التماسك وسيادة مشاعر الحب والانتماء للأسرة . أما التأخر الناتج من سوء التغذية فيمكن علاجه برفع مستوى التغذية بحيث يعود للطفل

نشاطه وحيويته ويمكن أيضا تغيير نظام المساكن واقامتها على اسس صحية اجتماعية بحيث يتوفر للطفل الجو المناسب لممارسة حياته وعلاقاته الإجتماعية واشباع حاجاته وميوله وتوفير الجو الملائم للمذاكرة .

خاتمـــــة :

رأينا فيما سبق أنماطا من الأطفال تتحكم فيهم ظروف غير طبيعية تؤدى إلى تأخرهم الدراسى هذه الظروف ليست خاصة بالريف وإنما هى ممتدة لكل المدن وشاملة لكل الطبقات العليا والدنيا الفقيرة والغنية ورأينا أن بإمكاننا التغلب على هذه المشكلة إذا اهتمت الدولة بعلاجها عن طريق رجال التربية ووفرت لها الإمكانيات المادية والعلمية حتى يمكن أن يعالج ما يمكن علاجه ويوقف تدهور ما لا يمكن كالتخلف الخلقى وهو مختلف عن التخلف العقلى حيث تكون الأجهزة العقلية معوقة عن آداء وظائفها. ورأينا أن بإمكاننا تكوين الاتجاهات والقيم لدى المتأخرين دراسيا عن طريق الخبرات والانتظام في الدراسة وتشجيع الوالدين والمدرسة وإزالة مشاعر الاضطهاد والنقص وغيرها .

وآمل أن اكون قد وفقت في تناول المشكلة تناولا أقرب إلى الموضوعية .. والله الموفق .

مراجع البحث .

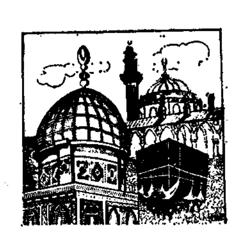
١ ـ التأخر الدراسى — للدكتور حامد الفقى

٢ ـ علم النفس التربوى — « احمد ذكى صالح

٣ ـ علم نفس النمو — « حامد زهران

٤ ـ الـذكاء — « فؤاد البهى

٥ ـ علم النفس التربوى — آرثر جيست واخرين، ترجمة ابراهيم حافظ واخرين





النبات في عالمنا الفسيح لسان من ألسنة التقديس والتسبيح للخالق جل جلاله وهو من جملة بدائع القدرة الالهية في المخلوقات من حيث ايجاد الأشجار والثمار والحبوب ، والبقول ، والأزهار ، والتأمل في كيفية تكوينها ، وجميل صنعها ، مما يقوى في الإنسان عقيدة الإيمان برب السموات والأرض وجميع الكائنات . .

واذا كان عالم النبات صفحة في كتاب الله المنظور فاننا نشهد فيه صورة الحياة في حركتها وانتقالها، وفي مراحلها وأطوارها ، وفي جمالها المونق البديع الألوان والأشكال . قال تعالى: « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ، ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاما ، ان في ذلك لذكرى لأولى الألباب » (١) . . وقال أيضا : « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ . . بل هم قوم يعدلون » (٢) . .

ها هو ذا القرآن يلفت البصائر والأبصار الى سرّ الحياة ومنشأ النبات وتعدده كما يحدثنا أن الزرع والنبات والشجر انما ينشأ نتيجة تفاعل الماء والتراب والبذور ، قال تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوّى والذى قدّر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (٣) .

فالله هو الذى خلق عالمنا كله فسواه تسوية تامة كاملة لا عوج فيها ولا أضطراب ولا نقص ولا زيادة بل كل شيء فيه في وضعه الصحيح يؤدى الغرض الذى من أجله خلق ، فهو الذى قدّر فهدى أى قدّر لكل حيّ ما يصلحه مدة بقائه وهداه اليه ، وعرّفه وجه الانتفاع بما فيه من منفعة له . « والذى أخرج

---

(١) سورة الزمر : ٢١ (٢) سورة النمل : ٦٠ (٣) الأعلى : ١ — ٥ .

المرعى » أى أنبت النبات جميعه . وما من نبت ينبت الاّ وهو يصلح أن يكون مرعى لحيوان ما ، ثم بعد ذلك أنبت النبات (فجعله غثاء أحوى) والغثاء هو الهشيم ، أو الهالك البالى ، والأحوى الذى يميل لونه الى لون السواد(١) .

والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى . . مثال على كمال الخلق والتسوية والهداية ، والغثاء الأحوى إنما هو الفناء والاماتة وازالة الحياة فكيف ذلك ؟ . . وهنا نقف وقفة قصيرة مع العلم الحديث لننظر ماذا قال هنا :

(فجعله غثاء أحوى) أى جعله بعد خضرته يابساً أسود ، وهل هناك نبات اذا جف صار يابسا أسود ؟ لا يوجد فيما نعلم نبات هكذا؟ اذن فكيف أخرج الله تبارك وتعالى المرعى ثم جعله يابساً أسود ؟ كيف ومتى ؟ . . ألا ينطبق هذا كل الانطباق على الفحم الحجرى الذى تكوّن معظمه في حقب الحياة القديمة حينما ظهر النبات غير المزهر والسرخسيات بكثرة عظيمة ثم تراكمت فوقها في بعض الجهات رواسب أخرى فتحولت الى فحم حجرى مع طول الزمن وارتفاع الضغط والحرارة ! . . نعم و هذا هو الغثاء الأحوى الذى تكلم عنه القرآن الكريم وعلله فأصاب وأوجز . قال وأصاب في وقت كانت فيه مثل هذه الحقائق غريبة على عقول البشر . قال هذا فسبق العلم بقرون عديدة . أفليس هذا اعجازا ؟ . . بلى والله إنه نعم الإعجاز (٢) .

ونعلم أن أوّل النبات كانت الأعشاب والمراعى وما من نبات إلاّ وهو صالح لخلق من خلق الله . فهى هنا أشمل مما نعهده من مرعى أنعامنا . فالله خلق هذه الأرض وقدّر فيها أقواتها لكل حى يدب فوق ظهرها أو يختبىء في جوفها ، أو يطير في جوها .

والمرعى يخرج في أول أمره خضرا ، ثم يذوى فاذا هو غثاء ، أميل الى السواد فهو أحوى ، وهو في كل حالاته صالح لأمر من أمور هذه الحياة بتقدير الذى خلق فسوّى وقدّر فهدى . .

ثم يوقفنا التوجيه القرآني على أمسّ الأشياء الى الانسان ، وهو طعامه ، وطعام أنعامه، وما وراء ذلك من تدبير الله وتقديره له :

« فلينظر الإنسان الى طعامه . أنّا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا(٣) وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا (٤) . وفاكهة وأبا(٥) متاعاً لكم ولأنعامكم » (٦) . .

---

(١) تفسير جزء عم ص ٥٢ بتصرف . جاء في لسان العرب أن الغثاء هو اليابس والأحوى من الحوة وهى سواد الى الخضرة أو حمرة الى السواد وقد كثر في كلام العرب حتى سموا كل أسود أحوى .

(٢) القرآن والعلم د/ – أحمد محمود سليمان – ص ٦٦ – ٦٧ – دار العودة بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٤ .

(٣) القضب : الرطب أو الثمار الفضة التى يتكرر قطف أشجارها أو العلف على أختلا ف الأقوال .

(٤) غلبا : كثيفة الشجر (٥) الأب : المرعى على أوجه الأقوال (٦) عبس : ٢٤ – ٣٢

جاء في الكشاف « والحبّ : كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما . والقضب : الرطبة ، والمقضاب أرضه ، وسمى بمصدر قضبه اذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيزيد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة ، وأن يجعل شجرها غلبا : أي عظاما غلاظا . والأب : المرعى لأنه يؤب : أى يؤم وينتجع ، والأب والام أخوان (١)

فالآيات السابقة بيان لقدرة الله وعظمته في الابانة عن منشأ النبات وتعدده ، والارتباط الوثيق بين الحيوان والنبات ، فالكائن الحى لا يتغذى الاّ من أصله الذى تكون منه ، ولذا أمر الانسان أن يتدبر قصة طعامه ، الذى هو ألصق شيء به . وسيجد أنه من الطين والماء .

ان الله صب الماء من السماء صبّا ، ثم شق الأرض بجذر النبات ، شقّه شقّا فأنبت فيها حبّا وعتبا وقضبا .

وصب الماء في صورة المطر حقيقة يعرفها كل انسان في كل بيئة ، وفي أى درجة كان من درجات المعرفة والتجربة . والله الذى لا شريك له هو الذى صب الماء ، وهو الذى قدّر أن يكون الماء العامل الأول في خلق كل نبات ، ولنا عود لهذا الموضوع بعد قليل .

ثم تأتي المرحلة التالية لصبّ الماء ، وهى شقّ الأرض شقا بجذر النبات لتتكون الجذور الممتدة خلال التربة ، أو أن يشق النبت تربة الأرض شقا بقدرة الله الخالق ، وينمو على وجهها ، ويمتد في الهواء فوقها ، وربما شقت النبتة الصفراء الملتوية الهشة الأرض الصلبة الجافة ، أو الصخرة العاتية نافذة إلى أعلى مكوّنة الساق والأوراق .

اذن على الانسان أن ينظر الى طعامه الذى به قوامه ، كيف تفضل الله به عليه فصار في أشد الحاجة اليه ، وكيف حوّل الله له بعض عناصر الأرض طعاما هنيا في شكل جميل ولون جذاب ، وطعم مستساغ حلو المذاق .

وجعل الله هذا الأصل الواحد أزواجا وأشكالا من حيث هو مأكول كالقمح والذرة والفول ، وغيرها من البقول ، أو هو فاكهة لذيذة كالعنب والنخيل ، وغير هذا كثير مما يؤكل قضبا كالقثاء والتفاح ، وهذه الحدائق الفيح الملتفة الأغصان ، وهذه السهول الخضر . . كلها متاع للانسان والأنعام .

● ★ ●

والنبات انما ينشأ من تراب وماء ، والله هو الذى أوجد الماء ، وأنزله من السماء بنظام وقدر موزون ، وقد تكرر ذكر الماء كثيرا في القرآن الكريم في صدد الحياة والانبات قال تعالى :

---

(١) تفسير الزمخشرى ٤/٢٢٠ طبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٦٦ م .

« وهو الّذى يرسل الّرياح بشرا بين يدى رحمته . حتّى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون . والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربّه والذى خبث لا يخرج الاّ نكدا ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » (١) . .

— « وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا » (٢) . .

— « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » (٣) . .

— « الذى جعل لكم الآرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السّماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم انّ في ذلك لآيــات لأولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » (٤) . .

— « وهو الذى أنزل من السّماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه . انّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (٥) . .

— « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزّرع والزيتون والنّخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٦) . .

— « وأنزلنا من السّماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ، وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدّهن وصبغ للاكلين » (٧) . .

— « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرّة ان الله لطيف خبير » (٨) . .

ان الله هو الذى يرسل الرياح مبشرات برحمته . والرياح تهبّ حاملة للسحاب وفق النواميس الكونية ويصرفها عمن يشاء من عباده ، فإذا أنزل الماء منها على بلد ميت أحياها بأمره جل جلاله وأخرج الله به من كل الثمرات رزقا لكم ، ومتاعا الى حين .

ودور الماء الظاهر في انبات كل شيء دور واضح يعلمه البدائي والمتحضر ، ويعرفه الجاهل والعالم . . ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذى يخاطب به القرآن الناس عامة . فقد شارك الماء ابتداء — بتقدير الله — في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للانبات (اذا صحت النظريات

---

(١) الأعراف : ٥٧ — ٥٨ (٢) الفرقان : ٤٨ — ٤٩ (٣) فاطر : ٩
(٤) طه : ٥٣ — ٥٥ (٥) الأنعام : ٩٩ (٦) النحل : ١٠ — ١١
(٧) المؤمنون : ١٨ — ٢٠ (٨) الحج : ٦٣

التي تفترض أن سطح الأرض كان في فترة ملتهبا ، ثم صلبـــا لا توجد فيه التربة التي تنبت الزرع ، ثم يتعاون الماء والعوامل الجوية على تحويلها الى تربة لينة)(١) ثم ظل الماء يشارك في اخصاب هذه التربة ، وذلك باسقاط « النتروجين » — الأزوت » من الجو كلما أبرق فاستخلصت الشرارة الكهربائية التي تقع في الجو ، النتروجين الصالح للذوبان في الماء ويسقط مع المطر ، ليعيد الخصوبة الى الأرض . . وهو السماد الذى قلد الإنسان القوانين الكونية في صنعه الآن بنفس الطريقة ! وهو المادة التي يخلو وجه الأرض من النبات لو نفدت من التربة ! (٢) .

والآيات الكريمة السابقة من سورة طه والأنعام والزمر والنحل والمؤمنون . . وغيرها تشير الى كثير من خصائص النبات فالآية الكريمة من سورة الأنعام توضح معنى علميا (وهو أن الماء ينبت البذور فتخرج أجنة النبات من دور الركود وتخصص أجزاء منه للأوراق في انتاج المادة الخضراء وهى اللازمة لتكوين المادة الغذائية داخل عروق التبات فتتكون البذور والثمار)(٣) .

والنبات كما بينا يبدأ حياته في الغالب بذرة أو نواة توضع في الأرض وتسقى بالماء ، ثم تنفلق ويخرج منها جذير يمتد إلى أسفل وسويق يمتد إلى أعلى ، وهو ما عير عنه القرآن الكريم بقوله : « ثم شققنا الأرض شقا » (٤) وهذا الدور من حياة النبات يمكن أن يسمى دور الانبات وفيه تنشق الأرض عن النبتة الصغيرة ذات الورقتين الخضراوين ، وفيه لا تأخذ البذرة أو النواة من خارج الأرض الآ الماء والاكسجين ، أما ما عدا ذلك من الغذاء اللازم لتكوين الجذير والسويق والورقتين فتستمد مما أودعه الله الحب والنوى من مواد عضوية كالنشا قدّرها الله بحيث تكفى لتكوين تلك الأعضاء . وعلى الجذير والورقتين يتوقف غذاء النبات بعد ذلك ، فالجذير يمتص الماء وما فيه من أملاح ذائبة في الأرض ، والوريقات الخضر تقوم بعمليتي التنفس والتمثيل الخضرى (٥) .

وتعرف هذه العملية (بالتمثيل الكربوني) . يدخل ثاني أكسيد الكربون من الجو الى النبات عن طريق الثغور ، فيقابل المادة الخضراء والماء ، وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضوء ، أما طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثاني أكسيد الكربون ، فهى عملية كيماوية معقدة ، لم يقل العلم عنها الآ أن وجود المادة الخضراء والماء والحرارة ، ينتج عنها تغييرات تنتهى بتكوين المواد الغذائية ، ولا يتمّ الآ في الضوء . ولذا فهى تسمى أيضا « بالتمثيل الضوئي » . ويقرر العلم أن هذه العملية هى أصعب وأعجب عملية تقوم بها الحياة ولا يمكن لأى تركيبات أو أجهزة أن تقوم بمثل ما تقوم به ورقة خضراء في أى نبات (٦) .

---

(١) انظر العلم يدعو للايمان ص ٧٦ . (أ) كريسى موريسون : ترجمة محمود الفلكى ، النهضة المصرية بالقاهرة ط ٦ ، ١٩٧١ م

(٢) في ظلال القرآن ٣٢٤/٣ (٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ١٨٩ طبعة القاهرة ١٩٧٥م (٤) عبس : ٢٦

(٥) الاسلام في عصر العلم ص ٣٤٥٦ – ٣٥٧ بتصرف / محمد احمد الغمراوى ط ١ ، القاهرة ، دار الانسان ، ١٩٧٣ م .

(٦) الله والعلم الحديث ص ٤٧٥ عبد الرازق نوفل ، الناشرون العرب القاهرة ، ١٩٧١ .

والمادة الخضراء التي ورد ذكرها في الشرح الآنف الذكر هى ما أشارت إليه الآية الكريمة بكلمة « خَضِراً » واخراج هذا (الخَضِرُ) أى المادة الخضراء يأتي بعد اخراج النبات من الماء ، وإذا تابعنا عملية خاق النبات حسب تسلسلها في آية الأنعام — ٩٩ وجدناها موضحة بعوامل خلق ثلاثة ، وهى كما يأتي :

١ — عامل الخلق الأول لكل النبات هو الماء :
(وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) . .

٢ — عامل الخلق الثاني : هو المادة الخضراء التي تشير إليها الآية بكلمة (خضرا) (فأخرجنا منه خضرا) .

٣ — عامل الخلق الثالث : وهو اخراج الحب والثمر المتباين والمختلف حجما وشكلا ، بين قمح وعنب ورمان وزيتون . . الخ قال تعالى :

« نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » (١) .

والحبّ المتراكب كالسنابل وأمثالها ، والقنوان جمع قنو وهو الفرع الصغير وفي النخلة هو العذق الذى يحمل الثمر ، ولفظه (قنوان) ووصفها (دانية) يشتركان في القاء ظل لطيف أليف . وظل المشهد كله ظل وديع حبيب . . » وجنات من أعناب » . . « والزيتون والرمان » . . هذا النبات كله بفصائله وسلالاته — (مشتبها وغير متشابه) — أى (مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم) (٢) أو (بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم) (٣) « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه » . . انظروا بالحس البصير ، والقلب اليقظ انظروا اليه في ازدهاره ، وازدهائه عند كمال نضجه . انظروا إليه واستمتعوا بجماله . . لا يقول هنا ، كلوا من ثمره اذا أثمر ، ولكن يقول : « انظروا الى ثمره وينعه » ، لأن المجال هنا جمال ومتاع ، كما أنه مجال تدبر في آيات الله ، وبدائع صنعته في مجال الحياة (٤) .

والآية الكريمة من سورة الزمر — (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فسلكه . . . الآية) — توجه الأنظار للتأمل والتدبر ، في ظاهرة تتكرر في أنحـــاء الأرض ، حتى لتذهب بجدتها وما فيها من عجائب في كل خطوة من خطواتها . . فهذا الماء النازل من السماء . . ما هو وكيف نزل ؟ . . اننا نمر بهذه الخارقة سراعا لطول الألفة وطول التكرار . ان خلق الماء في ذاته خارقة . ومهما عرفنا أنه ينشأ من اتحاد ذرتي أيدروجين بذرة اكسوجين تحت ظروف معينة ، فان هذه المعرفة خليقة أن توقظ قلوبنا الى رؤية يد الله التي صاغت هذا الكون بحيث يوجد الأيدروجين ويوجد الاكسوجين وتوجد الظروف التي تسمح باتحادهما ، وبوجود الماء من هذا الاتحاد ، ومن ثم وجود الحياة في هذه الأرض . . ولولا الماء لما وجدت

(١) الأنعام : ٩٩
(٢) تفسير الطبرى : ٥٧٨/١١ تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف .
(٣) تفسير الزمخشرى : ٤٠/٢ .
(٤) انظر منهج الفن الاسلامى محمد قطب ص ٢١٨ — دار القلم .

حياة . انها سلسلة من التدبير حتى نصل الى وجود الماء ووجود الحياة . والله من وراء هذا التدبير وكله مما صنعت يداه . . ثم نزول هذا الماء بعد وجوده وهو الآخر خارقة جديدة ، ناشئة من قيام الأرض والكون وفق نواميس قدرها الله في هذا الكون ، ودبر حركتها ، ونتائجها ، فسمح بتكون الماء ونزوله(١).

ثم تجيء الخطوة التالية لانزال الماء :

« فسلكه ينابيع في الأرض » . .

سواء في ذلك الأنهار الجارية على سطح الأرض ، والأنهار الجارية تحت طباقها مما يتسرب من المياه السطحية ، ثم يتفجر بعد ذلك ينابيع وعيونا ، أو يتكشف آبارا . ويد الله تمسكه فلا يذهب في الأغوار البعيدة التى لا يظهر منها أبدا ! ! . .

« ثم يخرج به زرعا مختلفاً ألوانه » . .

والحياة النباتية التى تعقب نزول المطر وتنشأ عنه ، خارقة يقف أمامها جهد الإنسان حسيرا ، ورؤية النبتة الصغيرة وهى تشقّ حجاب الأرض عنها ، وتزيح أثقال الركام من فوقها ، وتتطلع الى الفضاء والنور ، والحرية ، وهى تصعد في الفضاء رويداً رويداً . هذه الرؤية كفيلة بأن تملأ القلب المفتوح ذكرى ، وأن تثير فيه الاحساس بالله الخالق المبدع الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . والزرع المختلف الألوان — في البقعة الواحدة ، أو النبتة الواحدة ، أو الزهرة الواحدة — ان هو الآ معرض لابداع القدرة ، يشعر الإنسان بالعجز المطلق عن الاتيان بشيء منه أصلا ! ! . .

وفي ضوء هذا يتبين لنا بعض أسرار تكرار القرآن الكريم لحديث الماء ونزوله ، وما يترتب عليه من أثر عميق في الحياة بما ينبت من الزروع والحدائق ، المختلفة الأنواع والأشكال (٢) .

● ★ ●

ومن مشاهد الأرض أننا نراها ساكنة لا حركة فيها ولا حياة ، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وانتفخت وانبتت من كل زوج بهيج قال تعالى :

« وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » (٣) . .

وقال أيضا : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذّى أحياها لمحيي الموتى انّه على كل شيء قدير » (٤) . .

واهتزاز الأرض تحركها بالنبات ، وإحياؤها بعد موتها ، ومعنى ربت أى ارتفعت لما سكن فيها من الثرى ثم أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح والأشكال والمنافع (٥) .

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٧/١٣٥ وما بعدها .
(٢) انظر في هذا البحث ص ٥
(٣) الحج : ٥
(٤) فصلت : ٣٩
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٨ و ٤/١٠٢ .

(والخشوع : التذلل والتقاصر ، فاستعير لحال الأرض اذا كانت قحطة لانبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى : « وترى الأرض هامدة » . . وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو هو الانتفاخ اذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه ، وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة . وقرىء وربأت : أى ارتفعت لأنّ النبت إذا همّ أن يظهر ارتفعت له الأرض) (١) .

وهكذا وصف الله تعالى الأرض بأنها ميتة ، وأنه يحييها بالماء الذى يجعلها تهتز وتربو . أى تتحرك وتنمو ، وهذه الحركة العجيبة سجلها القرآن الكريم قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام ، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهى تتشرب الماء وتنتفخ فتربو ثم تحيا بما تنبت من كل زوج بهيج . وهل أبهج من الحياة وهى تتفتح بعد السكون ، وتنتفض بعد الهمود .

وهكذا نجد أن القرآن قد عبر عن الأرض قبل نزول الماء ، وقبل تفتحها بالنبات ، مرة بأنها (هامدة) ومرة بأنها (خاشعة) والتعبيران يوحيان بالسكون الذى ما يلبث أن يهتز ويتحرك اذا ابتات الأرض بالماء ، وبذلك ترتسم لنا معالم الصورة ، ويبدو لنا ما خفى عن ادراكنا للحركة الدائبة تحت سطح الأرض ، فنعلم أن كل المراعى الخضر الزاهرة الوادعة في مظهرها ، انما تخفى تحتها حياة وحركة ونموا بما يمتد في باطن الأرض من جذور وبما ينبت فوقها من نبات يتغذى منها ويعلو ويثمر ، قال تعالى :

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ، وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » (٢) . .

وقال تعالى : « يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون»(٣)

فالماء حين يصيب الأرض ، يبعث فيها الخصب ، وتموج صفحتها بالحياة المنبثقة النامية . . ورؤية الزرع النامى ، وتفتح الزهر ، ونضج الثمر اليانع ، وتزين الأرض بمختلف الألوان مشاهد تلفت العين والقلب إلى القدرة المبدعة ففى كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج الى وجه الحياة ، وفي كل لحظة يجفّ أعواد و شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم أو حطام . ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والانبات ، ويوجد الغاز الذى ينطلق في الجو أو تتغذى به التربة ، وتستعد للاخصاب . وفي كل لحظة تدب الحياة في نبات أو حيوان ، ويتم التحول من خاصية الى أخرى(٤) . . وانها لمعجزة لا يدرى سرّها أحد ، ولا يملك صنعها الاّ خالق الأكوان ولذا حرص القرآن على توجيه القلب البشرى لهذا المشهد المتكرر ؛ : « انّ الله فالق الحبّ والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحيّ . ذلكم الله فأنى تؤفكون ؟ . » (٥) . .

---

(١) سير الزمخشري ٣/٤٥٤ . (٢) يس : ٣٣ - ٣٥ (٣) الروم : ١٩
(٤) انظر في ظلال القرآن ٦/٤٤٦ وما بعدها . (٥) الأنعام : ٩٥

فهذا اثبات قاطع أن الأرض الميته تخرج النبات الحيّ يتغذى وينمو ويثمر ويموت ، جاء في الكشاف : « يخرج الحي من الميت » : أى الحيوان والنامى من النطف والبيض والحبّ والنوى » ومخرج هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامى ، فان قلت : كيف قال مخرج الميت من الحيّ بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحيّ من الميت ؟ قلت : عطفه على فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحيّ من الميت لأن النامى في حكم الحيوان ، ألا ترى الى قوله – يحيي الأرض بعد موتها – « ذلكم الله » أى ذلكم المحيي والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية » (١) .

فالحبّ الساكن ، والنوى الهامد وهو يفلق باطن الأرض ليخرج منه نبات حيّ ، مشهد يتكرر في كل لحظة . . وفي الشجرة الصاعدة والنبتة النامية تعبير عن معجزة الحياة نشأة وحركة ، وعلى سِرٍ مكنون لا يعلم حقيقته الا الله . . وتقف البشرية بعد كل ما رأت من ظواهر الأشياء وأشكالها ، وبعدما درست من خصائصها وأطوارها . . تقف أمام السرّ المغيب كما وقف الإنسان الأول ، تدرك الوظيفة والمظهر ، وتجهل المصدر والجوهر ، والحياة ماضية في طريقها ، والمعجزة تقع في كل لحظة ! ! . .

ولعل في تنويع نسق التعبير بين (يخرج) و (مخرج) ايقاظا للحسّ حتّى يلتفت للقدرة الباهرة وهو يعرض آيات الله في الكون .

● ★ ●

قال تعالى وهو أصدق القائلين : « وهو الذى مدّ الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »(٢) . .

الآيات الكريمة هنا تطوف بالقلب البشرى في مجالات وآفاق متعددة ، وتعرض من مشاهد الكون : الأرض الممدودة ، وما فيها من رواسى ثابتة ، وأنهار جارية ، والليل اذ يغشاه النهار ، والجنات والزرع والنخيل في مختلف الأشكال والطعوم والألوان ، ينبت في قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد .

وأول المشاهد المعروضة هذه الأرض المبسوطة على امتداد البصر ولا يهمّ ما يكون شكلها الكلى في حقيقته إذ أن مدّ الأرض وبسطها ليس دليلا على عدم كرويتها اذ هى مبسوطة ممدودة في نظرنا لنعيش عليها ، ويقابل مدّ الأرض ارساء الجبال مع تحركها ودورانها .

وعلى هذه الأرض معارض مختلفة ، تتفاوت فيها أنظار الناظرين : بين النظرة العابرة التى لا ترى الا الآفاق الفسيحة الممتدة ، والنظرة المتأملة التى تنفذ الى تدبر عظمة الخالق ، وجلال عمله ، وروعة حكمته ، مما يملأ القلب خشوعا ، وولاء ، وحمدا للخلاق العظيم . . رب العالمين . .

---

(١) تفسير الزمخشرى ٣ / ٧٢.

(٢) الرعـد : ٣ – ٤ .

وقوله (جعل فيها زوجين اثنين) أى : « خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ، وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة » (١) .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن المقصود بالزوج في مثل قوله تعالى : « وأنبتت من كل زوج بهيج » (٢) وقوله : « أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم » (٣) ــ الزوج هو النوع ، أى نوع بهيج أو كريم ، وعندما يكون الغرض من الزوج ، الذكر والأنثى يقول تعالى (زوجين) لأن الزوجين هما النوعان ، نوع الذكر ونوع الأنثى ، ومثله قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٤) .

وقد دل علم الحياة على أن الكائنات الحية تنقسم الى ذكر وأنثى سواء في الحيوان والنبات ، وقد يكون الذكر والأنثى في الزهرة الواحدة ، أو الشجرة الواحدة أو في شجيرات ويتم التلقيح أما بالريح أو الطير ، وسبحان الله الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وخلق الأزواج ظاهرة مطردة في الأحياء كلها ، النبات فيها كالانسان . ومثل ذلك غيرهما . قال تعالى : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون »(٥) .

فنعم الخالق العظيم الذى خلق الأزواج من كل شيء . . من أنفسنا كبشر ، ومن الحيوان والطير والنبات . . ومن الأشياء التى تحيط بنا من ماء وهواء وسحاب ومن الذرات التى لا نراها بالعين المجردة . . وانها لوحدة تشى بوحدة اليد المبدعة ، التى توجد قاعدة التكوين مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع والأجناس ، والخصائص والسمات ، في هذه الأحياء التى لا يعلم علمها الا الله ، وقد أصبح معلوما أن الهواء مكون من التزاوج بين الاكسجين وأكسيد الكربون ، وأن الماء مكون من التزاوج من الهيدروجين والأكسجين . . وأن دم الإنسان مكون من التزاوج بين الكريات الحمر والكريات البيض . . وأن الذرة أصغر ما عرف من أجزاء المادة ــ مؤلفة من زوجين مختلفين من الأشعاع الكهربي ، سالب وموجب يتزاوجان ويتحدان ! . . كذلك شوهدت ألوف من الثنائيات النجمية ، تتألف من نجمين مرتبطين يشد كلاهما الآخر ، ويدوران في مدار واحد كأنما يوقعان على نغمة رتيبة(٦) .

فالتزاوج بين كل شيء أمر نوّه عنه القرآن الكريم قبل أن تبرهن عنه القرائن العلمية الحديثة بقرون بعيدة .

وكثيرا ما يتساءل الإنسان عن السبب الذى من أجله خلق الله حشرات غريبة ، وعن فوائدها . . ألا أنه سيقف مشدوها كما وقف أحد العلماء عندما عرف دورهذه الحشرات في نقل بذور اللقاح لأتمام عملية التزاوج في النبات فأقر بأن هذا العمل من معجزات الله (٧) .

---

(١) تفسير الزمخشرى ٣٤٩/٢ (٢) الحج : ٥ (٣) الشعراء : ٧ (٤) الذاريات : ٤٩
(٥) يس : ٣٦ (٦) انظر : مع الله في السماء ص : ١٧٤ ، أحمد ذكى ، دار الهلال القاهرة .
(٧) انظر : الله والعلم الحديث : ص ٩٩

وقوله (وفي الأرض قطع متجاورات . .) أى (بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة ، وكريمة إلى زهيدة ، وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا الشجر الى أخرى على عكسها ، مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية ، وذلك دليل على قادر مزيد لأفعاله على وجه دون وجه وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهى تسقى بماء واحد ، ونراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح ، متفاضلة فيها(١) .

فهذه المشاهد الأرضية معارض متعددة ، تثير في الإنسان رغبة التطلع اليها بحواسه جميعا . . برغم تأكيد النص على وجوب التطلع في ملكوت الله ، والتدبير فيما أبدع وصور ، ولن يخطىء العقل طريقه الى الله اذا هو وقف متجردا بين يدى تلك الآيات . . ففى الأرض قطع متجاورات ، ولكنها غير متماثلة . . منها الطيب الخصب ، ومنها السبخ النكد ، ومنها المقفر الجدب ، ومنها الصلد ، وكل واحد من هذه وتلك أنواع وصنوف وألوان ودرجات ، ومنها العامر والغامر ، ومنها المزروع الحىّ والمهمل الميت ومنها الريان والعطشان . ومنها ومنها ومنها . . وهى كلها في الأرض متجاورات . ولكنها ليست متساوية في الخصب أو الخواص . . ثم قال تعالى : « وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد . ونفضل بعضها على بعض في الأكل) . ولقد شاءت قدرة الله أن تفلح هذه القطع من الأرض وتزرع وتعمر بوساطة الإنسان ، حتى يتألف منها ثلاثة أنواع من النبات : الكرم المتسلق العنب وما على شاكلته ، والنخل السامق بأنواعه ، والزرع من بقول وحبوب وخضروات متشابهة وغير متشابهة ، حيث تكون كلها مجتمعة حدائق كالجنات بما فيها من نبات يسبح باسم الله العلى القدير . وذلك النخيل : صنوان وغير صنوان ، منه ما هو عود واحد ، ومنه ما هو عودان أو أكثر في أصل واحد ، وكله (يسقى بماء واحد) والتربة واحدة ، ولكن الثمار مختلفات الطعوم والأحجام ، والألوان ، والخواص الأخرى ، ومنها ما هو مختلف كل الاختلاف في نواح عديدة وصفات متعددة ، وهنا تتجلى عظمة الخالق في جعل حبة الحنظل اذا وضعت في جوف الأرض تطلب من معادنها ما ينمى مرارتها ، وجعل حبة البطيخ تأخذ من بين عناصر الأرض ما ينمى حلاوتها ، وكلتاهما من رتبة واحدة وهما تسقيان بماء واحد (٢) .

هذه الجولة في مشاهد الكون تعرض مشاهد عدة تشكّل لوحة فنية رائعة ، تصور أرضا مبسوطة ، وجبالا راسية ، وأنهارا جارية ، وأزواجا من الثمرات ، وقطعا من الأرض متجاورات ومتباينات ، ونخيلا صنوانا وغير صنوان ، وثمارا مختلفة الطعوم والزروع والنخيل والأعناب . . كلها توقظ القلب ، وتنبه العقل ، وتؤكد روعة التدبير . وقدرة الخالق سبحانه ، الذى أخرج كل نبت في هذه الأرض ،

(١) تفسير الزمخشرى : ٢)٣٤٩ .

(٢) انظر آيات الله في الآفاق ص ٧٣ وما بعدها .

وفي خلقه دقة واحكام وتقدير لا يزيد أو ينقص ، وقد وصفه القرآن الكريم بأنه (موزون) ، وفيه دليل على التناسق في الخلق الدال على الحكمة الالهية البالغة ، والقدرة العجيبة ، التى تعين كل شيء بمقدار ، وتزن كل موجود بميزان ، بحيث تتحقق فيه المنفعة التى أرادها الله لعباده . قال تعالى :

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين »(١) .

وقوله « موزون » وزن بميزان الحكمة ، وقدّر بمقدار يقتضيه ، لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان» (٢) ولذلك اتبعه بقوله : « وجعلنا لكم فيها معايش ، لأن ذلك يحسب بحسب الانتفاع بعينه .

وقال الراغب الأصفهاني : « وقيل بل ذلك اشارة الى كل ما أوجده الله تعالى ، وأنه خلقه باعتدال ، كما قال انا كل شيء خلقناه بقدر (٣) .

والحقيقة هى أننا نجد قرينة دالة على معنى التقدير بمقدار معلوم في كلمة « موزون » هذه القرينة نفهمها من سياق الآيات الكريمة بعد ذلك وهى قوله « وإن من شيء الا عندنا خزائنه ، وما ننزله الا بقدر معلوم » (٤) . . فالآية ظاهرة الدلالة على أن ما يتفضل الله به إنما هو وليد الحكمة في الخلق والتقدير والاتزان ، فليس من شيء ينزل جزافا وليس من شيء يتم اعتباطا .

ولعلنا بعد هذه الجولة في دنيا النبات ومملكته ، نقف عاجزين عن الإحاطة بمشاهده المتعددة،ومروجه الخضر ، التى تأخذ بالقلوب والأبصار لجمالها . . انه عالم مترامى الأطراف ، غنى بشتى أنواع النبات والأشجار وفصائل النبات والأزهار ووافر الثمرات والغلات ، التى يتغذى عليها الملايين من ذرية آدم وحواء وما لا ينحصر من المخلوقات المتنوعة التى تعيش وتدب في الأرض أو تسبح في الفضاء أو تغوص في قاع الماء .

رأينا الحبّ والنوى يحفظ الحياة داخل البذرة ، ثم ينقل هذه الحياة الى جذيرها وسويقها .

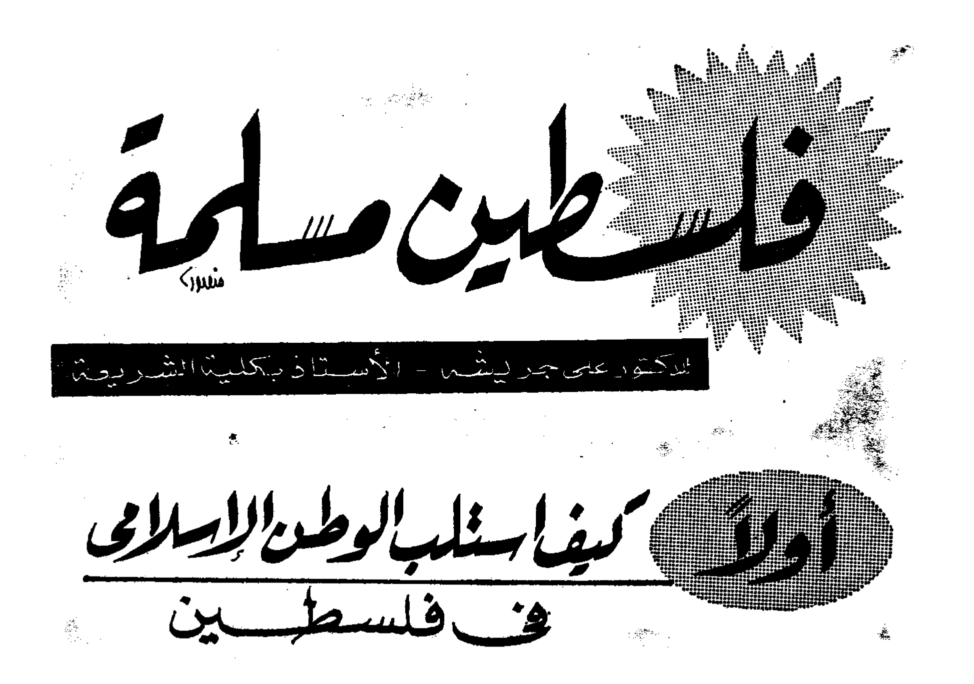
ورأينا في عملية الانبات تلك الشعب والشعيرات الهنية اللينة تخترق الأرض الصلبة وتشقّ طريقها الصعب الوعر باحثة عن غذائها وعامل نمائها ، فتعطى الثمر الكبير الحجم والوزن المتفاوت والثمر المختلف شكلا وملمسا ولونا ورائحة وطعما ومذاقا ، وكلها بديع التنسيق والتكوين ، وهى تسقى بماء واحد وتتغذى من تربة واحدة . . « وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون »(٥) .

ورأينا في النبت الموزون مع الاختلاف والتعدد دقة الخلق وأحكام التقدير » « والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » (٦) .

نعم لقد رأينا جملة النبات تتفاوت في تركيبها ، وقدراتها ، غير أننا قد رأينا فيها جميعا قدرة الخالق ، فسبحان من أوجد الوجود ونظمه ، وخلق كل شيء وألهمه ، وهدى كل حيّ وعلّمه ! . .

(١) الحجر : ١٩ - ٧٠
(٢) تفسير الزمخشرى ٣٨٩/٢ .
(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة وزن .
(٤) الحجر : ٢١ .
(٥) النمل : ٦٠
(٦) الحجر : ١٩


التاريخ
والسيرة



أ – تاريخ . . .

البعض يرجع ذلك تاريخيا الى أول مؤتمر صهيوني انعقد في بال ١٨٩٧ بزعامة تيودور هرتزل ، حيث قرر اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ووضع التخطيط اللازم للتنفيذ فسار في خطين : خط دفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين ، وخط البحث عن الشرعية الدولية التى تساند هذا الاغتصاب أوتستره، وفي الوقت نفسه القوة الدولية التى تحمى هذا الاغتصاب بالقوة وبالشرعية معا(١) . .

وتأسس البنك الوطنى اليهودى لهذا الغرض . . وتأسست معه الجمعيات اليهودية العديدة التى تزكى في اليهود روح الصهيونية وكان ذلك تنفيذاً للخط الأول . . وبدأت الهجرة تسير في خط بياني بدأ بعدة آلاف ، وانتهى اليوم بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

وفي مدينة القدس الإسلامية – على سبيل المثال – كان عدد السكان اليهود :

سنة ١٦٧٠ م (القرن السابع عشر) يهودى واحد

سنة ١٧٥٠ م (القرن الثامن عشر) ١٥٠ يهوديا

سنة ١٩٧٧ م (القرن العشرون) ١٤٢٠٠٠ مائة واثنين وأربعين ألف يهودى

وبدأ انتزاع الأرض من أيدى أهلها بالأغراء بالمال رغبا . ثم بالتخويف والبطش بعد ذلك رهبا . .

وسار انتزاع الأرض يأخذ الخط البياني التالى :

في العشرينات – تراوحت ما بين ٤٩٧ر١٧ سنة ١٩٢٣ الى ١٢٤ر١٧٦ دونما عام ١٩٢٦ .
في الثلاثينات – « « ٨٩٣ر١٨ سنة ١٩٣٢ الى ٩٩١ر٣٦ دونما عام ١٩٣٣(١) .
إلى ١١٤ر٦٧ سنة ١٩٣٥

في الأربعينات وفي نهاية سنة ١٩٤٦ قدرت السلطات البريطانية ما يملكه اليهود بمساحة ٠٠٠ر٦٢٤ر١ دونما ، ومع ذلك فلم تكن تمثل غير ٧٪ من مساحة فلسطين . .

وفي سنة ١٩٦٧ – ملكت اسرائيل كل أرض فلسطين وأضعافها . .

وتحقيقا للخط الثاني . . كانت محاولة الشرعية (١) الأولى مع دولة الخلافة . . مع السلطان عبد الحميد رحمه الله . . قيل ان هرتزل قابل السلطان عبد الحميد بنفسه . .

وقيل أنه أوفد إليه وفدا من ثلاثة :

١) مزراحى قرصو (زعيم اليهود في سالانيك). ٢) جاك .
٣) ليون (وهما كذلك من زعماء اليهود) . .

وعرضوا على السلطان عبد الحميد / في حضور تحسين باشا رئيس الوزراء) . .

أ – أن يقوم اليهود بوفاء الديون المستحقة على الدولة العثمانية (وقدرها ١٣٣ مليون ليرة انجليزية ذهبية .
ب – بناء أسطول لحماية الامبراطورية العثمانية (يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسى) .
ج – تقديم قرض بدون فائدة (قد ه ٣٥ مليون ليرة ذهبية) لانعاش مالية الدولة ومواردها وذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين للزيارة في أى يوم من أيام السنة ، والسماح ببناء مستعمرة لهم قرب القدس الشريف – وقد رفض الخليفة المفترى على تاريخه ، وقيل انه بصق في وجه زعيمهم . .

★ ● ★

ب – أرض بلا شعب إلى شعب بلا أرض (اسرائيل زانغويل) :

وكانت المحاولة الثانية فيالبحث عن الشرعية الدولية والحماية الاستعمارية . . عن طريق بريطانيا واستطاع اليهود خلال الحرب العالمية الأولى والثانية أن ينجحوا في المشاركة في هذه الحرب بما استمال بريطانيا العظمى اليهم ، ثم كانت صلات هرتزل ووايزمان من بعده استثماراً لهذه المشاركة واستفادة منها(١) . .

وفي الوقت الذى كانت بريطانيا « العظمى » قد اعطت العهد للشريف حسين بمنح الاستقلال للدول العربية ، والسماح بقيام خلافة « عربية اسلامية » ، يقوم عليها أحد الأصلاء من مكة أو المدينة – في

(١) كثر استعمال كلمة (الشرعية) على أقلام الكتاب بغير المعنى (الشرعي) ولعل من من الخير استعمال كلمة (القانونية) بدلا عنها / « المجلة »

نفس الوقت كانت الاتصالات باليهود قائمة، وكان التعاطف معهم علي أشده وتم عقد اتفاقيتين سريتين في مارس سنة ١٩١٦ بين روسيا وانجلترا وفرنسا ، وفي مايو سنة ١٩١٦ بين الدولتين الاخيرتين (والتى عرفت بمعاهدة سايكس بيكو) وتقرر وضع اقليم فلسطين تحت حكم دولى يتمتع اليهود في ظله « بالمساواة السياسية والدينية والمدنية »(١) .

ولم يعرف الشريف حسين الذى وثق في شرف بريطانيا « العظمى » بأمر هذه الاتفاقات ألا بعد ستة شهور وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا . . حيث أعلنت عن هذه الاتفاقات(٢) .

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ أصدر اللورد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا « العظمى » التصريح التالى(٣) :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى ، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، وعلى أن يفهم جليا انه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » . .

وبهذا أعطى « من لا يملك » الى « من لا يستحق » أول حماية يتم التصريح بها ، وأول خطوة عن طريق الشرعية الزائفة – ومع ذلك اعتبرها الصهيونيون تصديقا بريطانيا رسميا على انشاء دولة يهودية في فلسطين وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الأراضى ، ووافقت على التصريح فرنسا وايطاليا في فبراير سنة ١٩١٨ وأمريكا في أكتوبر سنة ١٩١٨ م .

وكانت تتمة المؤامرة البريطانية – الغربية اعلان الانتداب على فلسطين بعد ضمها مع شرق الأردن والعراق الى بريطانيا . . واكتشف الشريف حسين ومن وراءه من العرب أن فلسطين قد سلمت لليهود ، وأن العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة . (٢)

وكانت المحاولة الثالثة والأخيرة اعلان دولة اسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م في ظل حماية دولية انجليزية أمريكية فرنسية روسية . .

وسبقتها خطوة خطيرة على طريق الشرعية الدولية هو قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قبل الإعلان بشهور سته . .

هذا ما يراه البعض . .

ونحن معهم في أن هذا التسلسل كان السبيل لتنفيذ المخطط عمليا . .

---

١ ـ الشرق الاوسط فى مشكلات العالم ص ٧٧ـ٧٨ .

٢ ـ انطونيوس ـ تغطية العرب ص٢٠٨ مشار اليه فى كتاب (العربواليهود) للمستشار محمد عبد الرحمن حسين ١٠٥

ج – تاريخ أقــدم :

– لكننا مع البعض الآخر . . الذى يرجع الأمر الى ما قبل هرتزل بقرنين أو يزيد ، حين دعا الحاخام ليفا (١٥٢٠ – ١٦٠٩م) من براغ – دعا الى اتخاذ فلسطين وطنا لليهود .

وأعقبه مورس هس (١٨١٢ – ١٨٧٥) الذى بدأ علمانيا ، ثم صبأ إلى الماركسية مرتبطا مع ماركس ، لكنه اعرض عن لماركسية متجها الى مثالية يهودية مغرقة في حب اليهود ، وأصدر كتابه (روما والقدس) سنة ١٨٦٢ بسط فيه أفكاره ، وتحدث عن أن اليهود « مدعوون مصيريا لتحويل العالم » . .

وبدأت الصهيونية المنظمة، وظهرت حركة «أحباء صهيون» تحت زعامة ليوبنسكر (١٨٢١ – ١٨٩١) وفي أواخر الثمانينات والتسعينات جرت صياغة عقيدة الصهيونية على يد مدارس متعددة . .

فالصهيونية العملية – ومن أشهر زعمائها دافيد عوردون (١٨٥٦ – ١٩٢٢) . . وقد جدد حركة « أحباء صهيون » التى تقوم على العمل في أرض اسرائيل وانشاء المستوطنات والمستعمرات . .

والصهيونية السياسية – ويقوم على زعامتها ليوبتسكر ، في أوربا الشرقية ، واليهودى الهنغارى تيودور هرتزل (١٨٦٠ – ١٩٠٤) .

ويقال ان كليهما في البداية لم يكن مقتنعا باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود . . وأن هرتزل كان في البداية يفضل مواقع أخرى مثل الارجنتين وقبرص وشبه جزيرة سيناء لكنه مع المؤتمرات الصهيونية التى انعقدت تغلب الاتجاه الى فلسطين . .

وقد يؤكد القول بأن هرتزل في البداية لم يكن متجها الى فلسطين محادثاته مع الزعماء الانجليز التى تم بناء عليها ايفاد بعثة الى سيناء سنة ١٩٠٦ لبحث مدى صلاحيتها على الطبيعة . لكنه من ناحية أخرى . . فان سيناء ملاصقة لفلسطين ، وهى من ناحية التقديس عندهم لا تقل عن فلسطين ففيها كلم الله موسى ، وفيها كتبت الألواح ونزلت الوصايا العشر ، ثم هى امتداد طبيعى لدولة فلسطين الموسعة كما تكشفت أطماعهم بعد ذلك (من الفرات إلى النيل ، ملكك يا اسرائيل) . .

أما الصهيونية الثقافية – فقد تزعم جناحها أحدها عام (١٨٥٦ – ١٩٢٧) . .

وقد أعلن أن وجود الأمة اليهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الإنسان الأكثر كمالا . .

ونحن نرى أن مراحل استلاب الوطن الإسلامى في فلسطين جرت على النحو التالى :

١ – قبل القرن السادس عشر الميلادى . . كان الأمر مجرد أمل لم يصرح به . . **(١)**

٢ – منذ القرن السادس عشر الميلادى . . كانت مرحلة التفكير والدعوة . .

٣ – منذ القرن التاسع عشر الميلادى . . كانت مرحلة التخطيط . .

٤ – في القرن العشرين كانت مرحلة التنفيذ . .

---

١ – يرجع بعض المحققين تاريــخ المرحلة الاولى الى ما قبــل الفى عام وذلك بتكوين النــــواة الاولى بالجمعية الماسونية انظر ذيــل (تعقيب لا تثريب) فى هذا العدد – المجلة –

وغني عن الذكر ان لاحق لليهود — تاريخيا — في أرض فلسطين . . فانها منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية أرض اسلامية . . وهى قبل هذا التاريخ أرض عربية ، وطوال خمسة آلاف سنة فان عمر اليهود على هذه الأرض الطيبة لم يجاوز ١٤٠ مائة وأربعين سنة على فترتين ، الفترة الأولى بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٩٢٧ قبل الميلاد . . والفترة الثانية بين سنة ١٤٢ قبل الميلاد حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد كذلك . .

★ ● ★

— أما الأسباب التى أدت الى نجاح اليهود في اســتلاب الوطن الإسلامي فلسطين ، فنحن نرجعها إلى الأسباب الآتية : —

١ — تخطيط اليهود وصبرهم على انجاحه :

وقد بدأ التخطيط تفكيرا من مفكريهم كما أشرنا ، ثم انتهى الى اقرار خطة في مؤتمر بال ١٨٩٧ ترمى الى تنمية الهجرة وشراء الأرض من ناحية ، والبحث عن الحماية الدولية من دولة عظمى تظلها الشرعية الدولية الزائفة من ناحية أخرى . .

ويقال ان البروتوكولات وضعت في المؤتمر الصهيوني الأول . .

وكلا الخطتين تدل على معرفة بأغوار النفس الإنسانية ، وادراك للجو الدولى الموجود واستغلال لأحداثه . وصبر هم على تنفيذ ذلك التخطيط رغم الأحداث الجسيمة التى واجهتهم من بعده ، كالاضطهاد الذى حدث لهم من مشرق أوربا ، ثم الاضطهاد الذى حدث لهم في ألمانيا على يدى هتلر ، ثم العقبات التى قامت في طريق اقامتهم دولتهم من مقاومة الشعب الفلسطيني وانضمام الشعوب العربية الإسلامية الى هذه المقاومة ، ومن قبلها رفض الخلافة العثمانية لوجودهم ، وتآمرهم على هذه الخلافة بما صرح به هرتزل في مذكراته من أن السلطان عبد الحميد رفض الملايين العديدة لقاء فلسطين ، فقبل حزب الاتحاد والترقي مليونين لتنفيذ نفس الغرض (١) . .

كل ذلك وغيره يكشف عن حسن تخطيط . . وعن صبر في التنفيذ . .

وفي مقابلة ذلك — ونقررها بكل أسف — انتفى التخطيط لدى الأمة الإسلامية أو بالأصح « لدى « اليقظى » من الأمة الإسلامية ، وتوافر عندهم اخلاص بغير تخطيط ، شابه في كثير من الأحيان « قلة الصبر » على التنفيذ ، واستجابة لغير المخلصين لأنهاء أوضاع تقلق اليهود .

٢ — ابعاد الإسلام عن المعركة :

واضح ان الإسلام كان الخط الأول في المعركة . .

أولا : بما يحمله لأبنائه من عقيدة تؤثر الموت في سبيل الله في الحياة في ظل عبودية تفرضها أذل أمة

١ — راجع البلاغ الكويتية عدد ٤٣١، ٢٤ ذى الحجة ١٣٩٧ هـ

في الأرض ، وبما يحمله كذلك من دعوة الى الجهاد واعتباره فرض عين اذا أغزيت ديار الإسلام . . هذه العقيدة من غير سلاح كفيلة – باذن الله – بتحقيق النصر . .

فإذا أضفنا اليها أمر الإسلام « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . .

وأحسنا فهم الأمر الرباني لوجدنا ان الإسلام يأمر :

أ – بالتخطيط القوى . . وهو ما يحمله لفظ الاعداد وما يحمله لفظ القوة .

ب – الاعداد المعنوى .

ج – الاعداد العسكرى . . حشدا ، وتدريبا ، وتسليحا .

د – الأكثار من السلاح الثقيل وهو ما تعنيه (رباط الخيل) بعد « القوة » فهو تخصيص للأهمية والخطر .

ثانيا : ما يحمله دخول الإسلام المعركة من دخول ثقل بشرى لا قبل لليهود به . ونعنى به الأمة الإسلامية التى تناهز اليوم ألف مليون من البشر . .

ثالثا : مايحمله دخول الإسلام المعركة من ثقل سياسى واقتصادى لا قبل لليهود بمواجهته .. فمصالح أصدقاء اسرائيل أكثرها في أمم الإسلام . .

واحتياجات مناصري اليهود الإقتصادية أكثرها في قبضة المسلمين . .

أما عن مظاهر إقصاء الإسلام عن المعركة وكيفيته :

فقد بدا وبدأ . . بما رتبه اليهود داخل دولة الخلافة نفسها . . وقام على تنفيده يهود الدونمة ومنهم ومعهم حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة ، وهو ما عناه الكاتب الروسى سرجس نيلوس من اقتحام الأفعى للآستانة في طريقها إلى فلسطين (١) .

ثم تأكد ذلك بأقصاء السلطان عبد الحميد الذى رفض عرض اليهود .

ثم بالقضاء على الخلافة نفسها التى ما كان يمكن أن تسلم بقيام وطن يهودى وسط وطنها .

واستمرت محاولات اقصاء الإسلام عن المعركة بتكوين الجامعة العربية (بدلا من الجامعة الإسلامية) بفكر وزير الخارجية الانجليزى وقبل تمام الكارثة بثلاث سنوات . . وبحمل الجامعة العربية لواء الجهاد من أجل فلسطين ثم تخدير بقية العالم الإسلامى عن النهوض للمعركة . .

وزاد إقصاء الاسلام عن المعركة بدخول جيوش سبع دول عربية الى المعركة . . فما حاجة بقية المسلمين للجهاد وقد تولته جيوش سبعة فيها أبطال ومغاوير ! . .

وحين دخل عنصر إسلامى شعبي الى معركة فلسطين ، وحين صرح امامهم الشهيد باعلان التعبئة الدينية للجهاد في فلسطين وعزمه دخولها في عشرة آلاف مقاتل فدائي . .

---

١ – ترجمة برتوكولات صهيون ص ٢١٦–٢١٧ محمد خليفه التونسى

وحين ذاق اليهود بأس أولئك المسلمين بما شهدوا هم به وبما شهد به قادة الجيش المصرى امــام القضاء المصرى . .

حين كان ذلك تمت طعنة الفدائيين المسلمين من الخلف على يد الحكومة الحاكمة في ذلك الحين فأصدرت قرارا بحل جماعتهم ، وقرارا باعتقالهم ، وكانت تتمة الخيانة قتل امامهم في ميدان عام على يد بعض رجال الشرطة السريين . .

وفي كل مرة كان يتم لأسرائيل التوسع في عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ كان يتم ادخال العنصر الاسلامى الى السجون ، ولا يمكن أن يكون هذا الأمر مع تكرره في أعوام ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٦ من قبيل المصادفات السعيدة . .

وتكشف وثيقة تضمنها حكم قضائي صدر في مصر في ١٩٧٥/٣/٣٠ عما كانت تحمله السلطة الحاكمة وقت التوسع من عداء للاسلام والمسلمين وتخطيط للقضاء عليهم .

٣ — اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة :

منذ ذاق الانجليز ومن بعدهم اليهود بسالة الشعب الفلسطيني وتضحيته وتصميمه على الدفاع عن وطنه ، واذ عرفوا أنه صاحب المصلحة الأول في الدفاع عن التراب الإسلامى في القدس وفلسطين . . ومنذ ظهر منه أمثال الشهيد « عبد القادر الحسيني » قائد منطقة القدس والشهيد « حسن سلامه » قائد المنطقة الوسطى .

فقد قرروا اقصاءه عن المعركة . .

وكانت قمة التخطيط والتنفيذ ادخال سبعة جيوش عربية الى فلسطين لتخوض المعركة مع اليهود « بالنيابة » عن الشعب الفلسطيني . .

وسبقها وعاصرها حرمان الشعب الفلسطيني من التدريب ومن التسليح وتشكيك الجيوش العربية في أمانة الشعب الفلسطيني ، واتهامه بالعمل لحساب العدو اليهودى .

وكنت اعجب كيف لجيش عربي يقوده انجليزى صريح أن يخوض حرباً لصالح المسلمين وضد اليهود الذين ضمن لهم الانجليز بالوعد والتخطيط والتنفيذ قيام وطن في فلسطين ؟ . . وكنت أعجب لجيش آخر . . بل جيوش أخرى في بلاد يحتلها الانجليز . . كيف سمحوا لها بالمرور الى فلسطين . .

حتى أدركت أن المطلوب هو أقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة . . وفعلا نجحت الخطة . .

وأقصى الشعب الفلسطيني عن المعركة . . وسلمت أراضى فلسطين جزءاً جزءاً . . من الجيوش العربية الباسلة الى اسرائيل المزعومة . وبعد أن انتهت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطيني قد تم اقصاؤه حربيا عن المعركة . .

وتم بعد ذلك اقصاؤه سياسيا عنها . . فتحولت القضية أمام الأمم المتحدة الى نزاع بين دول ذات سيادة . . عربية واسرائيلية . . (١)

وحين بدت بادرة ظهور العنصر الفلسطيني سنة١٩٦٧ . . ثم حشد القادرين منهم فيما سمى بجيش التحرير الفلسطيني ليتم التهامهم في أول ضربة لليهود في يونية سنة١٩٦٧ وقامت جيوش أخرى بالواجب في القضاء على العنصر الفلسطيني الثائر . .

بعضها في مذبحة « أيلول الأسود » التى قتل فيها اثنان وعشرون ألفا على يد جيش عربي . .

والبعض الآخر في مذابح تل الزعتر وما قبلها وما بعدها . . وتدخل جيش عربي ليتم النصر ويتوجه ويحميه . .

ثانياً الحاضر الأليم في فلسطين

من الناحية السياسية :

أ ـ الدولة شعب واقليم وسيادة :

والشعب الفلسطيني اليوم . . موزع بين الأقطار ، ممزق بين المنظمات والأحزاب . . مما سنزيده تفصيلا عند الكلام عن الناحية الإجتماعية ان شاء الله . .

واقليم فلسطين اليوم . . غير موجود على الخريطة السياسية . وموجود بدلا منه دولة اسرائيل وهى لم تكتف بأراضى فلسطين . . بل ابتلعت في توسع سنة ١٩٦٧ الجولان من سوريا والضفة الغربية من الأردن وشبه جزيرة سيناء من مصر . . والأراضى التى ابتلعتها في التوسع الأخير اضعاف ما امتلكت من قبل بغير حق . .

ولا سيادة لشعب فلسطين على أرض فلسطين . . بل ولا سيادة له في مكان آخر . . والمنظمة التى نشأت في أواخر الستينات .. نشأت الى جوارها تيارات أخرى . . بل مزقتها من الداخل تيارات مختلفة . . وأشارت أصابع الأتهام اليها في مذبحة أيلول وما لحقها من مذابح . . انها مهدت ، وأحيانا شاركت . .

وهى على أى حال قد احتوتها التيارات التى احتوت كثيرا من الأنظمة ومن المنظمات في المنطقة . . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . .

ب ـ الشرعية للغصب الاسرائيلى تتم باعتراف أصحاب الحق نفسه :

حرصت اسرائيل منذ قيامها بل ومن قبل قيامها أن تستر غصبها بشرعية رفضها أصحاب الحق يوم أن قالوا « أن من لا يملك أعطى من لا يستحق » . .

١ ـ مقدمة كتاب (تهويد فلسطين) للدكتور ابراهيم ابو لغد ص ١٣ـ١٤

لكنها – بكل أسف – اليوم في دور اعتراف أصحاب الحق نفسه . . ومتى تم ذلك انتفى عن اسرائيل كل ما قيل من اغتصاب وسلب لأرض الإسلام . . ومن هنا كانت الخطورة . .

وقد سبق هذه الخطوة تمهيد على النحو التالى :

١ – تمهيد اعلامى : بأن اسرائيل أمر واقع ، وأن لا قبل للعرب بدفعها عن فلسطين . .

٢ – تمهيد حربي : باحراز بطولة – ولو جزئية – في جانب العرب ، ليبدو قبول «السلام» من موقع القوة ، فلا يرفضه الشعب العربي باعتباره استسلاما . .

٣ – تمهيد اقتصادى : باحداث خنق اقتصادى للشعب العربي في المنطقة خصوصا الجزء الذى يتصدر للمعركة . . حتى يلوح « السلام » انقاذا للشعب مما يعانيه . .

٤ – تمهيد سياسى : وذلك باحاطة اسرائيل بأنظمة – تعمل لحساب الصهيونية عن قصد أو غير قصد – بتحطيم معنويات الشعوب ، وتحطيم قيمهم واخلاقهم ، والتمهيد اعلاميا للاعتراف بالغصب بل وللتعاون مع الغاصب ، وحسبنا أن نعرف أن نظاما ما استطاع يهودى أن يتسلل اليه وتسمى بغير اسمه ، وصار يعدل في الوزارة ويبدل ، وقد عرضت عليه هو الوزارة فأبى بنصيحة من كبرائه في اسرائيل لأن مكانه أقوى من وزير . .

وفي نظام آخر وصل عملاء الصهيونية وأعضاء الماسونية الى حد تسيير دفة الحكم والجلوس على رأسه ، وكان من وزرائهم اليهودى أو من هو متزوج بيهودية ولا شك أن ذلك كله لم يحدث إلا بعدأن قامت دولة اسرائيل ، وارتئى ان الأنظمة (الرجعية) صارت عاجزة عن تحقيق الهدف . . بل هى حجر عثرة في سبيل تحقيق الهدف . . ومن ثم عرفت المنطقة « مودة » الانقلابات العسكرية . .

جـ – المستقبل السياسى لأسرائيل :

المغفَّلون أو المغفِلون يعتقدون أن اسرائيل بعد الأعتراف بها والصلح معها سوف تقنع بما هى عليه . . وتاريخ الصهيونية وطبيعتها وأهدافها وكتبها . . كل ذلك يأبى عليها ذلك . .

وحسبهم أن يقرأوا التلمود ، وأن يقرأوا البروتوكولات ، بل أن ينظروا الى ما كتب في الكنيست نفسه . . فلم يعد في الأمر عندهم حياء . .

وبلغة أصحاب الحق تحدث رئيس اسرائيل في يوم أليم عن أنهم أصحاب حق يستردون أرض الأجداد . وكأن الذين عاشوا عليها أربعة عشر قرنا ليسوا أصحاب حق حين عاشوا تحت راية الإسلام ، وكأنهم قبل الإسلام حين عاشوا فرونا عديدة ليسوا أصحاب حقوق وتحدث رئيس اسرائيل عن العبقرية اليهودية وعما يمكن أن تفعله في المنطقة . .

ولئن كان حديثه عن الناحية الاقتصادية . فاني أقدم عليها الناحية السياسية ، لاقول أنه ان ظل الوضع

المفتوح فبوسع العبقرية اليهودية أن تفعل ما تشاء في المنطقة ، ولها أن تحرك الدمى بما ترى ، ولها أن تغير الدمى ان ضاقت بها الشعوب أو أحاطتها الشكوك . . ولها أن تمضى في التوسع بعد ذلك غير عابئة بالضمانات فما ضمانات اليوم بأعظم ولا أبقى من وعود الأمس وقراراته . .

كل ذلك . . لأن اسرائيل أسقطت من حساباتها حاليا الاسلام وأهله بعدما نزل على رءوسهم من ضربات تدوخ وتكسر وتقتل . .

لكن عقيدتنا في الله لم تتزعزع ، وايماننا بانتصار الاسلام لم يهن ولن يهون . . « وان جندنا لهم الغالبون »

ثانيا – من الناحية الإجتماعية

أ – شعب تمـــزق :

مزقته الخلافات قديما وحديثا .
ومزقه التشريد وحياة الخيام .
ومزقه الجوع والعرى والمرض .

ب – شعب تحلل :

تحلل فكريا بعدما مزقته تيارات عديدة . . علمانية ، شيوعية ، وجودية ، يهودية . . وتحلل خلقيا بعدما مزقه التشريد والحاجة ، وسرى فيه الاختلاط والانحلال . . وتحلل أسريا بعدما تمزقت الأسرة الواحدة بين بلاد وأقطار . . ولم يعد فيها من ينصت الا لنداء البطن . . وما حوى . .

ج – شعب يهوّد :

« ان أمام العرب في اسرائيل ثلاث خيارات :

أ – اعتناق الدين اليهودى . .

ب – الطرد خارج البلاد . .

جـ – الأبـــادة التامة . . (ابن جوريون)

– سنصل الى وقت نعرف فيه كيف نمنع من لا يضع القلنسوة اليهودية فوق رأسه أن يعيش بيننا »
(جولدا مائير)

« ان فرعون أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببنى اسرائيل مسلك الأرهاب والتنكيل فانتصروا عليه وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه ، ولكنه لو أنشأ مدارس وجامعات يغير فيها أفكارهم ، ويقتلهم قتلا معنويا ، ويجعلهم ينحرفون عن هدفهم الاصيل ، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف

يتفانون في تحصيله ، لو فعل ذلك لأراح واستراح ، ولسجل التاريخ مفخرة خدمة العلم بدلا من لعنات البطش والأرهاب » (الفيلسوف الهندى اكبر اله أبادى) .

ولتحقيق هذه الغاية تمضى برامج الاعلام ، ومناهج التعليم لتحقيق هذه الغاية . .

ولتحقيق هذه الغاية تمضى السياسة الاقتصادية نحو تنمية الحاجة لدى العرب القانطين داخل اسرائيل . .

ولهذه الغاية تمضى سياسة « التهجير » و « الاستيطان » ونزع ملكية العرب المقيمين في فلسطين . .

ثالثاً مستقبل فلسطين

الحديث عن المستقبل حديث شائك ، اذ لا يعلم الغيب الا الله . . لكن الله سبحانه . . أجاز لنا « الاعداد » ذاك قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . . والاعداد يقتضى « التوقع » بالنسبة للمستقبل والعمل على أساس من ذلك التوقع .

والله سبحانه وتعالى جعل لنا كذلك « سنناً كونية » تعيننا على ذلك التوقع ، منها : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ومنها « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ومنها « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . . فمن خلال هذا وذاك . . نستطيع بعون الله . . دون رجم بالغيب . . أن نرسم صورة المستقبل من خلال الأحداث ، ثم نحاول رسمها من خلال الإيمان . .

١ ــ المستقبل من خلال الأحداث :

من خلال الأحداث يستطيع المجتهد أن يستنبط ما يلى :

أ ــ لا مستقبل لفلسطين :

ذاك منطق الأحداث وتوقعاتها . . ان الصهيونية وضعت أقدامها ، وأنّى لها أن تتزحزح . .

وأنها في كل جولة تكسب الجديد ، فتنقلب مطالبة العرب بالجديد وتنسى القديم . وهو ما نراه من مطالبة العرب بالجلاء عن الأراضى التى احتلت سنة ١٩٦٧ . . وكأن الاحتلال الذى تم قبل سنة ١٩٦٧ قد صار شرعيا وحقا مقررا لليهود . .

وفي الجولة القادمة ــ ان بقيت الأوضاع على ما هى عليه ــ تكون أراضى ١٩٦٧ أمراً شرعيا وحقا مقررا لليهود ، وتكون المطالبة بالأراضى التى احتلت بعد ذلك . .

والمجتمع الدولى ــ بتأثير الصهيونية والصليبية العالمية ــ يضفى الشرعية ويحرسها في كل توسع صهيوني .

فالمجتمع الدولى – بالتأثير السابق – هو الذى قسم أرض فلسطين سنة ١٩٤٧ بين اليهود والعرب . . وكانت من قبل خالصة للعرب وحدهم ، ولم يكن لليهود فيها أدنى نصيب . . والمجتمع الدولى هو الذى عاد بعد ذلك يصدر القرار ٢٤٢ والقرار المعدل ليعترف بفلسطين كلها لليهود وليطالبهم فقط بالجلاء عن الأراضى العربية الأخرى التى احتلتها اسرائيل علاوة على فلسطين سنة ١٩٦٧ . .

وغدا تحتل اسرائيل أراض أخرى فيكون قرار المجتمع الدولى الاعتراف بالأراضى القديمة والمطالبة بالجلاء عن الجديد . .

ومثل أخير . . ان القدس المسلمة قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين فيها . . تعلن أنها عاصمتها وأنها لا تتنازل عنها ، وتعلن أمريكا تأييدها لها في ذلك . .

وهـــكذا . . .

ب – المستقبل للصهيونية :

المستقبل للصهيونية ان بقيت الأوضاع على ما هى عليه ، فالسنن الكونية تعمل في جانب من يعمل ، ولا تعمل في جانب من يتقاعد أو يتكاسل أو يتجابن . .

وواضح أن الصهيونية تعمل . . مخططة . . ثم منفذة . .

وأن العرب والمسلمين . . يتصايحون . . ويكتفون بالصياح . . ويتسابون فيما بينهم ويتقاتلون كذلك فيما بينهم أشداء على المؤمنين رحماء باليهود ، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين . .

والصهيونية . . كما يبين من مخططاتها . . لا تكتفى بفلسطين . .

انما تحلم بالدولة الكبرى من الفرات إلى النيل . .

وتحلم من بعدها بسيادة العالم كله . .

وخطواتها التنفيذية تؤكد أنها تنفذ ما تحلم به وما تخطط له . .

ونجاحها فيما مضى قد يكون دليلا على نجاحها فيما بقى . .

واذن فأرض الكنانة في مصر مهددة . .

ومسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المدينة مهدد كذلك . .

. . هذا كله . . بشرطين :

أن تبقى أوضاعنا على ما هى عليه . .

أن تبقى السنن الكونية تحدث تأثيرها . .

لكن حتى يكون . . تقويمنا . . صحيحا لا بد من النظرة الأخرى . . فلها نعيش . .

٢ – المستقبل من خلال الإيمان :

النظرة الإيمانية تختلف كثيرا عن النظرة من خلال الأحداث وحدها وهى في اختلافها تقوم على أسس مغايرة :

١ – أن الله سبحانه خالق السنن الكونية قادر على أن يعطلها أو يغيرها ، فمن السنن الكونية أن النار تحرق . . لكن ارادة الله حين شاءت . . جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم . .

ومن السنن الكونية أن الماء يغرق . . لكن ارادة الله حين شاءت . . فرقت البحر فرقين ، « فكان كل فرق كالطود العظيم » . .

٢ – إلى جوار السنة الكونية إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فان مفهوم المخالفة . . أنهم ان غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم مؤكدا قوله : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . .

ومن هنا المنطلق . .

ومن هنا يبدأ العلاج . . ان كنا نريد عودة فلسطين . .

ونضع بعون الله الشروط :

أ – لابد من التغيير . .

من القمة الى القاعدة . . من الرأس الى القدم . .

لابد من تغيير كلى . . لما بأنفسنا . . حتى يغير الله ما بنا . .

ب – لابد أن يكون التغيير على أساس الاسلام . .

لأن التغيير من غير اسلام . . لا يكون معه نصر الله . . ولا يكون هو التغيير الذى عناه الله . .

وقد رأينا أنهم حين أرادوا سلب فلسطين أبعدوا الاسلام عن المعركة وتمثل ذلك في انشاء الجامعة العربية (بديلا وامتصاصا للجامعة الإسلامية) قبل اعلان دولة اليهود بثلاث سنين . .

ثم تمثل في دخول الجامعة العربية وجيوشها لتكون حائلا دون تحرك جيوش اسلامية أخرى . . ففيها الغناء والكفاء .

ثم تمثل في التآمر على العناصر الإسلامية التى بدأت خوض المعركة للحيلولة دون نزولها بثقلها الى المعركة . .

وقبل ذلك كله تآمرهم على دولة الخلافة الإسلامية تنفيذا لما قالوه من أن الأفعى اليهودية لابد أن تمر بالآستانة في طريقها الى اسرائيل . .

وعلى ذلك فاذا كانت فلسطين قد استلبت لمّا أبعد الإسلام عن المعركة – فانها لن تعود الا اذا عاد الإسلام الى المعركة . .

والإسلام فوق ما قدمنا يقدم :

ثقلا عقيديا يغير الكيفية التى تدار بها المعركة ويغير نتيجتها . .

ثقلا بشريا . . ولهذا أثره في استراتيجية الحروب . .

ثقلا سياسيا . . بوقوف الدول الإسلامية كلها – بدلا من الدول العربية المحدودة – خلف المعركة . .

ثقلا اقتصاديا . . بوقوف موارد الد ل الإسلامية – وهى اليوم أغنى دول العالم – خلف المعركة . .

ومن قبل ذلك . . ومن بعد ذلك . . ما اشرنا اليه من نصر الله الذى لا يتنزل الا على نوعية معينة . .

« بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » . .

« وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » . .

آيات في حفظ اللسان

١ – قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

٢ – « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . .

٣ – « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » . .

كيف سلمت الدولة الإسلامية

من تآمر يهود بني قريظة وخيبر عليها

لفضيلة الدكتور جاد محمد احمد رمضان – رئيس قسم التاريخ بالجامعة الاسلامية .

عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وادع اليهود الذين كانوا من بين سكانها وعاهدهم وأمنهم على دمائهم وأموالهم ومواليهم ومنحهم حرية الاعتقاد فمن تبع المسلمين منهم فله ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات .

واشترط عليهم أن يكونوا مع المسلمين على من هاجم المدينة أو حارب أهلها على أن يتحملوا نفقتهم ما داموا محاربين كما يتحمل المسلمون الانفاق على أنفسهم كذلك .

ولكن اليهود – كما هو شأنهم – نقضوا عهدهم وخانوا حلفاءهم وكان أول من خـــان وغدر بنو قينقاع فأجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة وتلاهم في الخيانة والغدر بنو النضير فكان جزاؤهم مثل جزاء من سبقهم .

ولما رأى بنو النضير أنفسهم عاجزين عن منازلة المسلمين في معركة مكشوفة لجأوا إلى التآمر وراحوا يستعينون بغيرهم من أعداء الإسلام لعلهم ينجحون في الانتقام من النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المسلمين .

وذهب حيى بن أخطب وسلاّم بن ابي الحقيق ونفر من زعماء بنى النضير ووجوهم الى مكة لتحريض قريش على مهاجمة المدينة وقالوا لهم : سنكون معكم عليه حتى نستأصله وكأنما قريش تشككوا في نية اليهود فترددوا في ممالأتهم على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي مثلهم أو كأنما تشككوا في أمر دينهم فأرادوا أن يطمئنوا إلى حقيقة أمره . ويوازنوا بينه وبين الإسلام الذي يدعو إلى الوحدانية ومكارم الأخلاق كما أرادوا أن يتبينوا موقفهم منه صلى الله عليه وسلم وهل هم على حق في حربهم له أم على باطل فقالوا : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه ؟ فدفعهم حب الإنتقام والرغبة في إغراء قريش بحربه إلى تمويه الحقائق وتشويهها فقالوا : بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه .

وهكذا شهد اليهود هذه الشهادة الفاجرة حيث شهدوا بأن الشرك خير من الترحيد وأنكروا ماجاءت به التوراة من وحدانية الله والنهي عن الإثم والفواحش فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله جلّ شأنه « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » .

فلما قال اليهود ذلك لقريش سرهم وخفوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعدوا لذلك .

ثم ذهب هؤلاء النفر إلى غطفان ودعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أن قريشاً قد بايعوهم على ذلك وتعهد وا لزعماء غطفان بأن يعطوهم ثمار خيبر من النخيل سنة إذا تم لهم النصر على المسلمين فاستجابت غطفان بجميع بطونها لهم ثم أخذوا يحرضون كل من له ثأر عند المسلمين على حربهم حتى بلغ جيش الحلفاء عشرة آلاف مقاتل وتولى القيادة العامة أبوسفيان بن حرب وسار الجيش إلى المدينة في شوال سنة خمس من الهجرة .

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعزم قريش ومن معهم على مهاجمة المدينة أخذ برأي سلمان الفارسي وأمر بحفر خندق في شمال المدينة وكانت هي الجهة المكشوفة التي يستطيع العدو أن يدخل منها .

وحفر الخندق وراء جبل سَلْع وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحفر بنفسه وتم الحفر بغاية السرعة . وكانت جهات المدينة الأخرى حصينة منيعة حيث كانت ظهور بيوتها من ناحية الجنوب متلاصقة عالية كالسور المنيع وكانت حرة الوبرة ناحية الغرب وحرة داقم ناحية الشرق كالحصن الطبيعي وكانت آكام بني قريظة في الجنوب الشرقي من المدينة ولا يمكن دخول العدو منها إلا برضى بني قريظة وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أن لا يمالئوا عليه أحداً ولايناصروا عليه عدواً .

ووصل الحلفاء إلى المدينة وضربوا عليها الحصاروقف الفريقان أمام الخندق وجها لوجه: المسلمون على قلة عددهم وضعف عدتهم والمشركون على كثرتهم وتمام عدتهم وطال الحصارولم ينل الأحزاب منا لا من المسلمين وخاف حيي بن أخطب أن تسأم قريش وغطفان طول المقام فيرجعون إلى ديارهم وبذلك تفلت الفرصة من يده ورأى أن الأحزاب لن يتمكنوا من دخول المدينة إلا من ناحية بني قريظة وكان هؤلاء لا يزالون على عهدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يغريهم حيي بنقض العهد حتى يسهلوا للأحزاب مهمة اقتحام المدينة فذهب إلى زعيمهم كعب بن أسد فأغلق كعب دونه باب حصنه فأخذ حيي يحتال عليه حتى فتح له فدخل عليه وقال : « ياكعب إنما جئتك بعز الدهر : جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاهدوا على أن يستأصلوا محمداً ومن معه » فقال كعب « جئتني — والله — بذل الدهر

وبجهام لا غيث فيه ويحك ياحيى دعني فلست بفاعل ماتدعوني إليه فإني لم أر من محمد إلا وفاءاً وصدقاً ، فلم يزل حيى بكعب حتى اتفق معه على خيانة المسلمين والإنضمام إلى الأحزاب .

وبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى بني قريظة سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج في نفر من أصحابه وقال لهم « انطلقوا إلى بني قريظة فإن كان ماقيل لنا حقاً فالحنوا لنا لحناً (١) ولا تفتوا في أعضاء الناس وإن كان كذباً فاجهروا به للناس .

فانطلق الوفد إلى محلتهم فوجدهم قد تغيروا عما كانوا عليه ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا « لا عهد له عندنا » فجعل سعد بن معاذ يدعوهم إلى الوفاء ويحذرهم عاقبة الخيانة والغدر وكان مما قاله لهم : « أخشى عليكم مثل يوم بني النضير وأمرّ منه » فردوا عليه رداً قبيحاً وشاتموه وشاتمهم فقال له سعد بن عبادة : « دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم أكثر من ذلك » .

ثم رجع الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في جمع من المسلمين فأخبروا ــ بطريق الكناية أن مابلغه من غدر بني قريظة صحيح . . وعلى الرغم من تكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم للخبر فإنه وصل إلى المسلمين فاشتد البلاء وعظم الخوف وزاد الكرب وكانت حالهم كما وصفها القرآن « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً » .

فلما رأى رسول الله مابالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول لهم « والذي نفسي بيده ليُفرِّجن الله عنكم ماترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وقد رجع حيى بن أخطب إلى المشركين وأخبرهم بنجاحه في حمل بني قريظة على الغدر بالمسلمين فقويت روحهم المعنوية . وكان بنو قريظة قد اتفقوا مع حيى بن أخطب أن يعطيهم مهلة عشرة أيام يستعدون فيها على أن تشتد كتائب الأحزاب في مناوشة المسلمين خلال هذه الفترة حتى يشغلوهم عن بني قريظة . وقد اشتد المشركون في مناوشتهم للمسلمين حتى أجهدوهم .

وتهيأ بنو قريظة للإغارة على المدينة ليلا فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث سلمة بن أسلم في مئتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة من جهة بني قريظة وكان الخوف على من بالمدينة من النساء والأطفال من بني قريظة أشد من الخوف عليها من قريش وغطفان .

وظل الأمر على ذلك بضع عشرة ليلة فتفاوض النبي صلى الله عليه وسلم مع زعماء غطفان في أن ينصرفوا عن المدينة على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ولم يبت في الأمر حتى يأخذ رأي الأنصار فلما

(١) فالحنوا لنا لحنا : إذكروه بطريق الكناية .

استشارهم في ذلك قالوا : يارسول الله « أمر تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لابدّ من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا ؟ » قال « بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم(١) من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » فقال له سعد بن معاذ : « يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلاّ قرى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأنت وذاك » فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا مافيها من الكتابة ثم قال : ليجهدوا علينا .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لرسوله وأصحابه من هذه الشدة فرجاً ومخرجاً فساق إليهم نعيم بن مسعود الأشجعي من غطفان فقال : « يارسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة » .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة — وكان لهم نديماً في الجاهلية — فقال : « يابني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة مابيني وبينكم » قالوا : « صدقت لست عندنا بمتهم » فقال لهم : « إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم : البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تحوّلوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فأن رأوا نهزة (٢) أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمداً حتى تناجزوه » فقالوا له : « لقد أشرت بالرأي » .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : « لقد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني » فقالوا : « نفعل » قال : « أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه إنا ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين : من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل إليهم أن نعم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً » .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : « يامعشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم .

(٢) النهزة : إختلاس الشيء وانتهازه .

تتهموني » قالوا « صدقت ما أنت عندنا بمتهم » قال : « فاكتموا عني » قالوا : « نفعل فما أمرك ؟ » ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم .

وكان من حسن الحظ أن أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بني قريظة ليلة سبت عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم : « إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدو للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه » فأرسل بنو قريظة إليهم : « إن غداً يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به » .

فلما رجعت الرسل إلى قريش وغطفان بما قال بنو قريظة قالوا : « والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق » وأرسلوا إلى بني قريظة « إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا » فقال بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا « إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم إلا أن تقاتلوا فإذا رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم » فأرسلوا إلى قريش وغطغان « إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً » فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح في ليالي شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتقتلع خيامهم فلم يروا بداً من الرحيل عن المدينة ورحلوا عنها .

وهكذا فعلت حيلة نعيم بن مسعود مالم تفعله الجحافل الكبيرة فشككت كلاً من بني قريظة والأحزاب في نوايا بعضهم البعض وحالت بينهم وبين الاتفاق على خطة موحدة يقتحمون بها المدينة ويقضون بها قضاءاً مبرماً على الدولة الإسلامية الناشئة . إنها رحمة من الله سبحانه وتعالى أن ساق للمسلمين — في أحرج الظروف — نعيم بن مسعود وإلهام منه جلّ شأنه لنعيم حيث وفقه إلى حيلة فرقت كلمة اليهود والمشركين وأوهنت عزيمتهم ونجّت المسلمين من شرهم « وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرن فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً »(١)

لم يكن هناك أي سبب يدفع بني قريظة إلى خيانة المسلمين والغدر بهم إلا الحقد الكامن في نفوس اليهود فقد حافظ المسلمون على عهدهم لبني قريظة ولم يقدّموا إليهم أي إساءة ولم تبدر منهم أي بادرة تدل على عدم الوفاء لهم يشهد لذلك رد كعب بن أسد سيدهم على حيى بن أخطب حينما أغراه بنقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول له : « ويحك يا حيى دعني فلست بفاعل ماتدعوني إليه فإني لم أر من محمد إلا وفاءاً وصدقاً » .

فلو كان المسلمون قد حادوا قيد أنملة عن الوفاء لبني قريظة لكان لهم بعض العذر في أن يغدروا بهم وينحازوا إلى عدوهم أما وقد وفوا لهم أكمل الوفاء وحافظوا على عهدهم أتم المحافظة فما كان ينبغي لهم أن يغدروا بهم في أحرج الأوقات وأشد الأزمات غدراً كان فيه فناؤهم والقضاء على دعوتهم وإبادة دولتهم مع أن نصوص العهد كانت تلزمهم بالدفاع عن المدينة مع المسلمين جنباً إلى جنب لحمايتها من المغيرين وعدوان المعتدين لا أن يتعاونوا مع الأعداء على اقتحامها ويساعدوهم على الفتك بأهلها .

إن موقف بني قريظة من المسلمين كان موقف نقض فاجر للعهد وغدر دنيء بمن وفوا لهم وخيانة آثمة لمن إئتمنوهم حتى لقد استنكره بعض عقلائهم في حوار لهم مع حيى بن أخطب حيث قالوا : « إذا لم تنصروا محمداً فدعوه وعدوه » لكن الأغلبية الغالبة منهم استجابت لوسوسته وطعنت المسلمين من خلفهم طعنة كادت أن تؤدي بكيانهم تمحو دعوتهم .

فما الذي كان ينبغي آن يقابل به الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الغدر وهذه الخيانة من جانب بني قريظة إنه لم يكن من المعقول أن يترك هؤلاء يعيثون في المدينة فساداً أكثر مما عاثوا ومن يدري النبي عليه الصلاة والسلام أنهم لن يحاولوا إثارة الأعداء على المسلمين مرة أخرى ويدعوهم إلى مهاجمة المدينة في غير فصل الشتاء الذي كان له بعض الأثر في تقصير أمد حصارها وإحباط الخطة التي دبروها لاقتحامها

كان لابد أن يحاسب النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة على ما اقترفوه من جرم وما ارتكبوه من إثم فلم تمض ساعات على جلاء الأحزاب عن المدينة حتى أمر أصحابه بالتوجه إلى حصونهم في الجنوب الشرقي للمدينة ودفع اللواء إلى علي بن أبي طالب وأمره أن يتقدم بين يديه إلى بني قريظة في نفر من المهاجرين والأنصار فأساء اليهود استقبالهم وأخذوا يشتمون رسول الله وأزواجه فلم يرد عليهم المسلمون بأكثر من قولهم « السيف بيننا وبينكم » .

ثم ركب صلى الله عليه وسلم – في نفر من أصحابه – إلى بنى قريظة فأدركوا من كان هناك من المسلمين ، فلما رأى اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم تحصنوا بحصونهم فحاصرهم الرسول والمسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم وما حملت الأبل من أموالهم كما خرجت بنو النضير فأبى عليهم ذلك فأرسلوا إليه أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم بلا مال ولا سلاح فأبى صلى الله عليه وسلم إلاّ أن ينزلوا على حكمه .

وأشار عليهم زعيمهم كعب بن أسد أن يدخلوا في الإسلام وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقبلوا مشورته فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتوهم فقالوا « لا نحلّ السبت » ولم يتفقوا على رأى .

ولما اشتد الحصار عليهم أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أبعث أبا لبابة لنستشيره في

أمرنا » فأرسله إليهم . وأبو لبابة هو رفاعة بن عبد المنذر الأوسى الأنصارى وكان بنو قريظة حلفاء الأوس فلما رأوه قام إليه الرجال وأجهش له النساء والأطفال بالبكاء فرّق لهم وقالوا له : « يا أبا لبابة آترى آن ننزل على حكم محمد ؟ » قال « نعم » وأشار بيده إلى حلقة يشير بذلك إلى أنهم إن نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم سيذبحون . قال أبو لبابة « فو الله ما زالت قدمـــاى عن مكانها حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله وذهب إلى المسجد وربط نفسه إلى عمود من عمده وقال : « لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت » وعاهد الله الا يدخل محلة بنى قريظة آبدا ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه أبداً .

فلما بلغ رسول الله خبره – وكان قد استبطأه – قال : « أما أنه لو جاءني لاستغفرت له فاذا قد فعل ما فعل فما انا بالذى يطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » . ومكث أبو لبابة ست ليال لا يذوق طعاماً ولا شرابا . وكانت أمرأته تأتيه في كل وقت صلاة فتحله حتى يصلى ثم تربطه إلى عمود المسجد كما كان حتى خرّ مغشيا عليه وقد أنزل الله سبحانه وتعالى توبته على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله جلّ شأنه : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » فأقبل الناس على أبي لبابة يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه فأبى حتى يكون رسول الله هو الذى يحله بنفسه فلما ذهب الرسول إلى المسجد حله فقال يا رسول الله : « إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى » . فقال صلى الله عليه وسلم : يجزيك الثلث أن تتصدق به » .

أما بنو قريظة فقد نزلوا على حكم رسول الله فشفع فيهم الأوس . عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالو : « أنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت » يشيرون إلى معاملة رسول الله لبنى قينقاع وبنى النضير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا ترضون يا معشر الأوس ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ » . قالوا : بلى قال رسول الله : فذاك الى سعد بن معاذ .

وكان سعد قد أصيب في ذراعه بسهم وقت حصار المدينة فقع أحد عروقه فنقل إلى خيمة امرأة تدعى (رفيدة) كانت لها خيمة في المسجد تداوى بها جرحى الصحابة إحتسابا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يعوده فلما حكمه في بنى قريظة أتاه رجال من الأوس وحملوه على حمار فقدموا به إلى رسول الله واخذوا يقولون له في أثناء سيرهم : « يا أبا عمرو أَحْسِنْ في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتُحسِن فيهم » فلما أكثروا عليه قال : « لقد آن لسعد ألاّ تأخذه في الله لومة لائم » .

ولما انتهى سعد الى مجلس رسول الله قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «قوموا إلى سيدكم» فقاموا إليه وقالوا له : « يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم » فقال سعد : « عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن أحكم فيهم بما حكمت » قالوا : « نعم » ثم التفت إلى الناحية

التي فيها رسول الله وهو خافض الطرف إجلالا للرسول وقال : « وعلى من هنا » قال رسول الله « نعم » ثم قال سعد لبني قريظة : « أترضون بحكمي » قالوا : : « نعم » فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به ثم قال : « إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات » .

ثم خرج رسول الله الى سوق المدينة وأمر أن تحفر فيها خنادق ثم أمر بأحضار رجال بني قريظة فجيء أرسالا فضربت أعناقهم ودفنوا في الخنادق . ولما جاء دور حيي بن أخطب وكان قد دخل مع بني قريظة حصونهم – نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ألم يمكن الله منك يا عدو الله ؟ » . . قال : « بلى أبي الله الا أن يمكنك مني والله مالمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل » ثم أقبل الناس فقال : « أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل » ثم جلس فضربت عنقه .

وقد اختلف المؤرخون في تقدير عدد من قتل من بني قريظة فمنهم من قدرهم بأربعمائة ومنهم من قدرهم ما بين الستمائة والسبعمائة ومنهم من قدرهم ما بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقد أسلم من بني قريظة ثلاثة رجال فأمنهم رسول الله على أنفسهم وأهليهم وأموالهم .

وأمر رسول الله بالذرارى والنساء فنقلوا إلى المدينة وأمر بالسلاح والأموال فحملت إليها أما الأبل والغنم فتركت حيث هى ترعى في المراعى . ثم قسم الأموال والنساء والذرارى على المسلمين ولم يفرق في القسم ولا في البيع بين النساء والذرية وقال : « لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا » وأرسل بعض السبايا إلى نجد والشام فبيع واشترى بثمنه سلاح وخيل للمسلمين .

لقد جرّ بنو قريظة أنفسهم إلى هذا الحكم الذى حلّ بهم فأودى بحياة رجالهم وسلبت نساءهم وأولادهم نعمة الحرية ولو أنهم ثبتوا على عهدهم لما أصابهم ما أصابهم ولظلوا آمنين في ديارهم لكنها الأحقاد تدفع الناس الى الهلاك وتسوقهم إلى الفناء .

إن الجزاء الذى حلّ ببني قريظة من جنس عملهم فلو قدّر للأحزاب أن ينجحوا في اقتحام المدينة لصار المسلمون إلى هذا المصير الذى صار بنو قريظة إليه . وهل كان في وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم كما عامل بني قينقاع وبني النضير من قبل فيكتفى بإبعادهم عن المدينة كما أبعد أولئك ؟ لا لم يكن في إمكانه ذلك لأن التجربة أثبتت أن الإبعاد لا يكفى فقد يُجَيِّشون الجيوش ويستعدون القبائل على الرسول وأصحابه كما حدث في المرة السابقة .

ثم إن طبيعة الجريمة التي اقترفها بنو قريظة تختلف عن جريمة كل من بني قينقاع وبني النضير . نعم إن الجرائم كلها جرائم خيانة وغدر لا مبرر لها غير أن جريمة بني قريظة كانت أشد خطرا من الجريمتين السابقتين لأن المسلمين كانوا في كل منها في حال تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم أما موقفهم وقت جريمة

بني قريظة فقد كان محفوفا بالخطر من جراء الحصار المحكم الذى ضربه الأحزاب حول المدينة فلم يكن في إمكانهم أن يدافعوا عن أنفسهم ولولا عطف الله بهم لأبيدوا عن آخرهم .

لذلك لم يكن في الأمكان الأبقاء على هؤلاء حتى يرسموا خطة أحكم ويدبروا مكيدة أنكى يقضون بها على دولة الإسلام ويفتنون الناس عن دينهم ويعيدونها جاهلية كما كانت قبل ظهور النبي عليه الصـــلاة والسلام .

لقد كان في وسع هؤلاء الذين عرضوا انفسهم للقتل وأسلموا نساءهم وأولادهم للسبي وعرضوا أموالهم للضياع كان في وسعهم ألا يتعرضوا لما تعرضوا له لو أنهم أسلموا كما أسلم الثلاثة من قومهم فأمنهم الرسول عليه الصلاة والسلام على أنفسهم وأموالهم وأولادهم لكنه الغي المودى بأهله في النار والعناد المفضى بأصحابه إلى الدمار .

ليتهم ثابوا إلى رشدهم كما ثاب هؤلاء الثلاثة وأقلعوا عن غيهم كما أقلعوا وتخلّوا عن عنادهم كما تخلوا إذن لعصموا دماءهم وأموالهم من رسول الله وكان أجرهم على الله ولما عرّضوا نساءهم وأولادهم للرق وساقوهم إلى الذل وأسلموهم للهوان أبد الدهر .

إن قوانين الحرب وقوانين السلم على السواء تقر ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة لأنه عقاب عادل وإجراء وقائي سليم لحماية المسلمين من شرهم ووقايتهم من كيدهم حتى يتمكنوا من نشر دعوة الحق وإقرار الأمن والسلام على ربوع الأرض وازالة الفحشاء والمنكر من جميع أصقاعها .

إن المسئول الأول عما أصاب هؤلاء التعساء من كوارث وما حلّ بهم من نكبات هو حيي بن أخطب فهو الذى زين لهم الخيانة وأغراهم بالنكث وحملهم على الغدر . ولا يعفيه من المسئولية أنه قتل معهم فهو سبب هلاكهم ومعول خرابهم كما أنه تسبب في إساءتهم الظن بمن بعده من اليهود . هذا ما صرح به سلاّم بن مشكم آحد بني النضير عندما بلغه خبر بني قريظة حيث قال : « هذا كله عمل حيي بن اخطب لا قامت يهودية بالحجاز أبداً ، وما تنبأ به كعب بن أسد حينما دق عليه حيي بن أخطب بابه يغريه بنقض العهد فأجاب : « ويحك يا حيي إنك امرؤ مشئوم : جئتني والله بذل الدهر وبجهام لا غيث فيه » .

ومهما يكن فقد قضت هذه الغزوة القضاء الأخير على قبائل اليهود في المدينة وحرمت المنافقين من حليف كان يؤازرهم في الأساءة إلى المسلمين فكُسرت شوكتهم وخفت حدتهم وقلّ خطرهم وقوى جانب المسلمين بما خلفه لهم بنو قريظة من آدوات القتال واستغنوا بما امتلكوه بعدهم من آموال فتمكنوا من توسيع أفق الدعوة الإسلامية ونشطوا لنشر النور والهداية بين البرية .

غــزوة خيبر

تقع خيبر في شمال المدينة على بعد مائة ميل منها وهى واحة كبيرة خصبة بها نخل كثير ومزارع واسعة وحصون عالية مقامة بين النخيل والحقول على مرتفعات من الأرض تزيدها حصانة ومناعة لذلك ظن اليهود أن الرسول صلى الله عليه وسلم لن يستطيع غزوها .

وقد اتخذها اليهود وكرا لهم بعد غزوة بنى قريظة يدبرون منه المكائد ويحيكون المؤامرات ويوجهون الدسائس إلى قبائل العرب يحرضونهم على حرب المسلمين يدفعهم إلى ذلك الحقد المتأصل في نفوسهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته والغل الكامن في قلوبهم للإسلام والمسلمين وغريزة الأخذ بالثأر لمن قتل من بنى قريظة .

ولم يعتبر أهلها بما حلّ بمن سبقهم من ذل وما نزل بساحتهم من كرب وغم ولم يزدجروا بما أصابهم من قتل وفناء لأن عداوة الرسول ودعوته كانت نزعة سيطرت على مشاعرهم وفكرة تمكنت من عقولهم فلم يقبلوا أن يعيشوا في وئام وسلام مع المسلمين وتواصى سادتهم وزعماؤهم على الكيد للإسلام والتنكيل بالمسلمين وكان دستورهم في ذلك ما قاله زعيمهم حيي بن أخطب حين سئل عن موقفه من رسول الله حين وصوله إلى المدينة « عداوته والله مما بقيت » .

وقد بذل حيي كل ما يستطيع من الكيد للإسلام ولبنى الإسلام ولكنه لم ينل ما أراد وحاق به أشد العقاب مع من استجاب له من بنى قريظة فقاد بعد حملة الكيد أبو رافع سلام بن أبي الحقيق وبــذل ماله واستخدم نفوذه ليكون حلفا ضد المسلمين فلم تتحقق أمنيته ولما لقى مصرعه حمل الراية بعده أسير بن رزام فاتبع خطواته وتفاوض مع غطفان ليتحالف معهم ضد المسلمين .

وهكذا كانت حياة اليهود مع المسلمين سلسلة من الأحقاد والضغائن لا تنقطع ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يجارى اليهود في عداوتهم وكان يحاول مخلصا أن يصلح ما بينه وبينهم فلما علم أن أسير بن رزام يعدّ لحرب المسلمين أرسل إليه يدعوه إلى السلم والموادعة لعله يثوب إلى رشده ويرجع الى صوابه فيجنب قومه ويلات الحرب وما تجره من الخراب والدمار . وكان الوفد الذى بعثه إليه مكوناً من ثلاثين رجلا من الأنصار بزعامة عبد الله بن رواحة فلما قدموا خيبر دخلوا عليه وقالوا له : « هل نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؟ » . قال : « نعم ولى منكم مثل ذلك » قالوا : « نعم » .

ثم عرضوا عليه أن يترك ما عزم عليه من حرب وأن يقدم إلى رسول الله ليحالفه ويوليه خيبر ويعيش اهلها في سلام مع المسلمين فاستجاب لذلك أول الأمر وخرج مع المسلمين في ثلاثين رجلا من اليهود متجها إلى المدينة ولما قطع مرحلة من الطريق ندم على خروجه وهم بالغدر بمن معه من المسلمين وأهوى إلى سيف عبد الله بن رواحة يريد أن ينتزعه منه ليقتله ففطن لذلك عبد الله وقال له : « أغدرا يا عدو الله ؟ »

ثم نزل فضربه بالسيف ضربة أطاحت فخذه بساقه فسقط عن بعيره ولم يلبث أن هلك ومال المسلمون على من كان معه من اليهود فقتلوهم .

وخلفه في زعامة خيبر سلام بن مشكم فكان رأيه كرأى سلفه في معاداة المسلمين والتأهب لحربهم . وهكذا ظلت فكرة الغدر مبيتة عند اليهود فلما عقدت هدنة الحديبية بين رسول الله وبين قريش أمن كل منهما جانب الآخر يئس اليهود من محالفة العرب ضـــد المسلمين وأحسوا بالخطر يتهددهم فبادروا إلى تأليف حلف منهم يجمع خيبر ووادى القرى وتيماء وعزموا على مهاجمة المدينة .

بلغ رسول الله ما اعتزمه اليهود فقرر أن يفاجئهم قبل أن يباغتوه ويقول بعض الرواة إن عبد الله بن أبي أرسل إليهم بما يعتزمه النبي صلى الله عليه وسلم من حربهم فأعدوا عدتهم لصده وأدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون « الكتيبة » وحشدوا المقاتلين في حصون « النطاة » .

وكانت بلاد خيبر مقسمة إلى ثلاث مناطق حربية في كل منطقة عدة حصون منيعة الأولى منطقة النطاة وأهم حصونها حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ وحصن الزبير والثانية منطقة الشق وأهم حصونها حصن أُبَيّ وحصن البرىء والثالثة منطقة الكتيبة وأهم حصونها حصن الوطيح وحصن السلالم وحصن القموص .

وكان يهود خيبر أقوى الطوائف الأسرائيلية وأكثرها سلاحاً وأوفرها مالا لكنهم — ككل اليهود — يغلب عليهم الجبن ولا يجرؤن على القتال في الميادين المكشوفة ولا يحاربون إلاّ أمام حصونهم حتى إذا انهزموا تسللوا إلى الداخل وأغلقوها عليهم . وقد عرف الرسول فيهم هذه الطبيعة فأعدّ للأمر عدته .

واتجه عليه الصلاة والسلام إلى خيبر في المحرم من السنة السابعة على رأس ألف وستمائة من المسلمين بينهم مئتان من الفرسان وجدّ في السير حتى قطع المسافة بينها وبين المدينة في ثلاثة أيام ووصل إليها في فجر اليوم الرابع ونزل بوادى يسمى « الرجيع » على طريق غطفان ليحول بينهم وبين إمداد أهل خيبر لأنهم كانوا محالفين لهم .

وعسكر النبي عليه الصلاة والسلام قريبا من حصون النطاة فقال له الحباب بن المنذر : « إن أهل النطاة ليس قوم أبعد منهم مدى ولا أعدل منهم رمية وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط رميهم ولا نأمن بياتهم يدخلون في ممر النخيل فتحول يا رسول الله » ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشرت بالرأى » ، وتحول إلى مكان بعيد عن مدى النبل فعسكر به .

ولم يكن أهل خيبر يتوقعون وصول المسلمين بهذه السرعة فباتوا ليلتهم آمنين مطمئنين حتى إذا كان الصبح خرج العمال إلى الحقول كعادتهم ومعهم مساحيهم ومكاتلهم فلم يرعهم إلاّ المسلمون وقد نزلوا بساحتهم فارتدوا على أعقابهم يصيحون « محمد والخميس محمد والخميس » ينذرون قومهم بالخطر الداهم والهلاك المحقق ورأى رسول الله أن يزيد القوم فزعا ويملأ قلوبهم رعبا فرفع صوته مكبرا « الله أكبر

خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » وردد أصحابه التكبير فدوى صوتهم في الفضاء وتردد صداه فملأ الجو رهبة ورعبا .

واستيقظ أهل خيبر على هذا الصوت فزعين فأسقط في أيديهم ورأوا ألاّ مفر من القتال أو التسليم وعزّ عليهم أن يسلموا بسهولة فآثروا الدفاع ولما كانوا كغيرهم من اليهود ـ جبناء بطبيعتهم اعتصموا بحصونهم « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب » .

ولما كان حب المال غالبا على اليهود وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم من هذه الناحية فهددهم بإتلاف أموالهم وأمر أصحابه بقطع النخيل وهاجم حصن ناعم الذى احتشد فيه المقاتلون تحت قيادة زعيمهم سلام بن مشكم .

وشدد المسلمون الهجوم على الحصن واستمات اليهود في الدفاع عنه كلما اقترب المسلمون منه ارتدوا إلى داخله ورموهم بالنبل من فوق أسواره واستمر الحال على ذلك سبعة أيام في كل يوم يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء لواحد من أصحابه فيظل طول يومه يقاتل ثم يرجع دون أن يتمكن من اقتحامه حتى فتحه الله سبحانه وتعالى على يد على بن ابي طالب رضى الله عنه .

وفي أثناء حصار هذا الحصن استشهد محمود بن مسلمة ألقيت عليه رضى من فوق جدار الحصن وهو يستظل بظله في يوم شديد الحرّ وفي أثنائه أيضا توفي سلام بن مشكم زعيم اليهود وقائدهم وخلفه في الزعامة والقيادة الحارث بن أبي زينب .

احتشد اليهود بعد سقوط حصن ناعم بحصن الصعب بن معاذ الذى يليه فاعتصموا به وقاتلوا المسلمين قتالا عنيفا وحملوا عليهم حملة شديدة فتقهقر المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله وهو واقف قد نزل عن فرسه وثبت الحباب بن المنذر رضى الله عنه فحضهم رسول الله على الجهاد فعادوا إلى الحصن وزحف بهم الحباب بن المنذر فتقهقر اليهود حتى دخلوا الحصن وأغلقوه عليهم وشدد المسلمون الحملة حتى فتحوا الحصن بعد أن قتلوا عددا من اليهود وأسروا عددا .

وقد وجد المسلمون في ذلك الحصن شيئا كثيرا من التمر والشعير والسمن والزيت والعسل والمتاع وكانوا قد أصابتهم مجاعة شديدة حتى أكلوا لحوم الخيل وخشى رسول الله على المسلمين أن تشغلهم الغنيمة عن القتال فأمر مناديا ينادى في الناس « أن كلوا واعلفوا ولا تحملوا » .

وقد وجد المسلمون في سرداب تحت الأرض بذلك الحصن مجانيق ودبابات ودروعا وسيوفا وشيئا كثيرا من أدوات الحرب دلهم عليها أسير يهودى فأفادتهم في افتتاح بقية حصون خيبر .

ثم تقهقر اليهود إلى حصن الزبير وهو حصن منيع مبنى على قمة عالية فحاصره المسلمون ثلاثة أيام واليهود معتصمون به يدافعون من فوق أسواره فاستعصى على المسلمين فتحه حتى علم رسول الله أن من بالحصن يستقون من جدول وراءه فأمر بسد الجدول عنهم فلما قطع عنهم الماء خرجوا من الحصن

وقاتلوا المسلمين قتالاً شديدا حتّى قتل نفر منهم وقُتل من اليهود عشرة ثم فتحه الله على المسلمين . وبسقوط هذا الحصن تم للمسلمين فتح منطقة النطاة .

وفرّ اليهود إلى منطقة الشق فاعتصموا بأول حصونها وهو حصن أُبَيّ على جبل يسمى « شمران » فشدد المسلمون عليه الحصار واشتبكوا مع اليهود اشتباكا عنيفا ثم حملوا على الحصن حملة صادقة بقيادة أبي دجانة الأنصارى حتى فتحوه .

وهرب من به من اليهود فاقتحموا الجدر إلى حصن البرىء وتحصنوا به وزحف رسول الله اليهم بأصحابه وكان المعتصمون في ذلك الحصن أمهر أهل الشق في رماية النبل والحجارة وقد واصلوا الرمى حتى أصاب النبل ثياب رسول الله وعلق بها فأمر صلى الله عليه وسلم أن ينصب عليه المنجنيق فوقع الرعب في قلوب أهله فتركوه وهربوا وبذلك سقطت منطقة الشق كما سقطت من قبل منطقة النطاة .

تقهقر اليهود بعد ذلك إلى منطقة الكتبة وتحصنوا فيها بحصن بنى الحقيق ويسمى حصن القموص وهو من الحصون المنيعة وكان به نساء بنى الحقيق فحاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد سبي من هذا الحصن عدد من النساء والذرارى من بينهم السيدة صفية بنت حيى بن أخطب وقد اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين السبايا فأعتقها وتزوجها فشرفها الله بهذا الزواج وكانت من أمهات المؤمنين .

ثم انتهى المسلمون إلى حصنى الوطيح والسلالم وهما آخر حصون خيبر فحاصرهما رسول الله بضع عشرة ليلة فلما أحس من بهما من اليهود بعجزهم عن المقاومة وأيقنوا بالهلاك إن اقتحمها المسلمون عليهم لما أحسوا بذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستسلموا على أن تحقن دماؤهم ونزل كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يحقن دماء من في حصونهم من المقاتلة ويترك لهم الذرية يخرجون بها من خيبر تاركين أرضهم ومالهم وخيلهم وسلاحهم لرسول الله فقال لهم صلى الله عليه وسلم « وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتوني شيئا » .

وبتسليم حصنى الوطيح والسلالم انتهت مقاومة أهل خيبر وسقطت خيبر كلها في أيدى المسلمين وغنموا ما كان فيها من الأموال والأسلحة وآلات الحرب .

عزّ على أهل خيبر ان يهاجروا من وطنهم فرجوا رسول الله أن يسمح لهم بالبقاء في بلدهم وأن يقوموا بزراعة الأرض على أن يكون لهم نصف ثمارها وللمسلمين نصفها وقالوا له : « نحن أعلم بها منكم وأعمر لها » فصالحهم رسول الله على المناصفة .

ولما بلغ أهل (فدك) خبر الصلح بين الرسول وبين أهل خيبر عدلوا عما كانوا يعتزمونه من حرب المسلمين وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصالحوه على ما صالح عليه أهل خيبر فأجابهم إلى ذلك

وعقد الصلح بينهم وبين رسول الله من غير حرب فكانت (فدك) خالصة لرسول الله لأنها أخذت صلحا من غير حرب أما خيبر فأنها كانت غنيمة للمسلمين لأنها فتحوها عنوة .

ثم توجه النبي في أصحابه إلى وادى القرى فحاصرها حتى استسلم أهلها وأذعنوا للصلح فصالحهم صلى الله عليه وسلم على مثل ما صالح عليه أهل خيبر . وبادر أهل (تيماء) فأعلنوا قبولهم لدفع الجزية من غير حرب ولا حصار .

وبهذا تم إخضاع جميع اليهود في جزيرة العرب وانتهى سلطانهم ولم تعد لهم أى قوة ولا نفوذ وأصبح المسلمون آمنين من جهة الشمال إلى حدود الشام كما غدوا — بعد صلح الحديبية — آمنين من ناحية الجنوب إلى حدود اليمن .

على أن خضوع اليهود لم يتم مرة واحدة بعد هزيمتهم أمام المسلمين بل كانت نفوسهم تنطوى على حقد شديد للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإنما اضطرهم إلى الخضوع عجزهم عن المقاومة . فهذه زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم أهدت شاة مسممة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد توقيع الصلح بينه وبين أهل خيبر واطمئنانه إليهم فلما جلس هو وأصحابه ليأكلوها أخذ قطعة من ذراعها ولاكها فلم يسغها فلفظها وقال : « إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم » وكان بشر بن البراء قد تناول منها قطعة فساغها وازدردها فدعا رسول الله بزينب فجاءت واعترفت وقالت : « لقد بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر » ومات بشر من أكلته هذه .

وقد اختلف الرواة في شأن زينب فقال أكثرهم : ان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنها والتمس لها العذر على فعلتها لتأثرها بما أصاب زوجها وذكر بعضهم أنها قتلت في بشر الذى مات مسموماً . ويغلب على الظن صحة الرواية الأولى لأنها تتفق وما عرف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قبول العذر خصوصا من الضعفاء والرأفة بهم ومن حبه للعفو إيثاراً للسكينة والسلام وتحرجا من سفك الدماء واختيار أكثر الرواة لها .

وبمضى الزمن استسلم اليهود شيئا فشيئا واعتادوا الخضوع والانقياد لحكم المسلمين الذين تركوهم على يهوديتهم وأباحوا لهم أداء شعائرهم ولم يحاولوا أن يردوهم عن دينهم أو أن يتدخلوا في شئونهم الخاصة ولم يتعرضوا لحريتهم الشخصية وحكموهم حكما عادلا نزيها .

وقد خمّس الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فقسم أربعة أخماسها بين المجاهدين وأعطى جميع من حضر الحديبية سواء حضر خيبر أم لم يحضرها وأعطى من خمسه ما أراه الله فأعطى أهله وأعطى رجالا ونساءً من بنى عبد المطلب وأعطى اليتيم والفقير والمسكين وابن السبيل . وقد أعطى من شهد خيبر من النساء والعبيد شيئا من الغنيمة ولم يُسهم لهم .

هذا عرض موجز لموقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته والمسلمين يتبين منه أن اليهود كانوا دائما هم البادئين بالشر فقد كانوا يصدون عن سبيل الله ويتربصون بالمسلمين الدوائر ويحرضون المشركين عليهم ويحالفونهم ضدهم ولم يحافظوا على عهدهم مع الرسول ولم يرعوا ما بينهم وبين المسلمين من حقوق الجوار فلم يكن رسول الله إذن متعديا عليهم بل كان يدفع عن نفسه وأتباع دعوته أذى قوم أكل الحسد قلوبهم وأعمى الحقد أبصارهم فدأبوا على الكيد للأسلام والمسلمين .

ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام طامعا في أموالهم كما يزعم كثير من المستشرقين أمثال مرجليوث وغيره الذين يزعمون أن المسلمين إنما غزوا خيبر طمعا في الحصول على ما فيها من الغنائم وأن الحجة التى تذرعوا بها هى أن أهلها ليسوا على الإسلام .

إن الذى دفع مرجليوث ومن هو على شاكلته من المستشرقين إلى هذه المغالطة المفضوحة إنما هو التعصب الأعمى والحقد المجنون على الإسلام وبنى الإسلام وإنّا لنعجب لهذا الأسلوب الذى اتبعه مرجليوث ومن لف لفه من المستشرقين في فهم الأحداث التاريخية فإذا روى المؤرخون أن على بن أبي طالب قبض على أحد يهود (فدك) فاعترف له بأنه مبعوث من قبل أهلها إلى خيبر يعرض على أهلها معونة فدك على مهاجمة المدينة على أن يجعلوا لهم جزءاً من ثمار خيبر إذ قيل لهم ذلك شكوا فيه واتهموا المؤرخين بتزييف الحقائق لأن ذلك سيبطل دعواهم ويدحض حجتهم في اتهام النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابة بالأغارة على اليهود لسلب أموالهم .

وإذا ذكر المؤرخون الأسباب الحقيقية لكل غزوة غزاها المسلمون والدوافع الواقعية لكل عقاب أنزله الرسول عليه الصلاة والسلام بأعداء دعوته ورووا وقائع ثابتة تدل على وفائه بعهوده وحرصه على المسالمة وكراهيته لسفك الدماء ومحافظته على حقوق الحوار إذا سمعوا ذلك كله وضعوا أصابعهم في آذانهم وأصروا على اتهامهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قد غير سياسته : سياسة المسالمة لليهود التى أعلنها في أيامه الأولى عقب هجرته إلى المدينة .

ويكفى للرد على ما زعمه مرجليوث وغيره من متعصبى المستشرقين من أن المسلمين لم يهاجموا خيبر إلا طمعا في الاستيلاء على أموالها يكفى للرد على هذا الزعم ما أجمع عليه المؤرخون من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان راغبا عن حطام الدنيا مكتفيا منها بما يقيم الأود ويحفظ النفس وأن أصحابه كانوا يسيرون على نهجه ويتبعون خطاه ولعل في فرار المهاجرين بدينهم من مكة وتخليهم عن أموالهم وإيواء الأنصار لهم وإعالتهم إياهم وتحملهم جميعا آلام الفقر والجوع وصبرهم على الحرمان لعل في ذلك كله ما يثبت عزوفهم عن الدنيا وإعراضهم عن زخرفها ويدحض تلك التهمة التى رمى مرجليوث غيره من المسلمين بها .

ومن الحجج الدامغة لافتراء هؤلاء المتعصبين ما رواه المؤرخون من أن النبي عليه الصلاة والسلام كان

قد استنفر من حوله من الأعراب ممن شهد الحديبية للغزو فجاءه جماعة من الذين تخلفوا عن الحديبية ليخرجوا معه إلى خيبر طمعا في الغنيمة فقال لهم : « لا تخرجوا معى إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا » .

ثم إن رضى النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء اليهود في خيبر بعد أن ألقوا سلاحهم وأمن المسلمون جانبهم وترك أرضها تحت أيديهم يفلحونها وينمون نخيلها وأشجارها على أن لهم نصف المحصول يثبت بما لا يحتمل الشك أن الدافع للغزو لم يكن الرغبة في الحصول على الأموال كما يزعم مرجليوث ومن نحا نحوه لأن الرغبة في الحصول على الأموال كانت تقتضى الاستئثار بها كلها من دون اليهود .

إن فيما ترك لليهود من نصف محصول أرض خيبر ما يكفيهم ويسد حاجتهم أما أن يترك المحصول كله لهم يلوّحون به لقبائل العرب تارة وليهود تيماء وفدك ووادى القرى تارة أخرى ليستعدوهم به على المسلمين ويغروهم به لغزو المدينة وتهديد أمنها فلا . .

ثم إن المسلمين قد ملكوا هذه الأرض بحق الفتح فليس كثيرا عليهم نصف محصولها الذى كان يبذل لأغراء الأعداء بحربهم ولو كانت الرغبة في الحصول على المال هى التى دفعت المسلمين إلى غزو خيبر كما يزعم المتعصبون . . لاستولوا على الأرض واستأثروا بكل خيراتها من دون اليهود .

وفي الحوادث التالية ما يشهد بعدالة النبي صلى الله عليه وسلم وعفته عن أموال اليهود فقد شكا أهل خيبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين يقعون في حرثهم وبقلهم (١) بعد الصلح فأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بجمعهم ثم قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن يهود شكوا لى أنكم وقعتم في حظائرهم وقد أمناهم على دمائهم وعلى أموالهم التى في أيديهم من أراضيهم وعاملناهم(٢) وإنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها » . فكان المسلمون لا يأخذون من بقلها شيئا إلا بثمنه .

وروى ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا(٣) بين المسلمين ويهود فيحرص عليهم فإذا قالوا : تعديت علينا قال : إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا فتقول يهود : بهذا ما قامت السموات والأرض .

وروى البخارى بسنده . . إلى أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة — أن رسول الله استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب(٤) ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل تمر خيبر هكذا ؟ » . . قال : « لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين أو الصاعين بالثلاثة » . . فقال : « لا تفعل بع الجميع بالدراهم ثم ابتع(٥) بالدراهم جنيبا » .

---

(١) يقعون في حرثهم وبقلهم : ينزلون حقولهم دون إذنهم .

(٢) عاملناهم : عاهدناهم على أن تكون الأرض تحت أيديهم يعملون فيها ولنا نصف ثمارها وغلاتها .

(٣) الخارص : الذى يخرص ما على النخل والكرم وهو من الخرص أى الظن لأنه تقدير للتمر والعنب بظنه .

(٤) الجنيب : أجود التمر . (٥) إبتع : اشتر .

أفبعد كل هذا يموه المتعصبون من المستشرقين على الناس ويتهمون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بأن الذى دفعهم إلى غزو خيبر إنما هو لرغبة من الحصول على المال « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » .

ومهما يكن من الأمر فقد كان من نتائج فتح خيبر القضاء على قوة يهود الحجاز الدينية والسياسية والأقتصادية وأخذت شمسهم تميل إلى الغرب شيئا فشيئا فقد ظلّ اليهود يعملون في الأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى أقرهم أبو بكر رضى الله عنه على ما أقرهم عليه رسول الله وكذا فعل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه مدة من خلافته ثم نقل إليه الثقاة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذى توفي فيه « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » . .

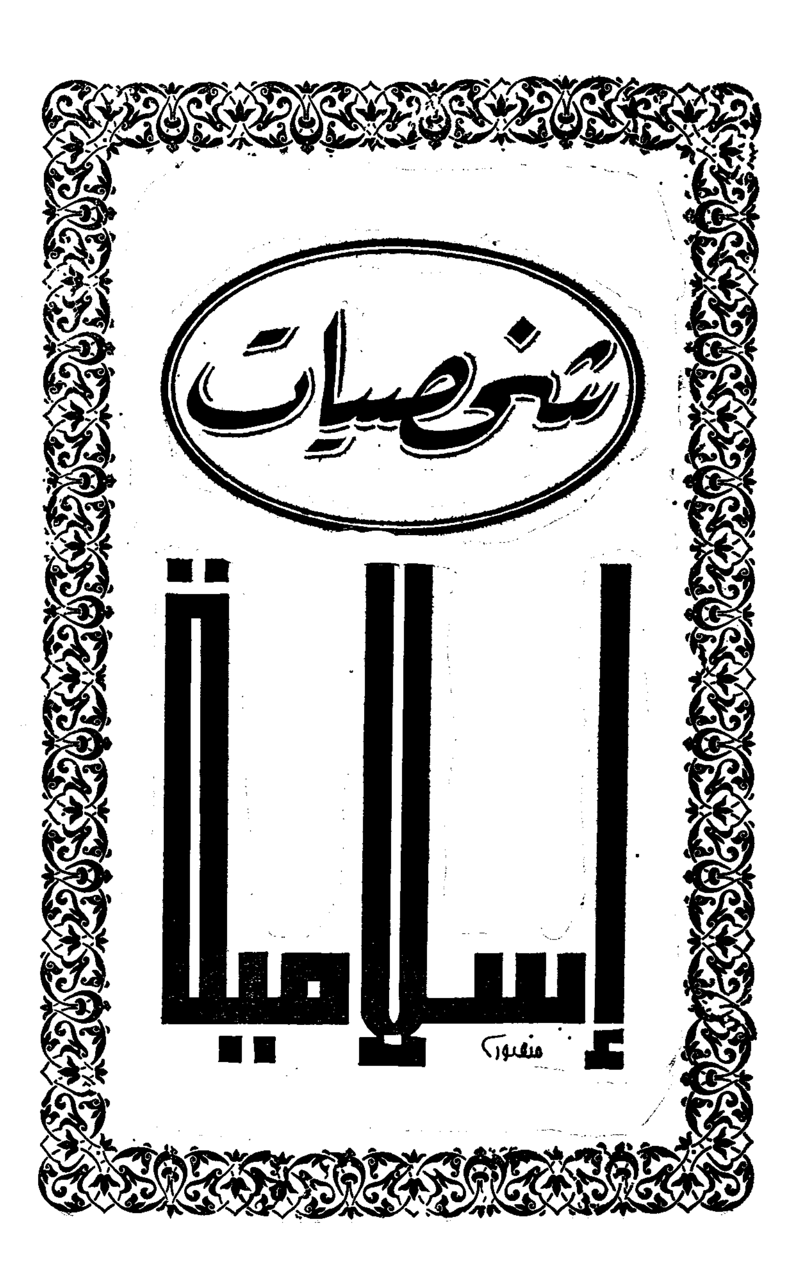
فبعث عمر إلى اليهود يقول : « إن الله عز وجل قد أذن في إجلائكم فقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتين أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء .

وقد أجلى عمر رضى الله عنه من ليس عنده عهد من الرسول عليه الصلاة والسلام من يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى لأنهما من أرض الشام . وكان أمير المؤمنين يرى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز وما وراء ذلك الشام .

وقد ظل اليهود يكونون أغلب السكان في وادى القرى إلى القرن الحادى عشر الميلادى وشوهدت طوائف منهم في نواحى تيماء في القرن الثاني عشر ثم أخذ اليهود في كلتا البلدين يقلون تدريجيا ثم اندمجت البقية الباقية منهم في محيط العرب ولم يبق لهم كيان خاص بهم هناك .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الخير ويوفقهم الى تطهير الوطن الإسلامى من رجس الصهيونية وحمايته من كيدها . . إنه سميع مجيب . . والحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين . .

* • *


شخصيات
إسلامية



شخصية الفقيه الداعية عبد الله بن ياسين

واضع الأسس الأولى لدولة المرابطين في المغرب والأندلس

لفضيلة الشيخ إبراهيم الجمل / المدرس في المعهد الثانوى

من هو عبد الله ؟ . .

ولد عبد الله بن ياسين في أوائل القرن الخامس الهجرى في المغرب من أب بربرى ملثم صنهاجى(١) يدعى مكوك بن مسير بن علي . . وينسب إلى قبيلة جزولة وهى إحدى القبائل الكثيرة العدد ومن هذه القبائل جدالة ومسوفة ولمتونة التى قامت بدور كبير في عهد المرابطين في المغرب والأندلس . وكانت جزولة هذه تحتل المنطقة الممتدة من جبال درن حتى وادى نول القريبة من المحيط الأطلسى .

وقيل : ولد عبد الله في احواز مدينة « اوغشت » في قرية تقع في طرف الصحراء في ديار قبيلة جدالة .

حياته التعليمية

قضى طفولته في مسقط رأسه ، وبعد ذلك تردد على مدن العلم في المغرب ، ثم رحل إلى الأندلس ، وتلقى العلم بها ، وكان في ذلك الوقت يحكم الأندلس ، حكام الطوائف وكانت البلاد الأندلسية ممزقة مشتتة يطمع فيها الصليبيون الغربيون من أسبانيا وفرنسا .

سكتت المراجع عن أن تذكر شيئا عن تعليم عبد الله ، وعن الفقهاء والعلماء الذين تلقى العلم عليهم وأثروا فيه، وأيضا لم يذكروا الشيوخ الذين لازمهم وتأثر بهم . ولقد عرفناه مفسرا للقرآن وراوياً للحديث وعن طريق التحدث والرواية تتلمذ عليه كثير من اصحابه ، ثم إنه درس الفقه واصوله وفروعه لدرجة أنه كان يفتى ويتصرف في النصوص بما يتفق وأصول هذا الدين القويم . ولا يعقل أن يكون هذا العلم الغزير قد تعلمه في يوم وليلة أو بدون معلم ، بل لا نكون مبالغين إذ قلنا إنه فاق علماء عصره .

ويظهر هذا التفوق في أنه نقل ما يمكن نقله ، وكل ما عرفه إلى الدور العملى مخالفا بهذا ما كان عليه الفقهاء والعلماء في عصره ومن قبل عصره حتى استحق أن يلقب بالداعية بل كان الداعية الأول في المغرب .

صادف ــ كما قلنا ــ زمن خروج عبد الله إلى بلاد الأندلس ، أن كانت واقعة في محنة حكام الطوائف الذين قسموا البلاد فيما بينهم . وكان ذلك بعد بداية القرن الخامس الهجرى الذى يتفق وعمر عبد الله .

ولقد رأى ما آل إليه الحكم في هذه البلاد ، وطغيان هؤلاء الذين اغتصبوا الحكم ، وما فعله بعضهم بب ض وكيف التحق بالحكام الشعراء والفقهاء والعلماء من هزيلي العقيدة فأباحوا لهم المنكر ، وحللوا لهم الحرام .

وكان في المغرب والأندلس فئة قليلة ابتعدت عن طريق الحكام الطائفيين ، وتمسكوا بأهداب الدين القويم ، ولم تغرهم المناصب ، ولم تسول لهم نفوسهم أن يقتربوا من هؤلاء الحكام تحت تأثير تأويل من التأويلات المريضة التى يظنون أنهم بها يحسنون صنعا ، وهم في الحقيقة قد ضل سعيهم . لم تكن تلك الصفوة التى اختارها الله لتحافظ على الحق إلا سوطا يلهب أحيانا ظهور الحكام الخارجين على تعاليم الإسلام . كانت مخلصة محافظة على نشر مبادئها لا تعرف المراءاة والمداهنة وكثيرا ما كانوا يتحسرون على ما آل إليه أمرهم من الفرقة والانقسام وارتماء حكامهم في أحضان غير المسلمين .

رضى هؤلاء الكرام بشظف العيش وخشونة الحياة يقيمون في المساجد يفسرون القرآن ويرون الحديث ويعلمون الفقه ويدعون الناس الى التمسك بنهج السلف الصالح . وكثيرا ما كاوا يعرّضون بالحكام ويصورون للناس أعمالهم بصورة لا يجدون لهم منها مخرجا إلا الاستسلام لأعداء الملة . لذلك فقد حاربهم أداة الحكم الفاسد ولكهم لم يرهبوهم فكانوا يخاطبون الناس ويجهرون بالقول ويحرضون المسلمين على الخروج على الطغاة ، لذلك فهم على استعداد أما للقتل أو الهرب من ولاية لولاية أو للاستسلام أو التمثيل بهم .

هذا ما كان عليه حال الأندلس أبان طلب عبد الله بن ياسين للعلم، وربما صرفه عن الإشتراك مع شيوخه في الدور السياسى في الأندلس شعوره بأن هناك مكانا آخر أولى به وهو المغرب ، فخير مكان ينشر فيه مبادئه وعلمه إنما هو بين قومه وأهله .

ومرت الأيام ، سبع سنوات ، نهل فيها عبد الله ما شاء له ، وعرف الكثير مما عليه حال المسلمين ، ووعى كل ذلك بفهم الدارس لكل ما وقع تحت سمعه وبصره .

حياته العملية

قرر عبد الله الرجوع إلى وطنه ، وأراد أن يكمل المسيرة ، ويرى بنفسه ما آلت اليه البلاد ، ويطلع على أحوال أخطر جماعة على الإسلام ، وفشل كل محاولات الولاة بالمغرب في القضاء عليها ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، واستشرى أمرها ، واصبح في استطاعتها الهجوم على من حولها ، وتغيير وجه الشريعة الإسلامية بإدخالهم عليها من الكذب والبهتان ما يمكن أن يشوه حقيقتها هؤلاء هم « البرغواطيون » وسوف نتعرض لهم بشيء من التفصيل بعد .

لقد مر على تلك الأقوام ، ورأى ما آل إليهم من الأمر ، وتمنى لو أوتي من القوة ليقضى على هؤلاء القوم ويطهر أرض المغرب من عبثهم ومكرهم وخطتهم التى يسيئون إلى الإسلام بالتغيير والتبديل ، وكان معهم على موعد فقد حقق الله وعده فسيرجع إليهم بجيش كبير من المرابطين .

لم تطل إقامته عند أهله وقبيلته بجزولة ، ويعتقد أنه لم يجلس معهم طويلا فربما لم يجد في شبابهم من يستطيع أن يكون عوناً له على آداء رسالته ، ففضل أن يكمل تعليمه بتهذيب النفس وتأديبها بالانقطاع للعبادة في رباط من الربط القديمة ليزداد خـبرة وعلما ولبتعرف أكثر على أحوال القوم ، وإن في اختلاطه بمن هو أكبر منه سنا وعلما يكون مدعاة للاستفادة التي قد تنفع في المستقبل الذى خطط له .

لقد اختار رباط نفيس فإن شهرته عمت الصحراء وإن شيخه التقى الورع وجاج بن زللو قد فاق علمه واخلاقه ومكانته الآفاق وإن وجوده فيه ضرب من تخطيط القدر الذى قد يمر به البعض مر العابر إلا أن الذين لهم أثر في تغيير مجرى الحوادث يكون اهتمام القدر بهم أكثر ، ولا شك أن القدر له مع عبد الله موعد في رباط نفيس .

اختيار عبد الله للدعوة

احدث عبد الله تغييرا كبيرا في الرباط فهو الخطيب صاحب الصوت الذى يجوب الآفاق وهو المفسر والمحدث والفقيه ، وهو الذى يجذب الجميع بحديثه وحواره وآرائه ومناقشاته . لذلك حينما ذهب الزعيم يحيى بن ابراهيم أمير قبيلة جدالة إلى القيروان يطلب من العارف بالله الفقيه والسياسى البارع ابي عمران الفاسى من يعاونه على تعليم قومه أصول الإسلام الصحيحة في قوله : « أننا في الصحراء منقطعون لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهال حرفتهم البيع والشراء ، وفينا أقوام يحرصون على تعليم القرآن وطلب العلم ويرغبون في الفقه والدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلا » .

أرسله أبو عمران إلى تلميذه المقرب إليه الفقيه وجاج بن زللو شيخ رباط نفيس ومعه رسالة يقول فيها رحمه الله :

« ابعث إلى بلده من تثق بدينه ورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم في الدين ولك وله في ذلك الثواب والأجر العظيم والله لا يضيع أجر من احسن عملا » . .

دخل يحيى على فقيه السوس وسلمه رسالة أستاذه إبي عمران ، وما أن انتهى من قراءتها حتى انفرجت أساريره ، وظهر السرور والبشر على وجهه فلقد عادت به إلى ذكريات شيخه ومجالس علمه وحملاته على الحكام الذين أساءوا الى الشريعة وتنقلاته مطرودا من بلد إلى بلد .

جمع أتباعه ومريديه ، وقرأ عليهم الرسالة ، ثم راح يتشاور لاختيار من يثق به لتحقيق رغبة إمامه ، فاتجهت الأنظار إلى عبد الله لما عرف عنه من محافظته على المبادىء السلفية وأخذ من الرسول الأعظم والصحابة والتابعين بلا تأويل ولا ابتداع ومواظبته على الصلاة وفي جماعة ومن قوته في الخطابة وقدرته على المناقشة وشدته فلا تأخذه في الحق لومة لائم .

واستسلم عبد الله لتفكير عميق فإما أن يحقق ما يصبو إليه وما عاش من أجله أمة متحدة متماسكة

تستمد تشريعها من كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والتابعين وإلا فبطن الأرض خير من ظهوها . وامسك يحيى بن ابراهيم بزمام جماله حتى غابا عن القوم .

في الطريق إلى جدالة

كان الركب يتوقف في الطريق للصلاة ، وعبد الله يؤمن إيمانا جازما أن أول الطريق للمسلم هو المحافظة على الصلاة وفي أول وقتها لا يشغله شاغل أو تأويل حتى يؤخرها ، فكان إذا دخل الوقت وقف ركبه ليؤذن بنفسه ويدعو الناس فيجتمعون ، فإذا ما اقيمت الصلاة راح ينظم الصفوف للجماعة ، فإذا ما انتهت الصلاة قام ليعظ الناس ويذكرهم بما يجب عليهم نحو خالقهم وليعلمهم أصول الدين بلغة عربية سهلة وبربرية واضحة بفهمها الجميع ، فيدعو الناس إلى الجهاد واعلاء كلمة الله .

كان الزعيم يحيى بن ابراهيم الجدالى يقدم الداعية إلى الحاضرين قائلا :

« **هذا** عبد الله بن ياسين محيى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام جاء ليعلمنا أمور ديننا ويدعونا إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

كان يفعل ذلك في كل وقت وفي كل مكان يمر به ، فلا عجب أن أثار في الناس الحب الشديد لهذا الدين القويم ، لقد فرحوا فرحاً شديدا باللحظات التى قضوها معه ، وفهموا جيدا ما يدعو إليه ، فلا غرابة أن نرى شيخا بربريا يسرع ليقترب من راحلة عبد الله وأن يمسك بزمام دابته قائلا بصوت مرتفع : « أرأيتم هذا الجمل لابد أن يكون له في هذه الصحراء شأن عظيم » .

لقد اطلق يحيى بن ابراهيم على عبد الله إمام الحق لما لمس فيه من سعى وراء الحقيقة وعمل على احياء الشريعة واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله والجداليين

وصل عبد الله دور قبيلة جدالة ، وبدأ يدرس حالة القوم ، إنهم ما يزالون يتزوجون بأكثر من أربع وما تزال المكوس تفرض ، والناس نوعان اسياد وعبيد ، والخمور تشرب وكأن القوم لم يسمعوا أنها محرمة ، وآلات الطرب تباع ويقبل عليها القوم وليس لهم من الإسلام إلا اسمه .

وكان الداعية عبد الله فرحا بلقاء القوم ، فأعد لهم مصلاهم واهتم بالجماعة والمحافظة على وقت الصلاة وواظب على وعظ الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن ذلك لم يغير من عاداتهم فبدأ يحزنه حال القوم فأضرب عن طعامهم وكان جماعة منهم قد استجابوا للداعية وتسابقوا في حبه وطاعته في كل ما يأمر به .

جمع اتباعه وطلب من بائعى الخمر أن يريقوا خمورهم ، ومن بائعى آلات اللهو والطرب أن يكسروا آلاتهم وامهلهم وقتا فلما لم يقوموا بأنفسهم قام هو ومن معه بإراقة الخمور وتكسير آلات الطرب ، ولم

يكتف بذلك بل قام خطيبا يبين للناس ضرر الخمر وموقف الدين منها ، والأضرار التي تصيب الناس من اللهو والغناء ثم دعا الناس إلى الجهاد وما أعده الله للمجاهدين .

وصل الخبر إلى رؤساء القوم فتعجبوا من أفعاله التي لم يسبق إليها فقيه قبله ، ونادوه ليسألوه : كيف يقبل على هذا الأمر من غير أن يستشيرهم أو يأخذ رأيهم ؟ ثم كيف يفسد امتعة الناس ويحرمهم من أرزاقهم .
لقد كانت إجابات عبد الله موسومة بالحجة والدليل مبينا لهم أن الذين يحللون ما حرمه الله ما هم إلا قوم فسقة فجرة خارجين على الدين . .

قالوا له : اترمينا بالكفر ؟ . . فقال لهم : أما أنتم فلكم حساب ستعرفونه قريبا إن شاء الله ، فإني أرى أنكم ما تزالون تجمعون بين أكثر من اربع من النساء ، وهذا كفر بالشريعة والتشريع الإلهى ، وهو زنى عاقبته الرجم ، والتفرقة بين الناس فسق ، وخروج على تعاليم الإسلام ، ثم إن الأدهى والأمرّ أكلكم أموال الناس بالباطل ، وجباية الأموال بدون وجه حق ، ما هو إلا زور وبهتان .

وترك القوم وهم يتوعدونه ، إلا أنهم عزموا على مراجعة يحيى بن ابراهيم الذى أتى به إلى ديارهم ، ولما كلموه في ذلك انبرى يحيى يدافع عن عبد الله ، ويطلب من القوم أن يستجيبوا له ، وأن ينفذوا طلبه .

لكنهم قالوا له : لقد قلنا لك ، وسنفعل به ما نشاء ، فهو ليس رجلا هينا أو ضعيفا ، وأنهم لا يستطيعون اغراءه ، فهو من صنف لم يروا مثله من قبل .

اغروا به سفهاءهم ، ولكنه واتباعه ثاروا عليهم واشبعوهم ضربا حتى الموت ، فجروا الى كبرائهم الذين هدأوا من روعهم . واجتمع كبار القوم بأنفسهم ليعلنوا العداوة والنزال .

كان من أشدهم عداوة للداعية شخص يدّعى التفقه يقال له الجوهر ابن سحيم فجادل عبد الله ، ونقض عليه بعضا من آرائه،واتهمه بالتناقض فيما يدعو إليه، ولم يترك الداعية ليرد عليه، فقد قام اثنان منهم يقال لأحدهما أيار وللآخر انتيكو وقررا عزله عن الرأى والمشورة ووافقهم القوم، وهددوه بالموت إن لم يترك البلاد، وجروا إلى داره فانتهبوها واخذوا ما فيها وهدموها، وقرروا قتله فخرج منها خائفا يترقب » (١).

رباط السنغال

فكر عبد الله في الذهاب إلى السودان(٢) لينشر الإسلام بين قوم على الفطرة ، وما يزالون يعبدون الأوثان ، وقد تكون استجابتهم للإسلام أقوى من أولئك الذين تلوثت عقائدهم بالسيء من العادات والتقاليد ، وجمع من معه واستعدوا للرحيل ، إلا أن يحيى بن ابراهيم جاءه ليعتذر عما حصل من قومه ثم سأله إلى أين تذهب . قال عبد الله اني ذاهب إلى السودان .

(١) البيان المغرب لابن عذارى ج ٤ ص ٨ ، ٩ .

(٢) كانوا يطلقون السودان على كل ما عدا المغرب الكبير من وسط افريقيه .

قال له يحيى : إني لا اتركك تنصرف ، وإنما اتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي وديني وما عليّ من ضل من قومي(١) .

وسكت عبد الله على غير عادة فلم يكن من طبعه السكوت عن جوابه ، فأتم يحيى كلامه قائلا : ولكن هل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة قال : وما هو ؟ قال : إن هاهنا جزيزة في البحر ندخل إليها فنعيش فيها :

فقال له عبد الله : إذاً نبني رباطاً ، فهلم بنا ندخلها باسم الله تعالى ، وبنى عبد الله بن ياسين رباطه الذي سمى برباط السنغال .

في هذا الرباط أنشأ أول جماعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أفريقية ، وبدأ يختار لدخول الرباط فلا يترك الباب مفتوحاً ليدخل من يريد ، بل كان يتردد طويلا ويمتحن المريد ليعرف الهدف الذي من أجله يريد الأنضمام ومدى إخلاصه للدعوة ، فإذا وجد منه استماتة في الإنضمام ألزمه بأن يطهر نفسه من الرجس والدنس عما اقترفه من ذنوب وآثام ثم يطلب منه أن يتوب من ذنوبه قائلا :

« قد أذنبت ذنوباً كثيرة في شبابك فيجب أن يقام عليك حدودها (٢) فإذا أقر بذنب أقام عليه الحد ، فإن كان غير محصن وزني جلد مائة جلدة أو أقر بشرب الخمر وقع عليه حدها ، وكان أحياناً يطلب من الواحد منهم أن يسلم إسلاماً جديداً .

كان الداعية عبد الله في رباطه الجديد يتولى تعليم أتباعه بنفسه ، وكان رائده الإمام مالك رحمه الله ، فكان يرى أنه أشد الناس التزاماً لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ،وما سار عليه الصحابة والتابعين والتابعين كان يخوفهم من النار وعذاب الآخرة ، ويشوقهم إلى لقاء الله ، وما أعده للمؤمنين الصادقين من ثواب في الجنة ، كان يطالب منهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، وأن يتهيئوا للجهاد الذي هو عصب الدعوة الإسلامية .

والظاهرة الجديدة في تعاليم ابن ياسين بالرباط هى اهتمامه بالصلاة والمحافظة عليها في أول أوقاتها وأدائها في جماعة ومعاقبة المتخلف عنها ، ومحاسبته على كل ركعة يتخلف عنها ، فالذى يتأخر عن الجماعة يضرب عشرين سوطا ، والذى تتركه ركعة الجماعة يضرب خمسة أسواط(٣) ، وكان يطلب ممن تركها في الماضى أن يؤدى ما فاته ، وبجانب هذا كان احترامه لمسجد الرباط شديدا ، وكان يعزر كل من يتكلم في المسجد في أمور الدنيا .

---

(١) روض القرطاس ص ٧٨ .

(٢) روض القرطاس للبكرى ٧٨ والبيان المغرب ج ٤ ص ١٦ .

(٣) البيان المغرب لا بن عذارى المراكشي ج ٤ ص ١٦ .

وهكذا رأى عبد الله أن المخالف لابد أن يؤخذ بالقوة حينما يخرج عن أمر الله وطاعته ، وأن حدود الله تلتزم التزاما ، وأن العاصي يستحق العذاب وأن المخالف عليه أن يتقبل القصاص بنفس راضية .

ولقد استقام أمر الجماعة ، ورضخ الكل لحكم الله حتى اصبحوا اعضاء صالحين في مجتمعهم الجديد ، فزاد اقبالهم ، وكثرت جموعهم واطاعوا وآمنوا بما يدعو اليه أمامهم ، واقبلت جموع الملثمين تعاهد الله على الوفاء والاخلاص والتضحية ، وكثيرا ما كان يحثهم على تحمل المسئولية ، ويهيب بهم أن يكونوا دعاة لأمر الله فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر خطبهم يومـا فكان مما قاله : « يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير ، وإنتم وجوه فئاتكم ورؤساء عشائركم ، وقد اصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده » .

لقد نظم عبد الله جماعته تنظيما يكفل لها النجاح وأعدها اعدادا طويلا ، وتزايد عددها حتى بلغ اكثر من ثلاثة آلاف ، وكان لابد لمجتمعه الجديد من المال والسلاح والتدريب فجمع الزكاة والعشور وما يتبرع به حتى ستطاع أن يواجه ما يحتاج إليه كي يؤدى رسالته كاملة ، فيخضع الخارجين على تعاليم الدين بالقوة إذا اقتضى الأمر .

ورأى داعية الله ابن ياسين ما للدعاية الروحية من اهمية كبيرة في حياة المسلمين فأراد أن يتفرغ لها ويحث المسلمين على التمسك بتعاليم الشريعة فكثير ما كان يردد قوله : « إنما أنا معلّم لكم دينكم »

واختار لقيادة الجيش يحيى بن عمر اللمتوني لما يمتاز به من صفات حازت الرضا والاعجاب ، فلقد كان من أهل الدين والفضل والزهد والصلاح ، مكافحا في سبيل توحيد دعائم الدعوة ، ولم يتركه عبد الله وحده ، ليتصرف كما يريد ، بل كان يراقبه ويشير عليه بما يجب عمله .

لقد اكتمل العقد وتهيأ الجميع للخروج لنشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مستعدين لخوض المعارك مع الخارجين والمخالفين فقد خطبهم عبد الله وكان مما قاله :

« اخرجوا على بركة الله تعالى ، وانذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وابلغوهم حجته فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأطاعوا فخاوا سبيلهم وإن تمادوا في غيهم ، ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » .

واستعد الرباط بمن فيه للذهاب إلى الجهة التي يعينها الأمير ابن ياسين .

نشر الإسلام في غانا

أراد عبد الله أن يضرب المثل الأعلى للقبائل المحيطة به في الجهاد والقتال في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين والذين هم على الفطرة ، فأمر المرابطين أن يستعدوا لنشر الإسلام في غانا ، وقتالهم إذا اعتدوا عليهم ، ثم سار نحو منحني النيجر ، ليحمل أهل غانا على الإسلام .

لم يشأ عبد الله أن يفاجأهم ، ويعمل فيهم السيف على غرة ، بل اتبع الطريق الذي سار عليه المسلمون في عهدهم الأول فأرسل إليهم من يدعوهم للدخول في الإسلام ، أو الجزية أو القتال ، ولكنهم غدروا بالرسل وقتلوهم عن آخرهم فأهم الداعية هذا الأمر ، فأمر المرابطين بالاستعداد لقتالهم وصعد عليهم الجبل ، وقاتلهم ثلاثة أيام ، استبسل فيها المرابطون ومات منهم عدد كبير وكاد الأمر يخرج من أيديهم فالأعداء أكثر منهم عدداً وعدة ، ولكن المرابطين وضعوا في تفكيرهم مايصيبهم إن هم انهزموا سيتعرضون للسخرية والاستهزاء ، ولن ترحمهم ألسنة الأعداء ، فقد يقومون بدعاية تؤثر على سير الدعوة وأيضاً فقد يطمع فيهم أهل غانا ، فيُهْدَم كلّ مابنوه ، زيادة على العداء بين الداعية وكبراء القبائل المحيطة بالرباط لذلك نجد الداغية عبد الله بن ياسين يخطب المسلمين في اليوم الرابع فيقول :

« إنا احتسبنا أنفسنا في حق الله وسنة نبينا محمد — صلى الله عايه وسلم — وأراكم قد اعياكم حرب هؤلاء المشركين ولم يأمرنا الله أن نتركهم إذ . . فاستعينوا بالله ربكم ينصركم عليهم » (١) .

كان لكلمات الداعية الإمام رحمه الله أثرها الفعال في قلوب المرابطين ، فاستعدوا لدخول المعركة ، واثقين من نصر الله ، مقدرين النتائج السيئة المترتبة على الهزيمة ، وحمى وطيس المعركة وهجم المسلمون على المشركين حملة رجل واحد ، فأنهزم الجمع وولى الأدبار والمسلمون وراءهم يقتلون ويأسرون ، لقد قتلوا منهم اعدادا كثيرة ، وسلبوا أموالهم وتوغلوا في ديارهم حتى اشرفوا على ديار التكرور فانضموا إليهم وأصبحوا قوة للمرابطين .

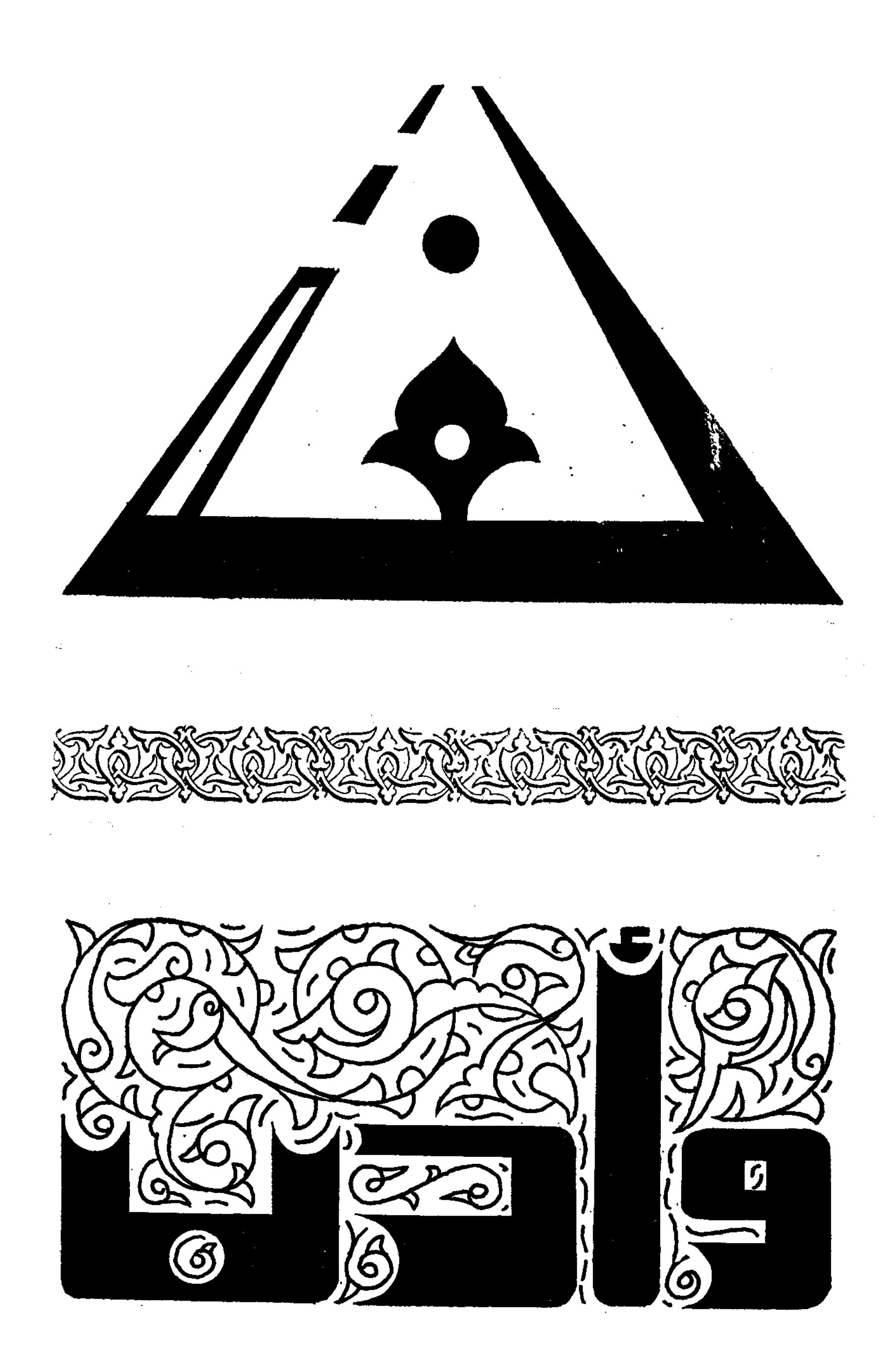
حمل الركبان نبأ هذا الأنتصار في قلب الصحراء إلى كل مكان ، لقد مكنوا لدين الله في أرضه ، وضموا إعداد كثيرة إلى المرابطين خاضوا معهم الحروب ورجع المسلمون إلى الرباط ، وأقبل الناس ليروا الفئة المؤمنة الصابرة ولينضم إليهم من يريد شرف الجهاد في سبيل الله .

فلا غرابة أن يزداد إيمان المرابطين وأن يؤكدوا لله العهد على مواصلة الجهاد ورفع راية الإسلام الصحيح ، وسوف يقرر أمامهم ومعلمهم وقائدهم الجهة التى سيتحركون إليها . .

— يتبع —

★ ● ★

(١) البيان المغرب لابن عذارى ج ٤ ص ١٢ .





للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة / أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . . عبد الله ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه . . وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) « سورة الذاريات الآية ٥٥ » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) وفي رواية أصدق كلمة « متفق عليه » .

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » . . اخرجه البخارى في الأدب المفرد والدارقطنى في سننه .

في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمة الأسلامية تتطلع شعوبها المجاهدة إلى كل زاوية وإلى كل اتجاه عساها أن تبصر ومضة من هنا أو إشعاعة من هناك . وليس شيء يلهب عزائم الجموع ويؤجج مشاعر الملايين كالتذكير بالمثل العليا والنماذج الرائعة للسلف الصالح وربط الأمة بماضيها المشرق الزاهر وتراثها المجيد .

ومما لا ريب فيه أننا عندما ننظر نظرة فاحصة . في عمق الباحث وتفكير العاقل المتدبر . على امتداد الوطن العربي الإسلامى نجد أن غثاء كثيرا أوجده الفكر الدخيل في مجرى نهر الفكر العربي الإسلامى الأصيل ، ويتضح ذلك في المذاهب الفاسدة المنتشرة : (الماركسية والعلمانية والليبرالية . . الخ) ، وهى مصطلحات ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم ، مأخوذة من أيدلوجيات ونظم غربية تتناقض تناقضا شديدا مع مفاهيم وأصول الفكر السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتعليمى الإسلامى ، وإن كانت تلتقى معه أو تختلف عنه بصورة أو بأخرى .

إن من أخطر التحديات التى واجهت أمتنا العربية الإسلامية تلك المتابعة للفكر الغربي في مفاهيمه ونظمه السياسية والاجتماعية التى أوقفت التشريع الإسلامى وألغت نظام التربية الإسلامية وفتحت الطريق أمام مناهج التعليم المنقولة من معاهد الإرساليات والتبشير القائمة في كثير من الأقطار على تمجيد الغرب ودينه ولغته وتاريخه والتى كانت سببا في الدعوة الى التخلى عن الدين والأخلاق والقيم بحثا وراء منهج إقليمى يقيم الحواجز الحصينة بينه وبين الامتدادات العربية من ناحية والعالم الإسلامى من ناحية أخرى والفكر الإسلامى بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع من ناحية ثالثة وكان من مؤيدى هذا الاتجاه والداعين إليه لفيف من الأدباء . ممن اشتروا الضلالة بالهدى وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة . مما جعل التيار الأدبي في الأمة العربية يسير على الوجه التالى :

١ — فهم الأدب بمنطق الغرب استمداداً من نظريات (ثين وبرونتير وسانت بيف) تلك التى تنظر إلى الإنسان على أنه مادة خالصة لا روح فيها ، أو على أنه حيوان تطبق عليه تجربة الحيوان وغرائزه وتفصل ما بينه وبين الروح ، كذلك فإن هذه النظريات تحصره في إطار البيئة والعصر وحدهما دون أن تربطه بالعقيدة الممتدة على الزمن والتى كان لها وسيظل . بمشيئة الله . أثرها البعيد في تشكيل الإنسان وتصرفه وحركته وتفسير أهوائه وغاياته ، كما اعتمدت أحكام الأدب والنقد على مفاهيم دارون وماركس وفريزر وفرويد ، وهى في مجموعها مفاهيم ترد النتاج الأدبي إلى التفسير المادى للإنسان وترجعه إلى حيوانيته سواء في الجنس أو في لقمة العيش أو في التطور المطلق ، أو في الجبرية فتحول بينه وبين امتلاك الإرادة التى هى مصدر حركته ومصدر مسئوليته وجزائه عند الله .

وبديهى أن هذا الاتجاه الأدبي إنما يستهدف طعن الفترة الإنسانية وتدمير العقيدة الإسلامية والأخلاق ، ولا سيما عندما علت صيحة (في بعض البلاد) تنادى بفصل الأدب عن الفكر الإسلامى ليكون حراً في الانطلاق نحو الأدب المكشوف مما كان سببا في تكوين مذهب وأدب فتح طريق الشر للأجيال التى جاءت بعد ذلك ، وكان من أهم الركائز التى أعانت دعاة الفكر الشيوعى والصهيوني التلمودى ، لأن هذا الانحدار الأدبي كانت له أسوأ النتائج في كل الهزائم التى وقعت بالعرب المسلمين وبه تمكنت الصهيونية من السيطرة على الأرض والفكر . .

٢ — كان من أكبر أهداف الأدب الحديث الذى قام به كتاب ما بعد الحرب العالمية الأولى هو الأنقطاع عن الأدب العربي الذى يمتد عقده منذ ظهور الإسلام . ولذلك لم نر كاتبا واحدا من هؤلاء يصل نفسه بهذا الأدب (ما عدا الرافعى وكانوا يسمونه رجعيا) وكل ما عرضه هؤلاء الكتاب من الأدب العربي القديم إنما كان محاولة لتصوير الأدب بصورتين :

أ — صورة الشعر الهابط ممثلا في أبي نواس وبشار ومجموعة الزنادقة الذين شغل بهم البعض ، أو الشعر الجاهلى الوثنى .

ب – أدب السجع والمحسنات اللفظية الذى لم يكن من الأدب العربي الأصيل والذى جاء به الفرس والوثنيات القديمة

وكانت النظرية الشائعة إبعاد (ابن تيمية وابن القيم وابن حزم) وكل هؤلاء وغيرهم عن مجال الأدب ووصفهم بأنهم فقهاء وذلك حتى يتحرك الشباب المسلم في دائرة مغلقة .

ولقد ظل عمل هؤلاء مقطوع الصلة بالأدب العربي في أمتداده يركز على المناهج الفرنسية أو المناهج الانجليزية .

إن هناك مفازة واسعة وقف عندها هؤلاء الرواد ولم يجاوزوها إلا بين حين وحين عندما كتبوا عن المتنبى أو ابن الرومى . أما من حيث قيام دراسة متصله شاملة تربط حلقات الأدب كلها فلم يكن هناك غير الأسلوب المدرسى الذى يقسم الأدب إلى عصور .

٣ – لقد كانت هذه النجزئة في الأدب مساوية تماما للتجزئة السياسية التى وجدت بعد الحرب العالمية الأولى حيث الدعوة إلى الإقليمية والوطنية الضيقة ، وبذلك أغلقت الأبواب دون الفهم الصحيح للروابط الاجتماعية والسياسية والفكرية بين الأمة العربية من ناحية وبين العرب والمسلمين من ناحية أخرى ، ودعا بعضهم إلى إغلاق الأبواب في وجه كل ما يسمى عروبة أو إسلاما .

في هذه الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا يتساءل الكثيرون عن (اختفاء الفكر العربي الأصيل) ويردونه إلى عجز الأدب (إبان النكسة والنكبة وخلال مرحلة ١٩٤٨ م إلى ١٩٦٧ م) عن العطاء ، وقد أجاب البعض إجابات جانبية وعجزوا عن أن يفهموا أعماق هذه الظاهرة .

إن الأزمة أكبر من الأدب نفسه ، فالقضية قد انتقلت إلى مجال الفكر الإسلامى بعد أن فشل الأدباء في الأستجابة الحقيقية للأمة ، وكان أغلب ما قدموه لا يمثل حقيقة هذه الأمة ولا جوهر فكرها ولا مضمون روحها ، وإنما كان مترجمات ضالة من الفكر الوثنى والمادى .

ولقد حجب في هذه الفترة كل كتّاب الأصالة حتى ماتوا كمداً بعد أن حجبت آثارهم ومنع إنتاجهم وكثيرون غيرهم اعتقدوا أن راية الإسلام هى المظلة الحقيقية .

إن الأدباء كانوا تابعين لمدارس وأيدلوجيات ومفاهيم موزعة بين المذاهب المادية والبشرية ، وكانوا يحاولون أن يتخذوا من القصة وسيلة إلى هدم المقومات ويتخذوا من النظْم وسيلة إلى هدم عمود الشعر ويتخذوا من البرامج الإذاعية وسيلة إلى هدم الفصحى وتغليب العامية بما تحمله من مفاهيم فاسدة .

وكان هذا النتاج كله يدور حول الأحقاد التى يحملها الشيوعيون والشعوبيون للإسلام والعرب ولغتهم ودينهم وفكرهم وتاريخهم وكانوا يدورون في دائرة ضيقة هى الهدم والصراع الطبقى .

وكيف يمكن أن يكون هذا أدبا أصيلا ؟ . .

لقد فشل الأدب نتيجة أنه تخلى عن رسالته وعن أصالته وعن موقعه الصحيح بالنسبة للفكر الإسلامى ولذلك فقد كان لابد أن يسقط وأن يقدم الفكر الإسلامى نفسه ليحمل الأمانة .

إن حركة اليقظة الإسلامية منذ ظهورها بدأت تعمل على تحرير الحركة الوطنية من الإقليمية والأدب من التبعية ، وظلت تفتح الطريق لهذه الأمة إلى الأصالة في منابعها الثلاث :

١ – أسلوب تربية إسلامى بديلا للمناهج التعليمية الواحدة .

٢ – الشريعة الإسلامية بديلا للقانون الوضعى .

٣ – بناء المجتمع الإسلامى على أساس الأخلاق والعقيدة .

ولقد كانت كل محاولات الغزو الثقافي متمثلة في ضرب هذا التيار الإسلامى وحربه والقضاء عليه لعلمهم بأن ذلك يعنى عظمة الأمة ومجدها وعزتها وكرامتها وحريتها .

أجل : إن الذوق الإسلامى أقرب إلى الحقيقة وأحلى للسمع وأوسع في المحتوى والمضمون .

إذن : يجب علينا . نحن الأدباء العرب المسلمين . . أن نعود من ذوق علماني إلى ذوق إسلامى ، من ذوق مادى هابط إلى ذوق روحى شفاف ، إن الذوق فسد فكيف ننشىء هذا الذوق في الجيل المعاصر ؟ . .

ومن أين نأتي به ؟ . . هل نأتي به عن طريق المؤتمرات والدراسات والمناقشات أو عن طريق التربية والتعليم أو عن طريق الإعلام ووسائل التبصير والتثقيف ؟ . .

إن هذه الأساليب طبيعية لابد منها في صوغ الأفكار والميول والاتجاهات وفي إثارة الأشواق والأذواق بشرط أن تركز هذه الوسائل كلها على نقطة واحدة هى نقطة إنشاء جيل يختلف في وجدانه وذوقه وعقليته وسلوكه عن جيله السابق كل الاختلاف ، جيل يضع إقامة ميزان الإيمان فيربح فيما يخسر فيه الآخرون ويخسر فيما يربح فيه الآخرون ممن يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله، جيل تختلف عنده مقاييس الغضب والرضا والفقر والغنى والإخفاق والنجاح والتقدم والتخلف فهو يشفق على عمالقة الغرب وأبطاله وأساتذته وفلاسفته كما يشفق الخبير البصير على ضرير ضل الطريق ووصل على حافة بئر سحيق أوشك أن يقع فيه ، ويعتبرهم أشد جهلا وعجزا من أى شعب آخر . إيمانا وتسليما بقول الله عز وجل : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (الآيات ١٠٣ – ١٠٤ من سورة الكهف) .

إننا حقاً مرضى ألسنتنا التى أصبحت لاتميز بين المر والحلو لماذا؟ لأننا فقدنا حاسة الذوق كما فقدنا حاسة الشم . لابد أن نتجه في ظل المنهج والنظام والشرع طبعا . إلى ذوق إسلامى يحرسنا من النزوات الفكرية والتلوث الذهنى وصدأ القلب .

يجب علينا أن نضم إلى سلاح العلم والعرفان سلاح الذوق والإيمان ، وبهذا الذوق وحده نفرق بين الخبيث والطيب ولا يتحلب فمنا على كل حماقة غريبة إذا كانت غريبة .

إن أمتنا العربية المسلمة لا يمكن أن تسترد عزتها المسلوبة ولا كرامتها المفقودة إلا يوم أن تعود إلى دينها تستقى من معينه الفياض وترتشف من ينبوعه الصافي ، وينبغي أن يكون واضحا أمام أعين الأدباء والشعراء أن عصر صدر الإسلام عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم هو المشعل الذى تستضيء به البشرية في كل عصورها وفي جميع شئونها مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :

« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . . الحديث » . . وقوله : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » . .

أجل : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . .

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . . ولمثل ذلك فليعمل العاملون . . والله نسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل إنه على ما يشاء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل؟ . .

* ● *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

١ ــ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢ ــ أن يحب المرء لا يحبه الا لله .

٣ ــ أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار .

« رواه الشيخان »

★ ● ★

يا متاع الغرور

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب – المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

ثقُلَ الحملُ ياصديقي ، والزا د زهيد ، والدرب وعر طويل
وازدهاك الغرور لما (تمليت) فأوشكت لاتعى ما تقول
وهوى المال يا أخيّ بلاء بل وباء تضلُّ فيه العقول
فتَتَخَفّفْ . إن المخِفَّ هو النا جي إذا آذَنَ الحسابُ المهول
وتذكَرْ أن الكفاف هو الخير وكل الذى عداه فضول
قد بلونا عسر الحياة زماناً ثم وافى يسارُها المأمول
فإذا مرُّها وحلو جناها محض حُلمُ بقاؤه مستحيل
فإلاّم الشقاءُ في طلب الوهم وندرى أن المقام قليل
ولعمري ما أنت أحوجُ مني لنصيح يقول لى ما أقول
كلنا وارد السراب وكلٌّ يدعى الطبَّ وهو ذاك العليل

* * *

. . يا متاع الغرور حسبك ما أسـ لفت بي من جراحة لا تزول
زنتْ لي الضربّ في الظلام إلى أن خار عزمي وأرهقتنى الكبول
وشبابي نزفته في ضباب من ضياع قد حار فيه الدليل
فدع الشيب لي أكفرُ به الما ضي فقد آن أن يشوب الجهول
وإذا الشيب لم يزعني عن الغيّ فما لي إلى النجاة سبيلُ


ردود
و
مناقشات



ما هكذا يا سعد تورد الإبل !!

بقلم فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي / عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

وفي ليلة الجمعة ١٣٩٩/١/٨ هـ ، سمعت صدفة ومن غير قصد . . ندوة علمية تبث من اذاعة القاهرة موجهة إلى طلاب وطالبات (جامعة القاهرة) وكان من بين الأسئلة التى وجهت للدكتور (احمد شلبي) السؤال التالى ؟ . .

(هل يعتبر القسم بغير الله شركا) . . ؟ وجهت السؤال طالبة من طالبات جامعة القاهرة لم أتمكن من ضبط كليتها كما لم اضبط اسمها ، ولم يوفق الدكتور الشلبي في الإجابة على السؤال بل حاول أن يميع الإجابة على الرغم من أن السؤال صريح والجواب عليه واضح في السنة — لو وفق الدكتور وكان من أهلها .—

ولكن لم يوفق بل أخذ يلف ويدور ، وقال مرة في جولته في الدوران قول الإنسان بحياة ابي أو حياة الرسول أو بحياة الحسين ليس بقسم وإنما يقصد التأكيد ، وفات الدكتور ان القسم نفسه انما يقصد به تأكيد الخبر بالحلف بعظيم يخشى انتقامه لو كان الحالف كاذباً ، ولست ادرى كيف اختلط الأمر على فضيلة الدكتور ، واعتقد ان السائلة ومن كان معها يدركون خطأ الدكتور ومحاولته التمييع ولكن الحياء أو الستر على الدكتور أو كونها امرأة تعجز عن المناقشة فهذه المعاني أو بعضها حالت دون مناقشة الدكتور ولو كان السائل رجلا يعلم الحكم فيقوى على المناقشة لما تركه وهو يتلاعب بحكم من أحكام دين الله ولكنها أنثى (وليس الذكر كالأنثى) فيقوى على المناقشة ومما قاله الدكتور في اثناء محاولته التهرب عن الاجابة الصحيحة ان بعض الجماعة المتشددة تقول (ان القسم بغير الله يعتبر شركا ، وأنا لا اوافقهم على ذلك ثم بالغ في التهرب عن الاجابة فخرج عن الموضوع فقال وهناك نقطة أخرى وهى ان الإنسان اذا حلف لا يفعل شيئا كأن يقول والله لا أزور أخى مثلا فينبغي له أن يزور اخاه لان الله تعالى يقول: (فلا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا)، الآية . . الى آخر الكلام الكثير الذى الغرض منه التهرب عن الإجابة الصحيحة التى يعلمها أو يجهلها ولست أدرى ايهما يختار الدكتور لنفسه واخيرا ختم الإجابة على السؤال بهذه الجملة الجريئة (القسم بغير الله لا يعتبر شركا ! ! . .

نقول للدكتور (ما هكذا يا سعد تورد الأبل) . . أى ما هكذا يا دكتور تكون الإجابة العلمية . :

يا سبحان الله ، ، هل الذى حمل الدكتور على هذا الموقف الخطير . . الذى مضمونه تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والخروج عليه وعدم اطلاعه على النصوص الواردة الدالة على ان الحلف بغير الله شرك ؟ أو الحامل له مجارات العوام ومداهنتهم وكتمان الحكم الشرعى التماسا لرضى العوام واشباه العوام ؟ وسواء أكان الحامل له هذا أو ذلك فان الدكتور قد تورط فلا عذر له في كلتا الحالتين ، فأى الأمرين يختار فضيلته؟ .. هل يختار ان يقال له انه جاهل؟ . . ولا اظن ذلك أو يختار ان يقال له تعمد في مخالفة النصوص والخروج عليها، مع الاطلاع عليها والعلم بها،؟ هما أمران احلاهما مر ولكن الأحتمال الأخير وهو الأقرب لأنه لا يليق بمكانته العلمية الرفيعة ان يقال انه جاهل للحكم .

فاذا انه عالم تجاهل لحاجة في نفس يعقوب . .

وبعد . . اريد ان اذكر الدكتور فالذكرى تنفع المؤمنين ان حياة المسلمين اليوم في الغالب الكثير مزيج من العادات والتقاليد المخالفة لما جاء به الإسلام من الهدى والتشريع . . وهذه التقاليد والعادات على نوعين :

١ – نوع جاء به المستعمرون الذين استعمروا اكثر بلاد المسلمين ثم رجعوا الى بلادهم تاركين خلفهم عاداتهم وتقاليدهم فورثها المسلمون السذج . . وهم ورثة المستعمرين دائما .

٢ – النوع الثاني عادات وتقاليد كانت موجودة في المنطقة قبل دخول الإسلام الى المنطقة ثم بقيت ممتزجة بما جاء به الاسلام ولم يستطع كثير من الناس أن يميز بينها وبين الحق الذى جاء به الاسلام فتوارثوها ثم مع بعد كثيرمن الناس عن تعلم الاسلام ودراسته والتفقه في الدين وكثرة علماء السوء الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ويفضلون ثمن الرغيف على رضى ربهم لهذا كله راجت تلك التقاليد فالتبس الأمر على العوام لا يفرقون بين السنة المحمدية والبدع المحدثة والأقوال والأفعال الدخيلة فقد اختلطت مع ماجاء به الإسلام من العبادات والأحكام ولم يفرقوا بين الحق والباطل فأخذ كل جيل يرث البدعة عمن كان قبله حتى صارت مألوفة غير مستنكرة فلا يقوى على إنكارها إلا طائفة قليلة غريبة بين الناس وهى في أرضها وبين بنى جنسها وهى الطائفة التى رزقها الله الفقه في الدين ذلك الفقه الذي يمكن الإنسان من التفريق بين الحق والباطل ويحمله على مراقبة الله والخوف والتفقه في المعاني يورث المرء الشجاعة والإقدام والقدرة على القول بالحق وبيان الحق والدعوة إليه وما جاء به خاتم النبيين هو الحق . . فماذا بعد الحق الا الضلال ؟

ومن فقد هذه المعاني يغلب عليه الجبن والخور ومداهنة الناس والتزلف وإيثار رضاهم على رضى ربه وخالقه وولي نعمه ، وقد كان علماء اقسلمين سابقاً يتمتعون بالشجاعة وقول الحق ولو كان أمام السلطان الجائر ، ويعتبرون ذلك نوعاً من الجهاد في سبيل الله والله المستعان ، ولعل الذي جعل الدكتور أحمد الشلبي يتهرب من القول (بأن القسم بغير الله شرك) كما تدل السنة الصحيحة

الصريحة هو ظنه بأن المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر الناقل عن الاسلام والذي يرادف الكفر . . ؟ إن كان الحامل للدكتور هو هذا الظن فليعلم الدكتور أن الشرك ينقسم إلى قسمين إذا أطلق في لسان الشارع ، يعرف ذلك بدراسة السنة دراسة فاحصة والفقه في الدين . (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) . والفقه في الدين شيء وكثرة الإطلاع أو كثرة الحفظ شيء آخر ورب قليل للحفظ وقليل الإطلاع يرزقه الله الفقه في الدين وحقيقة الفقه (الفهم الصحيح في الإسلام والتصور السليم لما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام .

١ – القسم الأول : شرك أكبر يخرج صاحبه من دائرة الإسلام وهو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله واتخاذ غيره نداً ومعبوداً معه لأن ذلك يتنافى وكلمة التوحيد التي تحصر جميع العبادة لله وحده وتحرم عبادة من سواه وما سواه إذ معناها لا معبود بحق إلا الله فمن عبد غير الله بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل ومافي هذه الأشياء من أنواع العبادة كالركوع والسجود والطوا ف فقد أشرك مع الله شركاً لا يغفر إلا بالتوبة التي هي الإقلاع والندم والعزم على عدم العودة (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) .

٢ – النوع الثاني : الشرك الأصغر ويسمى في إصطلاح السلف شركاً دون شرك كما يقال كفرٌ دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ومن لم يدرك هذه الأقسام فليس بفقيه ويكثر تخبطه ويلبس عليه الأمر دائماً وقد يخرج من الإسلام من هو صحيح الإسلام وقد يدخل في الإسلام من هو بعيد عن الإسلام .

فتأمل المقام فإنه مهم جداً .

ومن أنواع الشرك الأصغر القسم بغير الله وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت ولولاك حصل كذا وكذا وهذا النوع لا يخرج مرتكبه من الإسلام إلا أنه إثم كبير يؤدي إلى الشرك الأكبر وقد ينتقل بعض أفراد هذه النوع من الشرك الأصغر إلى دائرة الشرك الأكبر بأمور خارجة تطرأ أحيأنا وتصاحب القول ، كأن يصل تعظيم المحلوف به في قلب الحالف والخوف إلى حد تعظيم الموحد ربه وخالقه أو أعظم من ذلك وفي هذه الحالة ينتقل القسم بغير الله من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر لأن من بلغ إلى هذه الحالة فقد خرب قلبه وحقيقة الكفر هو خراب القلب ويفقد تقدير الله حق قدره وتعظيمه والخوف منه ويحل محل تعظيم الله تعظيم مخلوق ، فنسأله تعالى العفو والعافيـــة .

وهذا الباب باب خطير جداً ومع خطورته قد أهمل الاهتمام به كثير من طلاب العلم والعلماء الرسميين وعدم تحقيق هذا الباب هو الذي أوقع الدكتور الشلبي في هذا الخطأ الفادح عفاالله عنا وعنه . فها أنا ذا أسوق هنا بعض النصوص الدالة على أن (القسم بغير الله شرك) .

١ – عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) . رواه مالك والبخاري ومسلم وأصحاب السنن وفي رواية لابن ماجه من حديث بريدة قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف بأبيه فقال : (لا تحلفوا بآبائكم من حلف له بالله فليصدق من حلف بالله فليرضى ومن لم يرض بالله فليس من الله) .

٢ – عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه ورواه ابن حبان وصحيحه ورواه الحاكم رقال صحيح على شرط الشيخين وفي رواية الحاكم سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : (كل يمين يحلف بدون الله شرك) .

٣ – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً) رواه الطبراني موقوفاً وقال المنذري رواته رواة الصحيح قال بعض أهل العلم تعليقاً على هذا الأثر (وذلك لأن الحلف بغير الله كفر أو شرك كما صرح به الحديث السابق والحلف بالله وهو كاذب معصية لها كفارة وفرق بين الإثنين) .

٤ – وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود .

وهذه الأحاديث كما ترى صريحة الدلالة بالجملة – على عدم جواز القسم بغير الله .

وأما حديث ابن عمر بن الخطاب رضي‌الله عنهما فصريح الدلالة على‌أن القسم بغير الله يعتبر شركا والقول بأن الحلف بغير الله لا يعتبر شركاً بعد الاطلاع على هذه النصوص ولا سيما ابن عمر ووصف من يقول بذلك بأنها جماعة متشددة فقول في غاية الجرأة فيوقع قائله في فتنة ويعرضه لعذاب الله إذ يقول الله تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصبهم عذاب أليم) . قال الامام أحمد الفتنة الزيغ والله أعلم ، والدكتور شلبي ليس وحيد دهره أو فريد عصره في هذا الموقف الجريء بل قد ابتليت هذه الأمة منذ أمد غير قصيرة بمجموعة ممن ينتسبون إلى العلم من هذا الصنف الذي عظمت لديهم الدنيا وهانت لديهم الآخرة فلم يقيموا لها وزناً وسخروا علمهم للحصول على ثمن الرغيف وإذا لم يتيسر ذلك إلا بالكذب على رسول الله أو تكذيبه والخروج على سنته فلا مانع لديهم أن يقترفوا كل‌ذلك طالما يحقق ذلك المصلحة الشخصية – اللهم عافنا فيمن عافيت – ولست أذهب بعيداً للاستدلال على ما ادعيت ولدينا فتوى الدكتور الشلبي (القسم بغير الله لا يعتبر شركا) ثم نسب القول بأن ذلك شرك إلى جماعة متشددة كما زعم .

وهذا القول كما ترى يكذب الحديث الذي تقدم ذكره قريباً حديث عبد الله بن عمر ولو وجهنا إلى المجموعة الشلبية الأسئلة الآتية .

١ – هل الطواف بقبور الصالحين يعتبر شركاً ؟

٢ – هل السجود على عتبة ضريح الحسين يعد شركاً ؟

٣ – هل التقرب إلى غير الله بالنذور والذبائح يعتبر شركاً ؟

٤ – هل الاستغاثة بغير الله والتضرع إل غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله يعتبر شركاً ؟

٥ – هل إقامة حفلات مولد ألنبي أو الحسين أو البدوي أو زينب يعتبر بدعة في الدين ؟

٦ – هل اختلاط الجنسين في تلك الحفلات وفي مناسبات أخرى جاهلية يعتبر منكراً ؟

لو وجهت هذه الأسئلة وأمثالها للمجموعة المذكورة لكان الجواب هكذا بكل بساطة (إن بعض الجماعة المتشددة تعتبر ماجاء في رقم (١) إلى (٤) شركاً وما جاء في رقم (٥) يعدونه بدعة كما يعتبرون مابعده منكراً) إلا أننا لا نوافقهم على ذلك ؟ وليس هناك شرك ولا بدعة ولا منكر والناس إنما يفعلون مايفعلون محبة للصالحين وهم يفعلون لله أما مولد النبي فلا ينكره إلا أولئك الذين لايحبون الرسول ولا الصالحين .

ثم إن البدعة قد تكون حسنة كما تكون خبيثة فلا ينبغي التشديد في هذه الأمور والمسلمون بخير والحمد لله وقلوبهم طيبة (موش عاوزه كلام) ومسألة الاختلاط لا تؤدي إلى شيء كما هو الواقع لأن الناس قد ألفوا ذلك ثم إن الدين يسر ولم يجعل الله علينا في الدين من حرج .

هكذا يخطبون وهكذا يضللون وهكذا يزخرفون القول سبحانك ما أحلمك يارب العالمين ؟ والأدهى والأمر إن هذه الحذلقة وهذا الكلام والخطبة الرنانة تقاطع بالتصفيق أو التكبير أحياناً علام هذا التصفيق ؟!!

وعلام التكبير ؟ على الجهل ؟ على المداهنة ؟ بل على تكذيب الرسول والخروج على سنته ؟ أعلى هذه المخالفة السافرة لأحكام الشريعة الإسلامية ؟ علام ؟ والعجيب من أمرنا نحن المسلمين أن هؤلاء هم العلماء المشار إليهم بالبنان ما أعظم مصيبة المسلمين في علمائهم فلم تنتشر هذه الجهالات التي تحدثنا عنها ومثلنا لها بعدة أمثلة ولم يرج سوق البدع والمخالفات ولم تتمكن جاهلية الاختلاط والكفر بالحجاب والدعوة إلى السفور ولم تحل القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية في التحليل والتحريم وغير ذلك فلم يقع شيء مما ذكر إلا تحت توجيهات وتأويلات المجموعة الشلبية ولو سلمت الأمة الإسلامية من شر علماء السوء « بعبارة أخرى لو صلح علماؤها لصلحت حياتها ولاستقام أمرها » .

* * *

أكـذوبة سادن البدوى

تحكي قصة مضحكةومن المصائب مايضحك عن سادن عند قبرأحمد البدوي ملخصها أن رجلا سرق سمكة مملحة وأكلها فاستحلفه المسروق منه بالله فأقسم بالله ثلاث مرات أنه لمِيأخذها ولميرها فلم يحصل له شيء فاستحلفه بأحمد البدوي فما كاد يتلفظ اسم البدوي حتّى سبقت السمكة بطنه فلفظها

هذا ماوصل إليه وضع عوام المسلمين بسبب تساهل جمهور علماء المسلمين المعاصرين الذين منهم المفتي (الشلبي) ولا يخالطني شك أن الدكتور الشلبي ومجموعته يعلمون دون شك أن الحلف بغير الله شرك أو كفر ولكن السياسة الاقتصادية بالنسبة لهم لا تسمح لهم أن يصرحوا خلاف ما عليه جمهور العوام .

هذا هو عذرهم غالباً فما رأى القراء الكرام في مثل هذا العذر ؟ .

وقصارى القول أننا ندعو الدكتور أحمد شلبي الى إعادة النظر في إجابة ليلة الجمعة ١٣٩٩/١/٨ هـ في حكم القسم بغير الله ليرجع إلى الحق والرجوع إلى الحق فضيلة دائماً وهو خير من التمادى في الباطل وما قاله الدكتور في اجابته تلك باطل ولا شك .

فنسأل الله لنا وله العفو والعافية والتجاوز عن أخطائنا وسيئاتنا (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) رواه الترمذي وابن ماجه وقال صاحب كشف الخفاء سنده قوي — والله ولي التوفيق .

---

١ — عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت » . « متفق عليه »

٢ — وعن ابي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال :
قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال :
« من سلم المسلمون من لسانه ويده » . . « متفق عليه »

٣ — وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من ضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة » . .

تصحيح المقال في مسألة شد الرحال

(منقول)

لفضيلة الشيخ عبد العزيز الربيعان / مدير المعهد المتوسط بالجامعة الإسلامية

الحمد لله وصلاته وسلامه على رسوله ومصطفاه وعلى آله وصحابته والمهتدين بهداه . .

أما بعد . . فهذا هو الموضوع الثاني الذى وعدت ببحثه ومناقشة فضيلة الأخ الكريم الشيخ عطيه محمد سالم فيه والذى قلت في مقدمة الموضوع السابق المنشور في مجلة الجامعة العدد السابق لهذا العدد تحت عنوان « البحث الأمين في حديث الأربعين » . . قلت هناك : إن فضيلة الشيخ عطية وقع في أخطاء تقليدية يجب التنبيه عليهاوبيان الحق فيها ومعنى قولى تقليدية أعنى أنها أخطاء قديمة في مسائل قد بحثت وظهر وجه الحق فيها فلا داعى لأعادة بحثها وبلبلة الأفكار حولها كيف وعلماء بلادنا لا اختلاف بينهم في حكمها وأنه المنع والتحريم فكيف ساغ لفضيلته أن يضرب بمذهبهم عرض الحائط ويعلن من بينهم مذهبا يعتبرونه بدعة بل معصية لله ورسوله لمصادمته الحديث الصحيح ومخالفته مذهب السلف الصالح ومن تبعهم بأحسان .

وهذا الوصف الأخير أعنى به موضوعنا هذا وموضوعا آخر تذبذب فيه فضيلة الشيخ فلا تكاد تجزم برأيه الثابت فيه وأعنى بذلك موضوع الاحتفال بالمولد النبوى احدى البدع التى جارى فيها المسلمون النصارى مصداق قوله عليه السلام (لتتبعن سنن من كان قبلكم . . الحديث) .

وقد تعرض الشيخ لهذا الموضوع أثناء كلامه على سورة الانسان . . ومن هنا ندخل في الموضوع متوكلين على الله ومستعينين بحوله وقوته .

بدأ الشيخ في بحثه في مسألة حكم شد الرحال ازيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم بترجمة هذا نصها : « شد الرحال الى المسجد النبوى للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم » ثم اتبع ذلك بقوله : « **ومما** اختص به المسجد النبوى بل من أهم خصائصه بعد الصلاة فيه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم من داخل هذا المسجد قديما وحديثا » . .

مناقشة

ونريد أن نناقش فضيلته فيما تقدم فنقول : هذه الخاصية التى أثبتها فضيلته للمسجد النبوى وجعلها من أهم خصائصه ما الدليل عليها ؟ . . ومن الذى قررها أصلا وجعلها كما ذكر فضيلته ؟ . . هل قررها القرآن ؟ . . فليتكرم على المسلمين بذكر الآية التى بينت ذلك أو أشارت اليه ، هل قرر ذلك الرسول ؟ . . فليتكرم بذكر الحديث الذى أفاد هذا الحكم فإننا بأمس الحاجة الى معرفته لأسباب لا تخفى على من يهمه أمر الإسلام والمسلمين .

هل أجمع على ذلك أصحاب رسول الله وعملوا به ، أو ذهب اليه جمهورهم أو كثرة منهم أو حتى ولو بضعة من كبارهم وفقهائهم ؟ . . ان كان كذلك فعلى الرأس والعين ، ولكن نريد من فضيلته أن يرشدنا الى المصدر الذى ذكر ذلك من المصادر المعتبرة عند علماء الإسلام ، ونعنى بعلماء الاسلام أئمة السلف خاصة ، ونعنى بالسلف القرون الثلاثة الأولى من هذه الأمة لشهادة المصطفى عليه السلام بفضلهم ولما عرف لهم من أحوال في العلم والدين تختلف عنها أحوال من جاءوا بعدهم ، ولأن فيما بعدهم كثرت الأهواء والابتداع في الدين ولم يسلم من ذلك الا القليل ، ومن ثم فإننا لا نطمئن الى نقل كثير من المتأخرين ولا بآرائهم ما لم يكن المصدر الذى نقلوا عنه موجودا بين أيدينا ، خاصة في الأمور التى فيها خلاف جوهرى يمس العقيدة أو يخشى أن يمسها أو له صلة ببدعة فُتِنَ بها كثير من المسلمين كمسألتنا هذه .

كما نذكرِّ مسبقا بأننا لا نعتبر عمل الصحابي الواحد حجة في الدين إذا انفرد به دون غيره من الصحابة ولم يرد أنهم وافقوه قولا ولا عملا ، وما لم نعلم له مستندا من الكتاب أو السنة ، ذلك لأن التشريع من حق الله ورسوله فقط ولا نصيب لأحد بعد الله ورسوله فيه ، أما المجتهدون من العلماء فهم معرضون لأن يصيبوا ولأن يخطئوا ، وصوابهم أن يوافقوا حكم الله ورسوله بفهم مقتضى نص شرعي ، وخطؤهم أن لا يوافقوا حكم الله ورسوله بأن لا يوفقوا لفهم النص الشرعى الذى يريدون فهمه .

أما التخرص والاعتماد على واقع الناس والاستدلال بما تفعله الجماهير فليس حجة في الدين عند أحد يعرف أن الإسلام هو دين الله الذى أنزله على رسوله ورضيه لهم منهجا في العبادات ، والمعاملات والأخلاق والاداب والسلوك فأكمله وأتم به النعمة على المسلمين وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته أتم بيان ، كان ذلك قبل أن يقبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم اليه ، فما من خير الا دل عليه أمته وما من شر الا نهاها عنه وحذرها من الوقوع فيه ، خاصة ما يتعلق بتوحيد الله وحمايته من شوائب الشرك وسد الذرائع التى يخشى أن تتدرج بأمته الى الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته .

أما زعم الشيخ أن السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان إلا من داخل المسجد قديما وحديثا ،

فتعبيره بقديم وحديث يدل على أنه يستدل بالواقع ويؤكد ذلك كون فضيلته لم يورد أى دليل شرعى على صحة ما ذهب إليه ، وانما استدل عليه بما ظن أنه عمل الناس ، ثم ان زعمه ذلك قول بلا علم ، ودعوى بلا بينة ، إذ أن فضيلته لم يوجد الا منذ خمسين سنة تقريبا فكيف علم ما عليه الناس في هذا الأمر منذ الف سنة ؟ . . لا يعلم ذلك الا من عاش هذه القرون كلها .

إذاً كيف علم فضيلته أن السلام على رسول الله ما كان يوما من الأيام الا من داخل المسجد ؟ أظن كل هذا من أجل محاولة الربط الوثيق بين القبر وبين المسجد كما سيأتي تصريحه بذلك والاستدلال العجيب عليه بحديث « ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة » . . ونسى سامحه الله أن المساجد تختلف عن الأضرحة وليس بينهما وجه شبه ولا جامع مشترك .

وقال الشيخ : كما جاء في الصحيح : « ما من أحد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحى فأرد عليه السلام » ثم قال ومجمعون على أن ذلك يحصل لمن سلم عليه من قريب ، ثم أكد ما ادعاه أولا بقوله : وما كان هذا السلام يوما من الأيام الا من المسجد النبوى سواء قبل وبعد ادخال الحجرة بالمسجد .

مناقشة

وهنا نناقش الشيخ من نواح حول ما نقلنا من كلامه :

١ – ما مراده بالصحيح ؟ . . أيعنى البخارى ومسلم أو أحدهما كما هو اصطلاح العلماء غالبا وكما يشير اليه اكتفاؤه هو بكلمة الصحيح دون كلمة الحديث اذ حسب فهمى أنه لو كان مراده غير الصحيحين لقال : « كما في الحديث الصحيح » ، ولكن كما يقولون « لا مشاحة في الاصطلاح » لو كان الحديث المشار إليه صحيحا ولكن هذا الحديث ليس في الصحيحين وليس واردا بسند صحيح فأيا ما كان قصد الشيخ بهذا الوصف فهو خطأ لأن الحديث في أبي داود وبعض الكتب الأخرى غير البخارى ومسلم بسند حسن فقط إذ أن في سنده أبا صخر حميد بن يزيد قال فيه ابن حجر في التقريب « صدوق يهم » .

٢ – في الحديث الذى نحن بصدده قوله عليه السلام « ما من أحد يسلم عليّ » وكلمة أحد نكرة مسبوقة بنفي ولم توصف بما يميزها ولم تقيد بما يخصصها ، فمن ثم تكون عامة تشمل جميع من يصدق عليه بأنه أحد ، فإذا كان الأمر كذلك ، من أين تكون الفضيلة الخاصة التى يدندنون حولها محاولين تأويل النصوص من أجلها ؟ . . وقد ذهب شيخ الأسلام ابن تيمية الى أنه لا فضيلة هنا للمردود عليه وانما الفضيلة للراد صلى الله عليه وسلم لأن ذلك من باب المكافأة على الاحسان ورد الجميل بمثله .

ثم إن الشيخ وفقنا الله وأياه يميل بقوة – حسب فهمى من كلامه . . إلى أن رد السلام منه عليه السلام

المشار إليه في الحديث انما يحصل لمن سلم من قريب دون من سلم من بعيد ، ودليل ذلك كونه حكى الاجماع على أن رد السلام يحصل لمن سلم من قريب وسكت عن رأى من يرى أنه لا فرق بين البعيد والقريب مما يشير الى أنه غير معتد بذلك المذهب ولا ملتفت اليه .

مع أن ما أعرض عنه فضيلته هو الصحيح للأدلة الآتية : —

١ — دعوى الاختصاص لا دليل عليها لا من النقل ولا من العقل ، وكل دعوى لا تؤيدها الأدلة مآلها للرد والبطلان .

٢ — الحديث مطلق من القيود وما أطلقه المشرع لا يجوز تقييده بلا دليل سوى الظن فقد وصف الله الظن بأنه لا يغني من الحق شيئا .

٣ — في هذا التخصيص قياس لحال ما بعد الموت على حال الحياة وهو قياس فاسد لبعد الفارق بين الحالين ، اذ حال الحياة محسوس مشهود ، وحال ما بعد الوفاة غيب لا يعلم حقيقته الا الله والذى يظهر أنه لا فرق هنا بين البعيد والقريب .

ثم ان الله تعالى مكن رسوله عليه الصلاة والسلام من رد السلام على من سلم عليه من قريب وهو في حال وفاة ومفارقة للحياة الدنيا لا يعجز أن يمكنه من ذلك بالنسبة للبعيد أيضا ، إذ أن القضية غيب وقدرة إلهية خارقة والله أعلم .

ثم لو كان الأمر كما ظن البعض وهو ان الرد لا يحصل الا للقريب لكان المسلّم يحتاج من أجل الحصول على ذلك إلى أن يدخل الحجرة ويقف على شفير القبر ، أما وهو داخل المسجد فقط فذلك بعيد وليس بقريب ، والشيخ جعل الفارق بين البعيد والقريب هو المسجد فمن سلم من داخل المسجد فهو في نظره قريب ، ومن سلم من خارجه فهو بعيد ، ولم يخصص مكانا من المسجد دون مكان ، ونحن نتساءل : كيف يكون من سلم وهو في غربي المسجد خاصة بعد الزيادات الأخيرة وبينه وبين القبر مئات الأمتار يكون قريبا ومن سلم من خارج المسجد من الناحية الشرقية أو القبلية وبينه وبين القبر أمتار محدودة قد لا تبلغ الخمسة عشر أو العشرين مترا يكون بعيدا ، مع أن المعتمد في ذلك والأساس الذى بنى عليه فضيلته هذا الحكم هو الاجتهاد المجرد من الدليل ؟ . . أما أنا فلا أجد جوابا لهذا التساؤل سوى ما ذكرت قبل وهو حرصه على أن يربط بين المسجد والقبر .

٤ — قد ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بطرق متعددة وشواهد كثيرة يرويها أئمة أهل البيت النبوى الطاهر وغيرهم يفيد هذا الحديث بطرقه وشواهده أن لا فرق بين القريب والبعيد بالنسبة للسلام على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما تفيد ايضا أن النبي عليه السلام نهى عن اتخاذ قبره عيدا ، وقد فهم رواة هذا الحديث من آل البيت النبوى ان من اتخاذ قبره عليه السلام عيدا

التردد على القبر ، فقد انكر كل من علي بن الحسين زين العابدين وابن عمه الحسن بن الحسن على من يتردد على القبر مستدلين عليه بالحديث المشار إليه والذى يرويانه باسناديهما الى جدهما سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – كما أخبرا أنه لا فرق في السلام عليه صلى الله عليه وسلم بين أن يكون من قريب أو من بعيد .

وهذا نص الحديث – قال أبو يعلى في سنده : حدثنا أبو بكر بن ابي شيبة ثم ساق السند الى على بن الحسين زين العابدين أنه رأى رجلا يجيىء الى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فنهاه ثم قال : الا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : « لا تتخذوا قبرى عيـــدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم » وفي بعض الروايات « وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » . . وفي رواية « فإن صلاتكم وتسليمكم » .

وفي مسند سعيد بن منصور : حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن ابي سهيل قال : « رآني الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم الى العشاء قلت : لا أريده ، فقال : رأيتك عند القبر ؟ . . قلت : سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا قبرى . . وفي رواية بيتى عيدا ولا بيوتكم قبورا ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » . . ثم قال الحسن بعد روايته لهذا الحديث : « ما أنتم ومن بالأندلس الا سواء » .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية « ورواه القاضى اسماعيل بن اسحاق في فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلّم » .

وفي سنن أبي داود نص الحديث المتقدم لفظا بلفظ عن أبي هريرة – وقال شيخ الاسلام في كتاب الرد على الاخنائي : هذا حديث حسن رواته ثقات مشـــاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به خاصة وان لهذا الحديث شواهد متعددة ، ثم ذكر واحدا من شواهده في سنن سعيد بن منصور قلت : وسيأتي ان شاء الله نقل احتجاج العلامة محمد بشير السهسواني بهذا الحديث برواياته في رده على زينى دحلان .

ماذا نستفيد من هذا الحديث ؟

ونستفيد من هذا الحديث ما يلى :

١ – الرد على من زعم أن السلام على رسول الله بعد وفاته عليه السلام ما كان يوما من الأيام إلا من داخل المسجد النبوى وأن السلام من قريب أفضل وأنفع مما إذا كان من بعيد .

٢ – ان على بن الحسين والحسن بن الحسن اعتبرا التردد على القبر داخلا في اتخاذه عيدا نُهِيَ عنه في الحديث ، وأن ذلك التردد يتعارض مع مقتضى ذلك النهى الصادر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم .

٣ – يدل نهيهما وانكارهما على من تردد الى القبر ان عمل جمهور المسلمين في زمانهما وخاصة العلماء عدم التردد الى القبر ، اذ لو كان الأمر بالعكس لما استنكر كل واحد منهما تردد من أتى الى القبر ، ولما نهاه عن أمر يفعله سائر المسلمين ولا ينكر بعضهم على بعض ولاحتج المنهى بأن ما فعله يفعله سائر الناس ولا ينكر عليهم من قبل العلماء ، علما بأن ما انكره هذان الإمامان لم ينفردا بانكاره بل نقل عن جمهور علماء السلف وأئمتهم كالامام مالك اذ ثبت عنه أنه يكرة قول الرجل زرت قبر النبي أو سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم . . يعنى عند قبره .

ولم يكن معروفا عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يترددون على القبر إلا ماعرف عن عبدالله بن عمر من أنه إذا أراد سفرا أوقدم من سفر جاء الى القبور الثلاثة بعدما يصلى في المسجد ركعتين فيقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا خليفة رسول الله السلام عليك يا أبتاه ، ولا يزيد على هذا .

فماذا يقول من يزعم أن السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخص خصائص المسجد النبوى ؟ . . وان السلام على رسول الله ما كان يوما من الأيام الا من داخل المسجد ؟ . . وماذا يقول من يرى وجوب أو استحباب أو أباحة شد الرحال لزيارة القبر الشريف معارضا بذلك نهيه عليه السلام ومحاولا تأويل ذلك النهى ، غير ملتفت لعمل السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم في هذه المسألة ؟ . . بل حاول أن ينسب اليهم ما لم يقولوا أو يفعلوا .

لا أعلم لهم جوابا الا أن يدعوا احدى ثلاث دعاوى :

الأولى : أن يدّعوا ضعف الحديث الذى أفاد النهى عن اتخاذ قبره عليه السلام عيدا وأفاد أن لا فرق في السلام عليه – عليه السلام – بين أن يكون من قريب أو بعيد ، وهذه الدعوى لو لجأوا اليها لقلنا لهم : ان طريقا واحدة من طرق هذا الحديث تساوى طرق حديث « ما من أحد يسلم علىّ . . الخ . . » وتبقى بقية الطرق لا مقابل لها بالنسبة لذلك الحديث . . علما بأن حديث « لا تتخذوا » قد استدل به في الموضوع أئمة الاسلام قديما وحديثا كما تقدم وكما تجده في أى كتاب تعرض لهذه المسألة ، والحديث إذا ارتفع عن درجة الضعف فهو أولى بالقبول من آراء الرجال .

الثانية : ان يتهموا امامى أهل البيت وغيرهم ممن استدل بهذا الحديث على عدم جواز التردد على القبر بسوء الفهم وانهم نزلوا الحديث في غير منزله ووضعوه في غير موضعه .

والجواب على هذه الدعوى أن نقول : لا يشك من له أدنى إلمام بعلوم الشريعة وتاريخ الاسلام أن السلف أعلم بنصوص الشريعة ومقاصدها وأهدافها من الخلف مرات متكررة ، وخاصة راوى الحديث

ومن شاهد التطبيق العملي لمقتضاه من جهة سلف الأمة والقرون المفضلة احرى واجدر بمعرفة مراد الله ورسوله ممن جاء بعدهم ، كيف وفيما بعدهم تدخلت الأهواء وتأثر كثير من الناس بما حدث من بدع ونحل وأفكار دخيلة على الاسلام ؟ . .

الثالثة : ان يقولوا اذا كان من السلف من لا يرى مشروعية السلام عند القبر ، أو يرى ذلك مكروها فقد وجد فيهم من يرى استحباب ذلك وأنه من الأعمال الصالحة أو انه مباح على الأقل ، وليس من لا يرى ذلك أولى باعتبار رأيه من الفريق الثاني .

والجواب على ذلك أن نقول : اذا كان من يرى عدم مشروعية السلام عند القبر بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم قد وجد من يعارضه من معاصريه وأقرانه فإن الله قد أمرنا أن نرد ما اختلفنا فيه اليه تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فعلنا أن نطبق هذا الأصل العظيم وأن نسلك هذا السبيل القويم فننظر من يكون الدليل بجانبه فنعلم أنه هو المصيب ، وأن مخالفه على خطأ وقد حرم الصواب ، ولكن ان كانت المسألة في فروع الشريعة وهذا المخطيء قد بذل وسعه في تحرى الصواب والتماس الحق ، فلا لوم عليه ولا اثم بشرط أن يكون أهلا للاجتهاد ومن الحائزين على مؤهلاته ، اما إن كانت القضية قضية عقيدة ، فالذى نعتقده والذى فهمناه عن علماء أهل السنة ان الخطأ في أمور العقيدة غير معذور فيه إذا كان المسلم يعيش في بلاد الاسلام التى يوجد فيها من يبين العقيدة الصحيحة ، اذ أن الانسان أما أن يكون عالما قادرا على فهم نصوص الوحى فيكون مؤاخذا على الخطأ لأن أمور العقيدة واضحة جلية ، ولذلك لم يختلف السلف في أمور العقيدة مع أنهم اختلفوا في بعض مسائل الفروع .

وإما أن يكون جاهلا فعليه أن يسأل أهل الذكر من علماء السنة الذين اذا ذكروا حكما ذكروا دليله من الكتاب أو السنة .

وربما قالوا : صحيح ان هذا الحديث يفيد أن السلام يبلغه عليه السلام من البعيد كالصلاة ولكن لا يردّ الا على من سلم من قريب ، فنقول لهم حينئذ ما الدليل على ما زعمتم ؟ . . هذا مجرد ظن وتدخل في أمور الغيب التى هى من اختصاص الله وحده ولا سبيل الى علمها من غير طريق الوحى .

الناحية الثانية : ماذا يعنى فضيلة الشيخ حين يقول : وما كان هذا السلام يوما من الأيام الا من داخل المسجد سواء قبل أو بعد ادخال الحجرة ؟ . . ان كان يعنى هذا النوع المبتدع الذى تمارسه العامة والدهماء وهذا الضجيج والاصوات العالية بين مناد وداع ومتوسل ومستجير وطالب للشفاعة من غير مالكها . .

ان كان هذا هو الذى يقصد الشيخ فليقل فيه فضيلته ما شاء وليس لدينا أى اعتراض أو مناقشة لأننا لا نعترف بهذا النوع من السلام أصلا ولا نعتبره من الدين الذى انزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنه من مخلفات عصور الانحطاط الذى نتج عنه قيام الوثنية في أغلب بلدان المسلمين إلا ما طهره الله كأرض المملكة العربية السعودية من هذه الوثنية بفضله تعالى ثم ببركة الدعوة الصالحة والحركة الناجحة

التى قام بها شيخ الإسلام ومجدده محمد بن عبد الوهاب وقام بنصره وحمايته أمراء آل سعود رحم الله أسلافهم وبارك في أخلافهم ووفقهم لحماية دين الإسلام من عبث العابثين وكيد الكائدين .

أما ان كان مراد الشيخ السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ـ الذى أمر الله به المسلمين بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » والذى يعنيه المصطفى صلى الله عليه وسلم حين يقول : « من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا » والذى يردده المسلم في كل صلاة مفروضة أو راتبة أو نافلة ضمن التشهد المفروض فيقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » والذى يأتي به المسلم كلما دخل مسجدا من المساجد أو خرج منه فيقول : « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » وكذلك كلما ذكر المسلم نبيه أو سمع ذكره قال : « صلى الله عليه وسلم » .

ان كان هذا النوع من السلام هو الذى يعنيه فضيلة الشيخ فليس صحيحا أن هذا السلام ما كان يوما من الأيام الا من داخل المسجد النبوى بل ان هذا السلام يمارسه المسلم في كل مكان وفي كل مناسبة ولم يكن يوما من الأيام مقصورا على مكان من الأمكنة .

وان كان فضيلته يرى أن هناك نوعين من السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما عام في كل مكان في الصلاة وعند دخول المساجد وعند ذكره عليه السلام ، والآخر خاص بالمسجد النبوى وانه هو الذى يعنيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما من أحد يسلم عليّ » الحديث ، فليقدم لنا دليله على ذلك وله منا الشكر ، وليعلم فضيلته من جديد أننا لا نقبل من أحد أن يقول على الله ورسوله ودينه بلا علم ولا برهان ، إذ يقول تعالى : « الله أذن لكم أم على الله تفترون » ، « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، « ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » ، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » ، ويقول « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ويقول عليه السلام : « عليكم بسنتي . . الى قوله : « وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » .

الناحية الثالثة : وكيف علم الشيخ أن السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يشير اليه قوله عليه السلام : ما من أحد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحى فأرد عليه السلام » . . كيف علم الشيخ وفقه الله أن هذا السلام ما كان يوما من الأيام الا من داخل المسجد قبل وبعد ادخال الحجرة فيه ؟ . . ومن أين علم فضيلته أن المسلمين منذ الف واربعمائة سنة إلى يومنا هذا نزّلوا هذا الحديث على السلام عند القبر دون غيره ؟ . . وانهم مجمعون على ذلك ولم يخالف منهم أحد ؟ . . وماذا يقول عن الصحابة الذين لم يرد أن أحدا منهم يسلم على النبي عند القبر ما عدا عبد الله بن عمر ؟ .

ثم هل عاش فضيلته الف وأربعمائة سنة حتى يرى ماذا فعل كل مسلم عاش على وجه الأرض منذ

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا حتى يتسنى له أن يجزم بما جزم به ويدعى ما ادعاه من أمر لا يدرك الا بالحس والمشاهدة ؟ . .

إذا كان هذا مستحيلا فتحقيق ما ادعاه الشيخ مستحيل أيضا ، فلو أن فضيلته قرر ذلك حكما شرعيا لكانت المشكلة أخف سواء أصاب أو أخطأ لأن الحكم الشرعى يدرك بالاجتهاد في نصوص الشرع والمجتهد يصيب أحيانا ويخطىء احيانا أخرى ، ولكن ما قرره فضيلته دعوى علم بما جرى عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرنا من الزمان،فيا عجب العجاب،وان كان الشيخ وفقه الله بنى حكمه هذا على أساس اعتقادى بأن هذا هو الحق في هذه المسألة شرعا ، فأننا نقول له : حتى ولو استطعت أن تثبت أن هذا هو الحق شرعا فإنك لا تستطيع أن تثبت أن الناس جميعا التزموا به وحافظوا عليه ، فهناك فرائض الاسلام وأركانه ولوازم التوحيد ومقتضياته قد أخل الناس بها ولم يحافظ عليها ويؤديها وفق ما جاء به الرسول عليه السلام الا بعض المسلمين وهى أمور ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع اجمالا وتفصيلا فما بالك بهذه المسألة التى وقع الخلاف في أصلها وفروعها ووقع قوم منها في مهالك منذ اختلط على الكثير من المسلمين الصواب بالخطأ والحق بالباطل والهدى بالضلال ، علما بأن التخرص والتخمين وقياس الماضى بالحاضر والاعتبار بواقع الناس في عصر من العصور ما كانت هذه الأمور يوما من الأيام مصادر علم تقام على اساسها الأحكام خاصة امور الدين التى لا مصدر لها سوى الوحى السماوى والتنزيل الرباني والتشريع الالهى ، ولو كان الظن والتخرص مصدر علم يوصل الى حقائق الأمور لصار العلم من اسهل الأشياء تحصلا ولاستطاع أجهل الناس أن يكون أعلمهم بدون أن يتحمل اية متاعب .

المسألة الثانية

قال الشيخ عطية ص ٥٧٧ : ولنتصور حقيقة هذه المسألة ينبغى أن نعلم أولا أن البحث فيها له ثلاث حالات :

الأولى : شد الرحال الى المسجد النبوى للزيارة ، وهذا مجمع عايه .

الثانية : زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم من قريب والسلام عليه بدون شد الرحال وهذه أيضا مجمع عليها

الثالثة : شد الرحال للزيارة فقط ، وهذه الحال هى محل البحث ومثار النقاش السابق .

مناقشة

ونحن نناقش فضيلة الشيخ هنا في فقرة واحدة من هذا الكلام الذى نقلناه هنا من كتابه وهى دعواه بأن ما عبر عنه هو (بالحالة الثانية) مجمع عليه ، فنسأل فضيلته متى انعقد هذا الاجماع ؟ . . ومن هم الذين أجمعوا على ذلك ؟ . . وما دليلك على حصول هذا الإجماع ؟ . .

وهل انعقد هذا الاجماع زمن الصحابة ؟ . . أم زمن التابعين ؟ . . أم متى كان ذلك ؟ . . ومن الذين اجمعوا على هذا الأمر ؟ . . هل هم أهل الاجتهاد من أمة محمد عليه السلام أم غيرهم ؟ . . ومن نقل اجماعهم ؟ . . هل علم بهذا الاجماع الامام مالك – رحمه الله – مع ذلك يكره أن يقول الانسان : زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ . . وهل علم به على بن الحسين والحسن بن الحسن إماما أهل البيت النبوى في زمانهما ؟ . . ومع ذلك ينهيان عن التردد على القبر الشريف . . وهل علم بهذا الاجماع قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وهو احد أئمة التابعين وأحد قضاة المدينة وأحد فقهائها وسكانها وكذلك من ذكروا قبله نشأوا في بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشوا وتلقوا العلم فيها بجوار قبره الشريف وشاهدوا بأعينهم عمل الأئمة من التابعين وتابعيهم ممن يقيمون بالمدينة ومن الوافدين اليها من أقطار الأرض – وماذا كانوا يعملون

فعلى كل حال هم اعلم ممن يدعى الاجماع في هذه المسألة من غير ان يقدم دليلا يثبت صحة دعواه .

فأما ان يقول الشيخ ان الاجماع انعقد قبل هؤلاء وهم خالفوه ، واما ان يقول انعقد الاجماع في زمنهم ولا عبرة بخلافهم ، واما ان يقول ان الاجماع انعقد بعدهم .

فالأولى في غاية البشاعة ، والثانية مثلها ، والثالثة يحتاج لاثباتها الى دليل مقبول عند من يخالفه في هذه الدعوى ، ولا أظنه يثبت وجود اجماع بعد خلاف ، اذ ان الناس كلما كثروا وكلما طال الأمد بينهم وبين عصر النبوة كثر خلافهم وتشعبت آراؤهم وكثرت اهواؤهم فكيف يتصور أن يتفقوا بعدما اختلف من قبلهم في حكم من الأحكام أو مسألة من المسائل ؟ . .

من أجل ذلك نكرر الرجاء الى فضيلته ليدلنا على المصدر الذى استفاد منه فضيلته خبر هذا الاجماع الذى خفى على جهابذة العلماء قديما وحديثا ، ولكننا نشترط مسبقا بأننا سوف لا نكتفى بأن يقول لنا فضيلته ذكر هذا الاجماع فلان أو علان في كتاب كذا، حتى نعلم المصدر الاساسى الذى اعتمد عليه فلان أو علان فيما نقل من هذا الاجماع ، لان مجرد كلام مدون في كتاب لأحد العلماء يدعى مؤلفه أن الاجماع قد انعقد على كذا وكذا دون أن يبين مستنده لا يكفى لأثبات وقبول ما ادعاه ، وما الفرق بين نسبة الاجماع الى الأمة وبين نسبة الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم ، الم تر ان الحديث المنسوب اليه صلى الله عليه وسلم لا يقبل ولا يعتبر حديثا لمجرد وجوده في كتاب من الكتب مهما علت منزلة صاحب ذلك الكتاب رتبة في العلم والتقوى حتى يقدم السند الذى عنه تلقى ذلك الحديث فينظر أهل العلم وطلاب الحق في هذا السند ، هل هو ممن يقبل خبره أم ليس كذلك ؟ . . أليس مما يؤخذ على طالب العلم أن يتكلم في موعظة أو خطبة أو كتاب فينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا أو اكثر وهو غير متأكد من صحته سندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . .

اذاً ما بال الاجماع أمره خفيف عند بعض المشائخ فيسهل عليه أن يقول : هذا مجمع عليه ، أو ثبت

ذلك بالاجماع دون أن يكون هناك مستند مقبول عند التحقيق لهذا الأجماع المزعوم ؟ . . ولو ان فضيلة الشيخ وفقنا الله واياه سلك الطريق الذى سلكه بعض العلماء وهو قول أحدهم عندما يتعرض للكلام على مسألة لا يعلم فيها خلافا لأحد فيقول : « حكم هذه المسألة كذا من غير خلاف نعلمه » فيقيد ذلك بعدم علمه لكان خيرا له وصدق الامام احمد رحمه الله اذ يقول : « من ادعى الاجماع فقد كذب ، وما يدريه لعل الناس اختلفوا » .

ثم ان فضيلة الشيخ هداه الله لم يوضح لنا على أى شيء انعقد هذا الاجماع من الاحكام الثلاثة اذ انه اكتفى بقوله : « وهذا ايضا مجمع عليه » والاشارة هنا تعود الى الحالة الثانية — حسب تعبيره — التى شرحها فضيلته بأنها « زيارة الرسول والسلام عليه بدون شد رحال » فقرر أن هذه الزيارة مجمع عليها ، ولكن أعلى أنها واجبة أو مستحبة أو مباحة ؟ . .

لا ندرى ، فأى فائدة من ذكر هذا الاجماع الذى لم يبين على أى شيء انعقد ؟ . .

ثم نسأل الشيخ هل ورد على لسان المشرع صلى الله عليه وسلم كلمة زيارة فلان — من الموتى . . ؟ . . الذى اعتقد ان الجواب بالنفى ، اذ ان الذى ورد على لسانه عليه السلام . . زيارة القبور أو المقابر أو القبر فقط ، كقوله — صلى الله عليه وسلم — كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة — وقوله : لعن الله زوارات القبور ، وقوله : استأذنت ربى في زيارة قبر أمي ، وهكذا — فالتعبير بزيارة فلان الميت تعبير عامى غرغائي بدعي لا يليق بطلبة العلم ، فليتنبه لذلك من يحب الاتباع ويكره ما سواه .



المسألة الثالثة

وقال فضيلة الشيخ حفظه الله ص ٥٧٧ : الثالثة : شد الرحال للزيارة فقط ، وهذه الحالة الثالثة هى محل البحث عندهم ومثار النقاش السابق ، قال ابن حجر في فتح البارى على حديث شد الرحال : قال الكرماني : وقد وقع في هذه المسألة في عصرنا في البلاد الشامية مناظرات كثيرة وصنفت فيها مسائل من الطرفين .

قلت : إن ابن حجر : يشير بذلك الى ما رد به الشيخ تقى الدين السبكي وغيره على الشيخ تقى الدين ابن تيمية، وما انتصر به الحافظ شمس الدين بن عبد الهادى وغيره لابن تيمية وهى مشهورة في بلادنا ، وهذا يعطينا مدى الخلاف فيها وتاريخه .

وقد اشار ابن حجر الى مجمل القول فيها بقوله : ان الجمهور اجازوا بالاجماع شد الرحال لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، وان حديث « لا تشد الرحال » انما يقصد به خصوص الصلاة . . الخ » .

مناقشة

ومناقشتنا للشيخ هنا حول قول فضيلته : « وهذا يعطينا مدى الخلاف فيها وتاريخه » اذ ان عبارته تلك تفيد انه يرى ان مبدأ الخلاف في هذه المسألة كان على يد ابن تيمية ، وكذلك ما نقله عن ابن حجر من قوله : ان الجمهور أجازوا بالاجماع . . الخ » . لهذا نسأل فضيلته فنقول : اذا كان مبدأ الخلاف في مسألة شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم على يد ابن تيمية ومن في زمنه ، ومعلوم ان ابن تيمية عاش — رحمه الله — بين القرن السابع والثامن ، فماذا كان عليه علماء الأمة الاسلامية قبل وجود ابن تيمية بخصوص هذه المسألة ؟ . . هل كانوا مجمعين على مشروعية شد الرحال لزيارة القبر الشريف — أو لزيارة النبي صلى الله علبه وسلم — كما هو تعبير فضيلته . . وهل اجماعهم على ان هذا العمل واجب أو على انه مستحب أو على انه مباح ؟ . ان كان الأمر كذلك الا يكون ابن تيمية خارجا على اجماع الأمة هو ومن وافقه ؟ .

ام انهم مجمعون على المنع فيكون السبكى ومن وافقه خارجين على الاجماع فيستحقون ما يستحقه من خرق الاجماع وخرج عليه ؟ . . لا ندرى أى ذلك يكون الجواب عليه بنعم ، فأى من هذه الأسئلة اجاب عليه فضيلته بنعم فهى ورطة لا يستطيع التخلص منها .

إن الخلاف قائم في هذه المسألة منذ تكلم فيها وان الكلام فيها والخلاف حولها حادث بعد القرون الثلاثة من هذه الأمة ، اما زمن القرون الثلاثة فلم يوجد أحد يقول بجواز شد الرحال لريارة قبر من القبور فضلا عن الوجوب أو الاستحباب .

والذى اعتقده ان فضيلة الشيخ لا ينسب ولا يرضى ان ينسب الى مثل شيخ الإسلام ابن تيمية انه يخرج على اجماع الأمة ويضرب به عرض الحائط ويأتي بمذهب يخالفه .

وانا اعجب كثيرا كيف فهم فضيلة الشيخ من عبارة ابن حجر وما نقله ابن حجر عن الكرماني كيف فهم من ذلك ان مبدأ الخلاف في هذه المسألة كان على يد ابن تيمية ؟ . . اما انا فأقول : هذا الفهم لا وجه له ولا مأخذ من كلام الرجلين وانما ذكرا امرا وقع في ذلك الزمان دون أن يقولا فيه انه مبدأ الخلاف في تلك القضية ، وكيف يزعمان ما فهمه فضيلة الشيخ مع ان الخلاف فيها قد نشأ منذ وجد من يقول بجواز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وممن نُقل عنه هذا القول الغزالى ومن لف لفهُ من المبتدعة ، وممن نُقل عنهم القول بالمنع قبل ابن تيمية بمئات من السنين القاضي عياض ، والقاضى حسين ، واسحاق ابن اسماعيل ، وابو محمد الجوينى وغيرهم كما سيأتي ان شاء الله ، فهل خفى ذلك على الكرماني وابن حجر ؟ . . انا أقول : ليس في كلامهما ما يدل على ان ذلك خفى عليهما ولكنه خفى على فضيلة الشيخ فليراجع مكتبته من الان ان احب ان يقف على الحقيقة ، علما بأن الثلاثة المذكورين أعلاه كلهم من المالكية وما ذهبوا اليه هو مذهب مالك نفسه في هذه المسألة .

ثم قال فضيلة الشيخ نقلا عن ابن حجر : ان الجمهور أجازوا بالاجماع شد الرحال . . الخ . . فنسأل فضيلته : هل هذا التعبير صحيح ؟ . . هل هناك اجماع للجمهور واجماع للأمة كلها ؟ . . وهل الجمهور عدد محدود معين حتى نعلم انهم اتفقوا ، فنقول اجمع الجمهور ؟ . . وهل مذهب الجمهور يسمى اجماعا ؟ . أليس اذ قيل يرى الجمهور ، فمعنى هذا ان هناك من يخالفهم ممن يعتد برأيه ويحسب لمذهبه ؟ . . وهل خطأ الأول يسوغ الخطأ للثاني ؟ . . اليس على كل واحد من العلماء ان يحرص على ان لا يقع فيما وقع فيه غيره من الأخطاء ؟ . .

الصحيح في نظرنا ان هذا التعبير خطأ وان الاجماع ما اتفق عليه المجتهدون من علماء هذه الأمة قاطبة في عصر من العصور دون ان يخالف واحد منهم ، وبدون ذلك لا ترد كلمة اجماع ، وانما يقال : يرى الجمهور كذا ، أو ذهب الجمهور الى كذا .

ثم من هؤلاء المعبر عنهم بالجمهور الذين يرون جوار شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . . هل هم جمهورالصحابة ؟ . . ام جمهور التابعين ؟ . . أو تابعيهم ؟ . . أو الأئمة الاربعة ومن في عصرهم ؟ . . أو جمهور علماء القرن الثالث ؟ . .

لا ندرى أى جمهور هذا غير اننا لا نستبعد ان يكون المراد هنا جمهور العامة في القرن الرابع وما بعده بما فيهم بعض المبتدعة من العلماء أو المنسوبين للعلم ان كان أولئك هم الجمهور المراد في هذا الموضوع فالنقل صحيح ، اما ان كان المراد به جمهور العلماء من أهل القرن الأول أو الثاني أو الثالث أو الملتزمين بالسنة من العلماء الى يومنا هذا فالنقل غلط والدعوى مردودة ، بل الصحيح العكس على طول الخط ، ففى القرون الثلاثة لم يوجد من يقول بجواز شد الرحال لزيارة القبور من العلماء المعتبرين ، وبعد الثلاثة وجد من يرى ذلك ولكن ممن شاركوا في الابتداع في الدين ومن لا يتقيدون بالنصوص الشرعية ولا يميزون بين الحديث الصحيح من غيره امثال ابي حامد الغزالي ، ومع الأيام استقرت هذه البدعة — بل المعصية حتى صارت عند كثير من المنتسبين للعلم أمرا واقعا لا يجوز الجدال فيه ، بل يساء الظن بمن ينكره أو يتردد في الجزم بمشروعيته فاولوا الاحاديث الواردة في النهى منه وما اثر عن الأئمة من انكاره كلما احتج عليهم المتمسكون بالسنة بحديث أو قول امام ، كقولهم ان مالك كره اللفظ فقط والا فزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام من أفضل الأعمال واجل القربات الموصلة الى ذى الجلال ، دون أن يقدموا أدنى دليل من السنة على صحة ما زعموا .

ثم نوجه هذا السؤال الى فضيلة الشيخ فنقول : حسب علمنا لا يجوز ان يعتبر الجمهور بكثرة العدد في الشئون العلمية والمذاهب الفقهية والعقيدة الابراهيمية المحمدية ، وانما ينبغى ان ينظر الى الكيف أولا ، وبعد ان نميز العلماء على الحقيقة لا على الادعاء والالقاب ننظر بعد ذلك الى مذاهبهم في مسألة ما ، فاذا

وجدنا كثرتهم ذهبوا مذهبا وقليلاً منهم ذهب مذهبا آخر قلنا من مذهب الكثرة انه مذهب الجمهور ، أى جمهور العلماء الذين يستحقون ان يوصفوا بالعلم ، اما مجرد الكثرة فتسميتهم بالجمهور فيه شيء من المغالطة والتغرير بالناس ، أرأيت في زمن الامام أحمد لما تبنى المأمون فكرة القول بخلق القرآن وسقط في تلك الفتنة آلاف العلماء بين مقتنع ومداهن ، ، ووقف بالمقابل عدد قليل من العلماء قد لا يبلغ عددهم أصابع اليد على رأسهم امام أهل السنة أحمد بن حنبل ، أيجوز ان يقال عن مذهب المأمون وشلته مذهب الجمهور ، ومذهب هؤلاء القلة مذهب شاذ مخالف لجمهور المسلمين ؟ . .

وواقع الأمر في مسألتنا هذه هو انه عبر بكلمة (الجمهور) عمن هب ودب من عالم مبتدع وجاهل متعلم ، وصار مذهبُ فطاحل العلماء وأئمةُ الهدى أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية مذهبا شاذا مخالفا للجمهور .

وصدق من قال : « لا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ولا تزهد بالحق لقلة السالكين » .

« ابن تيمية في زمنه هو الجمهور حتى ولو كان وحده خاصة في موضوعات العقيدة » . .

ونقول لفضيلة الشيخ نحن نعتقد ان ابن تيمية ومن وافقه في زمنه هو الجمهور ، خصوصا في أمور العقيدة لالتزامهم بالسنة الصحيحة مهما كلفهم الأمر ، ومن خالفه فهو صاحب المذهب الشاذ وحتى ولو وافقه أكثر الناس ، لأن الحق بالبرهان والدليل لا بكثرة الآخذين به وقلة المتنكرين له .

وبرهاناً على ماقلنا بالنسبة لابن تيميه أن من قرأ كتبه وتتبع فتاواه وبحوثه ورسائله — وهو من أهل البصيرة في الدين — يجد أنه على مذهب السلف الصالح والرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة ومن على شاكلتهم من معاصريهم ، فهو دائماً يدعو مخالفيه إلى الكتاب والسنة ، فيقول لهم بيني وبينكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فما أثبتا فهو الثابت وما بطلا فهو الباطل ، ويقول لهم : إذا اختلفنا في فهم آية أو حديث رجعنا إلى فهوم الصحابة والتابعين والأئمة المهديين من بعدهم فننظر بماذا فسروا تلك الآية أو ذلك الحديث فهم أعلم منا وأفْقَهُ للغة والشرع .

فمن كان هذا مذهبه وهذه طريقته فهو ومن وافقه هم الجمهور مهما قلو وكثر مخالفوهم لأن من تبع جمهور السلف من الخلف فمذهبه مذهب الجمهور ، ومن خالف جمهور السلف من الخلف فمذهبه خلاف مذهب الجمهور ، بل مذهب شاذ ليس حرياً بالصواب .

والخلاصة :

أن من كان مع الدليل فهو على الصواب ولو كان واحداً بين جميع أهل الأرض ، ومن قال أو عمل بغير دليل فهو بعيد عن الصواب ولو أنهم أهل الأرض جميعاً .

* * *

وبصرف النظر عن كل ماتقدم وعن كل من تقدم قبل زمن ابن ثيمية وعن كل ما هو الواقع عند التحقيق في هذه المسألة ، هل يصح ماقيل من أن مذهب جمهور العلماء في هذه المسألة جواز شد الرحال لزيارة القبر الشريف — وأعني بذلك زمن ابن تيمية دون غيره من الأزمنة — الصحيح أن الواقع بالعكس وهو أن مذهب جمهور العلماء في ذلك الزمان هو ماذهب إليه شيخ الإسلام ، وهو طاعة الله ورسوله بالتزام مقتضى حديث « لا تشد الرحال . . . الخ » .

وقد ذكرنا فيما سبق أن مسألة شد الرحال لزيارة القبر سواء قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره لم يتكلم فيها أحد من أهل العلم ، ولم تخطر على بال أحد منهم في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام عملا منهم بحديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » ولذلك لما سئل الإمام مالك عمن نذر السفر لزيارة القبر الشريف نهى عن الوفاء بهذا النذر قائلا : إن كان مراده المسجد فليأت المسجد وليصل فيه ، وإن كان مراده القبر فلا يأته لحديث « لاتعمل المطى » أنظر الرد على الأخنائي ص ٣٥ قال شيخ الإسلام : — يعني الإمام مالك — : ومذهبه المعروف في جميع كتب أصحابه الكبار والصغار المدونة لابن قاسم ، والتفريغ لابن الجلاب أنه من نذر إتيان المدينة النبوية إن كان أراد الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفّى بنذره وإن كان أراد غير ذلك لم يوف بنذره .

قلت ومعلوم أن النذر إذا كان فيه طاعة الله وجب الوفاء به ، وإذا كان فيه معصية حرم الوفاء به وإذا كان في أمر مباح فلا يلزم الوفاء به ، وإذا وفى به فإنه لا يستفيد شيئاً عند الله ، ولهذا لما كان مالك رحمه الله يرى أن شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم داخل في النهي الذي تضمنه حديث لا تشد الرحال نهى عن الوفاء بنذر من نذر السفر لهذه الزيارة واستدل لذلك بالحديث نفسه .

أما الذي حصل فيه الخلاف بين أئمة السلف حول موضوع الزيارة فهو مسألة الفرق بين القريب والبعيد بالنسبة للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم — إذ قد رأى بعضهم إن السلام عليه من قريب يحصل به الرد منه عليه السلام دون السلام عليه من بعيد ، لأن هذا البعض أوّل حديث « مامن أحد يسلم عليّ . . الخ» على أنه خاص بمن سلم من قريب ، وكذلك استأنسوا بفعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نُقل ذلك عن الإمام أحمد وابن حَبيب .

كما ذهب البعض الآخر إلى عدم الفرق بين القريب والبعيد كما تقدم ، ومعلوم أن هذا لا يدخل في مسألة شد الرحال .

وتقدم أن ذكّرنا عدداً من علماء الأمة الإسلامية قبل زمن ابن تيمية يحرمون شد الرحال لزيارة أي قبر من القبور ويستدلون بحديث « لا تشد الرحال » منهم القاضي عياض ، والقاضي حسين ، وأبو محمد الجويني ، واسماعيل بن اسحاق وهو مذهب الإمام مالك رحمه الله — كما تقدم ، بل ورد عنه قوله لما

سئل عن نذر السفر لزيارة القبر الشريف : لا وفاء لنذر المعصية وهذا معصية لأن الحديث يقول . . .
. . . وذكـــره .

ونعود الآن إلى الموضوع الذي بدأنا الكلام فيه وهو إثبات كون مذهب ابن تيمية في هذه المسألة هو مذهب جمهور علماء زمانه فنقول :

أنه لما حصلت المناظرة بين ابن تيمية وبعض القضاة الرسميين في مسألة شد الرحال واختلف بعضهم معه فيها أثاروا الحكومة ضده ، وأغروها به فسجن ظلماً بسببهم ، — ودائماً العاجز عن إقامة الحجة يلجأ إلى قوة الحاكم فيوهمه أن خصمه مجرم ينبغي التنكيل به وإهانته وإرغامه على الرجوع عن رأيه بالقوة — فلما سُجِن هبَّ العلماء من أقطار البلاد الإسلامية يطالبون الحكومة بالإفراج عنه معلنين أمامها أن ماذهب إليه هذا الرجل هو الحق والصواب وهو الذي عليه أئمة الإسلام قديماً وحديثاً .

أنظر لذلك مادونه الإمام الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه « العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » وأنظر هناك كم كتاباً نقله عن علماء بغداد وحدها لتعرف صحة ماقررنا .

ملخصات لبعض خطاباتهم

وأنا أورد هنا مقتطفات مما تضمنته خطاباتهم :

قال ابن عبد الهادي ص ٣٤٢ من الكتاب المشار إليه : العنوان — انتصار علماء بغداد للشيخ في مسألة شد الرحال للقبور ثم قال : وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد فقاموا في الانتصار له وكتبوا بموافقته ورأيت خطوطهم بذلك وهذه صورة لما كتبوا :

ملخص الخطاب الأول

و لا ريب أن المملوك وقف على ماسئل عنه الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وما أجاب به فوجدته خلاصة ماقاله العلماء في هذا الباب حسب ما اقتضاه الحال من نقله الصحيح وما أدى إليه البحث من الإلزام والإلتزام لا يداخله تحامل ولا يعتريه تجاهل وليس فيه — والعياذ بالله — ما يقتضي الازراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهل يجوز أن يتصور متصور أن زيارة قبره تزيد في قدره ؟ . . وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟ حاشا للرسول من ذلك . .

إلى أن قال :

مع أن المفهوم من كلام العلماء وأنظار العقلاء أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجردها ، حتى لو حلف أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها — يعني القيام بزيارة القبر الشريف ما اعتبر باراً بيمينه .

لكن القاضي ابن كج من متأخري أصحابنا ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها .

وهو منفرد به لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح ، والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله — عليه السلام — « لا تشد الرحال — إلى آخره » أنه لا يجوز شد الرحال إلى غير ماذكر ، فإن فعله كان مخالفاً لصريح النهي ، ومخالفة النهي معصية إما كفر أو غيره على قدر المنهى عنه ووجوبه وتحريمه « وصفة النهي والزيارة أخص من وجه فالزيارة بغير شـد الرحال غير منهي عنها ومع الشد منهي عنها حرره ابن الكتبي الشافعي . .

ملخص كتاب آخر

ما أجاب به الشيخ الأجل الأوحد ، بقية السلف وقدوة الخلف رئيس المحققين وخلاصة المدققين تقي الملة والحق والدين من الخلاف في هذه المسألة صحيح فنقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم ، لا إعتراض عليه في ذلك ، إذ ليس فيه ثلب للرسول — صلى الله عليه وسلم — ولا غض من قدره — عليه السلام — وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور ، وهذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى في إكماله — وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا .

ثم قال : ومن المدونة : ومن قال : عليّ المشي إلى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما فليأتهما ، فلم يجعل نذر زيارة قبره — صلى الله عليه وسلم — طاعة يجب الوفاء بها ، إذ من أصلنا أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها وكان من جنسها ما هو واجب بالشرع ، كما هو مذهب أبي حنيفة ، أو لم يكن قال القاضي أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق عقيب هذه المسألة : لولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما ، ثم ذكر أن ذلك في كتب المالكية كالتقريب للقبرواني والتنبيه لابن سيرين ، — كتبه محمد ابن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية — . بالمدرسة الشريفة المستنصرية .

ملخص كتاب ثالث

بعد البسملة والحمد له والصلاة والتسليم على خير البرية وآله وصحابته قال : ماذكره مولانا الإمام العالم العامل جامع الفضائل بحر العلوم ومنشأ الفضل جمال الدين جمل الله به الإسلام وأسبغ عليه سوابغ الأنعام أتي فيه بالحق الجلي الواضح وعرض فيه عن اغضاء المشائخ إذ السؤال والجواب اللذان تقدماه لا يخفي على ذي فطنة وعقل أنه أتي في ذا الجواب المطابق للسؤال بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك إلا أن يعترضه معترض في نقله فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم ، والمعترض له بالتشنيع إما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل يحمله حسده وحمية الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول أعاذنا الله من غوائل الحسد وعصمنا من مخائل النكد — كتبه الفقير إلى رضوان ربه : عبد المؤمن ابن عبد الحق الخطيب .

هذه ثلاثة خطابات من مجموع عدد كبير من الخطابات الموجهة من علماء بغداد إلى حكومة الشام للدفاع عن ابن تيمية ومذهبه في مسألة شد الرحال والشهادة منهم بأن مذهبه فيها هو الحق المتمشي مع الحديث الصحيح وأنه مذهب جماهير علماء الأمة وان من خالفه فلا حجة معه ولا بينه لدعواه .

وأنا أحيل على كتاب العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي من أراد مزيداً من الإطلاع والتأكد بالنسبة لما لخصت من خطابات هؤلاء العلماء وبالنسبة لما تركت تجنباً للإطالة فإنه سيقول معي إن الجمهور المزعوم يافضيلة الشيخ إنما يوجد في الخيال فقط ، أما في عالم الحقيقة فلم يوقف له على أثر ولم يعثر له على خبر ، هذا الجمهور الذي يضرب بالحديث الصحيح عرض الحائط أو يؤوله حسب مزاجه وعاطفته ليشرع للناس مالم يأذن به الله ولم يكن من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العلامة السهسواني والشيخ دحلان

وإلى فضيلة الشيخ خاصة وطلبة العلم عامة أنقل ما سطره العلامة محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » قال رحمه الله – وهو ينكر أن يكون ثبت عن أحد من السلف عمل الزيارة مطلقاً حتى ولو بدون شد رحال .

قال : وكذلك دعواه إجماع السلف والخلف على قوله – يعني قول دحلان – فإن أراد بالسلف المهاجرين والأنصار والذين تبعوهم بإحسان فلا يخفى أن دعوى إجماعهم مجاهرة بالكذب ، وقد ذكرنا غير مرة فيما تقدم أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة شيء في هذا ، إلا عن عبد الله بن عمر وحده ، فإنه ثبت عنه إتيان القبر للسلام عند القدوم من سفر ، ولم يصح هذا عن أحد غيره ولم يوافقه أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – لا من الخلفاء الراشدين ولا من غيرهم وقد ذكر عبد الرازق في مصنفه عن معمر عن عبيد الله بن عمر أنه قال : ما نعلم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك إلا عبدالله ، ثم قال رحمه الله – وكيف ينسب مالك إلى مخالفة إجماع السلف والخلف في هذه المسألة ، وهو أعلم أهل زمانه بعمل أهل المدينة قديماً وحديثاً ، وهو يشاهد التابعين الذين شاهدوا الصحابة وهم جيرة المسجد واتبع الناس للصحابة، ثم يمنع الناذر من إتيان القبر ويخالف إجماع الأمة ؟ هذا لا يظنه إلا جاهل كاذب على الصحابة وأهل الإجماع .

ثم قال : وقد نهى على بن الحسين زين العابدين – الذي هو أفضل أهل بيته وأعلمهم في وقته – ذلك الرجل الذي كان يجيء إلى فرجة كانت عند القبر فيدخل فيها فيدعو ، واحتج عليه بما سمعه من أبيه عن جده علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم » وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن بن علي شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد ، ورأى أن ذلك من إتخاذه عيداً ، وقال للرجل الذي رآه عند القبر : مالي رأيتك عند القبر ؟ . . فقال : سلمت على النبي –

صلى الله عليه وسلم — فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، ثم قال : ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء .

ثم قال : العلامة السهسواني — رحمه الله : كذلك سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد الأئمة الأعلام وقاضي المدينة في عصرالتابعين ذكر عنه ابنه ابراهيم أنه كان لا يأتي القبر قط وكان يكره إتيانه .

ثم قال — رحمه الله — : أفيظن بهؤلاء السادة الأعلام أنهم خالفوا الإجماع ، وتركوا تعظيم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتنقصوه — لما لم يروا مشروعية زيارة قبره عاملين بالحديث الثابت عنه عليه السلام ؟ . .

ثم قال : فهذا لعمر الله هو الكلام الذي تقشعر منه الجلود .

ثم قال : وليس مع عباد القبور من الإجماع الى مارأوا عليه العوام والطغام في الاعصار التي قل فيها العلم والدين ، وضعفت فيها السنن . . . الخ ماكتبه — رحمه الله — من كلام صحيح وتحقيق يعجز عن نقضه من ادعى سواه .

قلت : إن هؤلاء العوام والطغام في الإعصار المتأخرة — كما أشار العلامة محمد بشير السهسواني — رحمه الله — هم الجمهور الذي يعنيه من زعم أن جواز شد الرحال لزيارة القبر الشريف هو مذهب الجمهور ، والذي نقله فضيلة الشيخ عطية موافقاً عليه أو مستدلا به (١) .

وأقول مرة أخرى : أليس مذهب ابن تيمية أقرب إلى مذهب خصومه مما نقل عن هؤلاء الأئمة من التابعين وتابعيهم ؟ . . الجواب — بلا — ذلك لأن ابن تيمية لا يمنع زيارة القبر الشريف مطلقاً بل يصرح بأن زيارته بدون شد رحل عمل صالح ، إذا لم يصل الأمر إلى المبالغة والغلو كالإكثار من التردد عليه بحيث يصل ذلك بالإنسان إلى اتخاذه عيداً ، أو يتجاوز ذلك إلى دعائه عليه السلام والاستغاثة به ونحو ذلك من أمور العبادة التي صرفها لغير الله كفر وشرك .

أما هؤلاء الأئمة فكما ترى النقل عنهم يرون عدم مشروعية هذه الزيارة وأنها ليست عملا صالحاً

---

(١) يفهم من كلام الكاتب ومن كلام السهسواني الذى نقل عنه أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم غير مشروعة ، ولم تثبت عن أحد من السلف مطلقاً ، وان مجرد إتيانه يعتبر اتخاذه عيدا .

وهذا خلاف ما يدل عليه عموم قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها فإنها تذكر الآخرة) . وقد خلط الكاتب — عفا الله عنه — بين حكم شد الرحال وبين حكم زيارة القبر نفسه . والفرق واضح بين الحكمين لمن تأمل لأن شد الرحال غير جائز لقصد القبر عند التحقيق ، أما زيارة القبر بدون شد الرحال فمشروعة — والله أعلم . . « المجلة »

وينهون عنها ويستدلون على ذلك بالأحاديث (١) .

فلينظر المنصف وليتأمل طالب الحق ، وليتراجع المندفع على غير هدى وليعلم أن الدين ليس بالعواطف وليس بالتقليد الأعمى ، وأن أي عالم مهما ارتفعت درجته وعلت منزلته لا ينبغي أن يعتبر قوله ومذهبه واختياره أموراً مسلمة غير قابلة للمناقشة والتمحيص .

سؤال موجه يرجى الجواب عليه

وهذا سؤال نوجهه إلى فضيلة أخينا الشيخ نرجوه الجواب عليه وهو :

إذا كان ابن حجر قال : يرى الجمهور بالإجماع جواز شد الرحال . . . الخ ، فبصرف النظر عما تقدم من مناقشتنا لهذه الدعوى أصلا وفروعاً ، نقول الآن : مادام أن القضية قضية جواز — أعني إباحة فقط — فما فائدة هذه الزيارة ؟ . . أتريدون من الإنسان أن يسافر من أقصى الأرض إلى أدناها يجوب المسافات الشاسعة والفيافي البعيدة والقفار الموحشة ، وينفق الأموال ويعرض نفسه للمخاطر ليتوصل إلى أمر مباح غاية مافيه أنه غير محرم ولا مكروه ؟ . .

ياللعجب العجاب — يعني مجرد سياحة لا أقل ولا أكثر — هذا إذا ثبت أن الصحيح هو هذا المذهب المنسوب للجمهور وإلا فما دام أنه مذهب الجمهور — كما زعموا — فمعنى هذا أن هناك مذهباً آخر لغير الجمهور يرى عدم الإباحة ، وهذا المذهب الآخر قد يكون هو الصواب (٢) — إذ أنه لا يلزم أن يكون الحق دائماً مع الجمهور .

المسألة الرابعة

وقال فضيلة الشيخ ص ٥٧٨ : نقلا عن ابن حجر : ومما استدل به على عدم شد الرحال لمجرد الزيارة وما روى عن مالك من كراهية أن يقال : « زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم » وأجيب على ذلك بأن كراهية مالك للفظ فقط تأدبا، لا انه كره الزيارة فإنها من أفضل الأعمال واجل القربات الموصلة الى ذى الجلال وأن مشروعيتها محل اجماع » .

سطر الشيخ هذا الكلام ولم يتعقبه بحرف واحد ، بل ان صنيعه فيما كتبه بعد ذلك يدل على تنبيه لهذا الكلام ورضاه به — فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . .

---

(١) بل الحديث الصحيح وهو (كنت نهيتكم .. الخ) يدل على عكس ما يراه الكاتب وما نقل عنهم وسماهم أئمة ، وقد أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية الحق الذى دل عليه الحديث المذكور . والعجيب من الأمر أن الكاتب نقل كلام شيخ الإسلام في هذا المعنى في نفس هذه الصفحة ، ثم تركه دون تعليق ونقل كلام من تبنى فكرتهم من عدم مشروعية زيارة القبور مطلقاً وأنه عمل غير صالح وحبذه ودعا إليه كما ترى . . « المجلة » .

(٢) بل الصواب هو ما ذكر في التعليق رقم (١) . . « المجلة » .

فتعال معي ايها الأخ المحب للسنة والتحقيق ، والكاره للبدعة والتلفيق . . تعال لترى العجائب :

أولا : المنقول عن مالك هو كراهية الزيارة بدون شد رحال ، بينما الكلام هنا عن مسألة شد الرحال فبماذا نفسر صنيع الحافظ ابن حجر هذا ؟ . . إن ابن حجر كغيره من الناس يخطىء ويصيب .

ثانيا : من الذى اخبر ابن حجر ان كراهية مالك للفظ فقط ؟ . . واذا كانت الزيارة مشروعة ومجمعاً على مشروعيتها كما زعموا كيف يكره الامام مالك التلفظ بذكرها ؟ . . (١) . . هل يكره مالك للرجل أن يقول صليت أو صمت أو تصدقت أو حججت ؟ . . وقوله : كره مالك اللفظ – تأدبا نقول . . ياللعجب العجاب . . تأدبا مع من ؟ . . وعن ماذا ؟ . . أتأدبا مع الشرع بألا يذكر ماشرعه ؟ . . أم تأدبا عن ذكر المشروع فلا يتلفظ به اللسان ؟ . . وهل هذه القاعدة تسرى على جميع العبادات فيتأدب المسلم عن ذكرها ؟ . . أم هى خاصة بهذه العبادة المجمع عليها ؟ (٢) . ثم ما الذى سوغ هذا الانتقال المفاجىء ؟ . . الحديث عن شد الرحال ، وذكر ادلة المخالف تتعلق بمطلق الزيارة ؟ . . يا للاسلام من أهله .

ثم هذا الاجماع المزعوم ، هل انعقد على اساس دليل من الوحى ؟ . . أم بدون ذلك ؟ . . ان كان على اساس دليل فأين ذهب ذلك الدليل ؟ . . ابن حجر محدث كبير واحاطته بالاحاديث لا تكاد توجد عند غيره بعد القرون الثلاثة – هذا مبلغ علمي وقد أكون على خطأ – فلم لم يطلع على الدليل الذى استند اليه هذا الاجماع ؟ . . وان كان قد اطلع فلم لم يذكره ؟ .

أم انه انعقد على غير اساس من الوحى ؟ . . ان كان كذلك فلدينا اسئلة كثيرة منها :

هل يوجد اجماع بدون مستند شرعى ؟ . .

ثانيا : قدمنا من القول ما يثبت ان من أئمة الاسلام من ينهى عن زيارة القبر الشريف ، فأين هم من الاجماع واين الاجماع منهم ؟ . .

ثالثا : على مدعى الاجماع ان يثبته والا فهي دعوى بلا بينة . .

رابعا : اذا كانت هذه المسألة ونعنى الزيارة فقط – محل اجماع – أى مشروعية الزيارة – فأين الصحابة من هذه المشروعية ومن هذه العبادة ؟ . . هل عملوا بها ؟ . . هاتوا برهانكم واثبتوا دعواكم ان كنتم صادقين .

---

(١) الصحيح ما تقدم – ان مالك يكره مطلق الزيارة لا التلفظ بها – أما شد الرحال لها فقد صرح بتحريمه كماتقدم في أكثر من موضع من بحثنا هذا .

المجلة . . (بل الصحيح أن الزيارة مشروعة بدون شد الرحال ولا معنى لكرابتها لفظا ولا معنى – ولا تفهم كراهة مطلق الزيارة من قول الإمام مالك المشار إليه – كيف وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام (ألا فزوروها) في الحديث الذى تقدم ذكره ، في التعليق السابق .

(٢) على حد زعمهم .

ثالثا : قوله : فانها من أفضل الأعمال واجل للقربات الموصلة إلى ذى الجلال .

نقول : هذا الكلام لا يليق بمثل الحافظ ابن حجر ولا بمثل فضيلة اخينا في الله الشيخ عطية .

إن الحافظ ابن حجر وكذلك الشيخ عطية يعلمان ان التشريع من حق الله ورسوله ولا مدخل فيه لأحد من الناس سوى الرسول عليه السلام الذى اخبرنا الله جل وعلا عنه انه لا يأتي بشيء من التشريع من تلقاء نفسه « انه هو الا وحى يوحى » فاذا كان الأمر كذلك فكيف يسوغ للعلماء ان يقولوا عن مسألة لا دليل اطلاقا على مشروعيتها لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الاجماع . . كيف يسوغ لهم ان يدعوا انها من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذى الجلال ؟ . .

والخلاصة نقول : يا من زعمت مشروعية الزيـارة بشد الرحل أو بدون شد الرحل تفضل علينا ببيان دليلك فإننا ومن قبلنا أئمتنا أهل السنة والتوحيد منذ ألف وأربعمائة سنة والبحث جار عن دليل هذه المسألة ولم يعثر عليه ، فيا حبذا ويا عظم فضلكم لو تقدمتم إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالكشف عن هذا الدليل ، والا فارجعوا الى الحق تؤجروا عند الله وتسلموا من تبعة القول على الله ورسوله بلا دليل .

ولكن اعلموا مقدما أننا لا نقبل حديثا ما لم تثبت صحته عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أما أحاديث الوضاعين والدجالين التى كفانا مؤنة ابطالها أهل العلم والدراية فنحن وأنتم متفقون على عدم الالتفات اليها لأنها لا تقوم بها الحجة ولا يجوز الاستدلال بها ونحن نريد دليلا من وحي الرحمن (١) .

ثم التعبير بقولهم : « ومما استدل به على عدم مشروعية شد الرحال « تعبير ركيك ناقص ، اذ انه لا يوجد ولم يوجد من يقول ان شد الرحال – بمجرده – مشروع أو ممنوع ، فالتعبير الصحيح ان يقال : « ومما استدل به على عدم جواز شد الرحال لزيارة القبور . . الخ » وكذلك قولهم عن المانعين انهم استدلوا بما روى عن مالك . . الخ .

الصحيح أن قول مالك وغيره من العلماء لا يستدل به في الإحكام الشرعية وانما يستدل بنصوص الشرع ان وجد شيء منها في الموضوع ، والا نظر هل حصل اجماع من الأمة في حكم المسألة المبحوثة ، فإن لم يوجد رجع الى القياس ان كانت المسألة في غير العقيدة وفي غير العبادات .

اما قول العلماء كل واحد على انفراد فلا ينبغى ان يسمى أو يعتبر دليلا تثبت به الأحكام الشرعية ، وانما يستأنس به فقط ، كما يستفاد منه فهم هذا الامام أو العالم لنص من النصوص أو مذهبه في مسألة من المسائل ، وكذلك يحتج به على من نسب الى هذا العالم خلاف ما ثبت عنه أما اعتبار قول مالك أو غيره

---

(١) أما مشروعية زيارة القبور بما في ذلك قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم – بدون شد الرحال فقد سبق أن ذكرنا في تعليقاتنا السابقة دليلها بالحديث الصحيح (كنت نهيتكم . . . الحديث) كما نوهنا على أن شد الرحال غير جائز لغير المساجد الثلاثة عملا بحديث (لا تشد الرحال . . . الحديث) والذى يلاحظ أن الكاتب يقع أحياناً في الخلط بين الأمرين . « المجلة » .

دليلا من أدلة الاحكام الشرعية دون أن يكون هناك إجماع من علماء الأمة فاصطلاح غير مقبول ، كما انه لا يصدر الا عن انسان مبالغ في تعظيم المذاهب الفقهية ، والآراء البشرية الى حد احلالها محل النصوص الشرعية — عياذا بالله .

المسألة الخامسة

وقال فضيلة الشيخ وفقه الله :

« ولعل مذهب البخارى حسب صنيعه هو مذهب الجمهور ، لانه اتى في نفس الباب بعد حديث شد الرحال مباشرة بحديث « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه » مما يشعر بأنه قصد بيان موجب شد الرحال وهو فضيلة الصلاة — هكذا في كتاب الشيخ — فيكون النهى عن شـد الرحال مختصا بالمساجد ولاجل الصلاة الا في تلك المساجد الثلاثة لاختصاصها بمضاعفة الصلاة فيها دون غيرها من بقية المساجد والأماكن الاخرى ، ثم نقل كلاما لابن حجر مفاده ان النهى منصب على المساجد فقط دون غيرها من الاغراض والبقاع والصلوات » .

وهذا الاستنباط الذى توصل اليه فضيلة الشيخ واستطاع بواسطته ان يكتشف مذهب الامام البخارى في مسألة شد الرحال التى ما حدث الكلام فيها الا بعد وفاة الامام البخارى — رحمه الله — بما لا يقل عن مائتى سنة غير سليم لما يلى :

أولا : في زمن البخارى وقبله لم يوجد من علماء المسلمين من يقول بمشروعية ولا بجواز شد الرحال لزيارة القبور — حتى ننظر مذهب البخارى ، هل هو مع المانعين لشد الرحال إلى القبور أو مع غيرهم والسبب انه حتى ذلك التاريخ لم يحدث في الأمة الاسلامية قبوريون .

ثانيا : عدم صحة قول من زعم أن مذهب الجمهور مشروعية أو جواز شد الرحال لزيارة القبور في يوم من الأيام حتى يومنا هذا ، الا ان يراد بالجمهور طغام العوام ومن على شاكلتهم من العلماء .

ثالثا : البخارى فقيه ملهم ، لذلك لا نستبعد ان يكون الله تعالى قد القى في روع ذلك الفقيه الملهم ان سيحدث بعدك في أمة محمد قبوريون لهم مزاعم فاسدة ومن مزاعمهم ان يدعوا أن الحكمة من استثناء المسجد النبوى من المسجدين الاخرين في حديث النهى عن شد الرحال هى من اجل زيارة القبر النبوى الشريف — كما زعم ذلك محمد أبو زهرة في كتابه « ابن تيمية » وما أظنه أول من قال بذلك ولا آخر من يقول به .

فالقى الله في روع ذلك الامام بأن يتقدم بالرد عليهم قبل وجودهم بما يقارب مائتى سنة فيقول : ان المساجد الثلاثة استثنيت في حديث لا تشد الرحال لما تميزت به من فضل على جميع بقاع الأرض ترتب عليه مضاعفة ثواب الصلاة فيها .

هذا هو السبب الذى من أجله اورد البخارى حديث فضل المساجد الثلاثة بعد حديث « لاتشد الرحال إلى ثلاثة مساجد) أى انه اراد ان يبين حكمة الاستثناء وموجبه وانها لولا ذلك لكانت كغيرها من المساجد والبقاع لا تشد لها الرحال .

فالقضية في نظر البخارى وامثاله قضية مساجد وصلوات ، لا قضية أضرحة ومزارات .

وبعد أن كتب فضيلة الشيخ ما تفلسف به حول صنيع البخارى الذى فرغنا الآن من الكلام حوله ، نقل كلاما لابن حجر مفاده ان النهى الذى تضمنه حديث (لا تشد الرحال) خاص بالمساجد والصلوات ، دون غيرها من البقاع والاغراض والعبادات ، ونحن هنا نناقش فضيلته فيما هو من ابتكاره وفيما نقله عن غيره فنبين بحول الله وتوفيقه انها مزاعم مجردة عما يسندها ويشد عضدها من لغة أو شرع فنقول : انتم معترفون بأن حديث « لا تشد الرحال » يشمل المساجد شمولا أوليا مباشراً سوى المساجد الثلاثة المستثناه بل تحاولون أن تجعلوه خاصا بها مقصورا عليها ، فهل ترون ان الأضرحة افضل عند الله من المساجد ؟ . . اليس الحديث الآخر قد نص على ان المساجد هى أحب البقاع إلى الله ؟ . . وفي القرآن الكريم « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » . . وفيه قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » . .

فكيف ساغ لكم ولمن قلدتموهم ان تقولوا : الممنوع زيارة المساجد ، دون زيارة المشاهد ؟ ! ! .

بامكانكم ان تقولوا : لان المساجد يعوض بعضها عن بعض فلا فرق بين مسجد واخر عدا المساجد الثلاثة ، اما القبور خاصة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فلا يعوض بعضها على بعض كما ان المساجد ايضا لا تعوض عنها لانها ليست من جنسها .

وجوابنا على ذلك أن نقول : ــ

ان الله تعالى جعل المساجد اماكن للعبادة فيتوجه المسلم الى اى مسجد ليؤدى فيه عبادته لربه كما أمره سبحانه وتعالى ، فكان من السائغ عقلا ان يكون السفر اليها فضيلة محمودة لمــــن يريد أن يجعل لعدد كبير من بيوت الله نصيبا من عبادته ــ تلك البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه تبارك وتعالى ، وقد قرر الفقهاء ان المسجد الأقدم والأكثر جماعة والابعد من منزل الإنسان أفضل من عكسه ، وهذا مسجد قباء قد ثبت فضله شرعا ومع ذلك لم يستثن مع المساجد المستثناه ، أما القبور فلم يجعلها الله ورسوله اماكن للعبادة بل على العكس فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المقابر ، وجعلها من المواضع التى لا تصح الصلاة فيها ، ولعن اليهود والنصارى لاتخاذهم المساجد على القبور محذرا أمته من أن تحذوا حذوهم مكررا ومؤيدا حتى آخر لحظة من حياته الشريفة ، ولكنه مع هذا قد اخبر عليه السلام إن امته ستحذو حذو اليهود والنصارى وتتبع سننهم رغم تحذيره ومبالغته في النصح والتنبيه ، ومن ابرز سننهم التى حذر الرسول امته من اتباعها وقد اتبعوها اتخاذ القبور مساجد وهذه مبدؤها الغلو في القبور واتخاذها أعيادا بكثرة التردد عليها ، ثم التعلق بأهلها وتوجه القلوب اليهم ثم دعاؤهم من دون الله ، ثم ، ثم ، ثم ، ثم . . الخ .

ثم نقول : ان المساجد كما يصدق عليها انها مساجد كذلك يصدق عليها انها بقاع وانها اماكن ، والحديث لم يذكر فيه المستثنى منه ، فهو مبهم ، والمبهم ينبغي ان يقدر بأعم مدلولاته ما لم يرد دليل آخر يفسره لأن الإقتصار على بعض المدلولات دون بعضها الآخر تحكم واتباع للهوى ، فما دام أن المستثنى منه حديثنا هذا يجوز أن يكون المساجد فقط ويجوز أن يكون البقاع والأماكن جميعاً والشارع لم يخصص ، فيجب علينا والحالة هذه أن نعتبر الأعم الأشمل ونجرى الحديث على ظاهره ولا يكون لنا تدخل في نصوص الشرع بمجرد أهوائنا ، لأن أحداً منا لو سئل فقيل له : لم قصرت هذا العام على بعض أفراده بلا دليل ؟ . . فإنه لا جواب لديه يخرج به من طائلة العتاب ، أما لو سئل فقيل له : لم جعلت هذا العام على عمومه ؟ . . لقال : لأنه لم يبلغني دليل على التخصيص ، ومن ثم لا يتوجه إليه عتاب .

إذا فالتوجيه للحديث كما يلي :

لا تشد الرحال لمكان في الأرض أو بقعة من البقاع طاعة لله أو لأداء عبادة يبتغى بها وجه الله إلا المساجد الثلاثة لما لها من الفضل على سائر البقاع .

أما الأسفار الدنيوية كالذي لتجارة أو زيارة قريب أو صديق أو لسياحة فلا مدخل لها هنا لأنها ليست مما يمارسه العبد لله بنية أنه مشروع يثاب عليه ، بل هي من الأمور العادية المباحة ، فإدخالها في موضوع شد الرحال واتخاذها وسيلة لتأويل الحديث وصرفه عن ظاهره — موهماً من فعل ذلك أن إجراء الحديث على ظاهره يفضي إلى منع شد الرحال لهذه الأمور العادية الدنيوية — (فهذا) غير صحيح بل خلط بين أمور الدنيا وأمور الدين .

ثم إن هذا الذي قلناه في معنى الحديث هو الذي فهمه منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم — وهم الذين سمعوه مباشرة من مصدره الأصلي .

وبرهان ذلك كما يلي : قال أبو يعلي في مسنده :

١ — حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع . . . وساق الإسناد إلى سعيد بن أبي سعيد المقبري قال : لقي أبو بصرة جميل بن بصرة أبا هريرة رضي الله عنهما وهو مقبل من « الطور » فقال : لو لقيتك قبل أن تأتيه لم تأته ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما تضرب أكباد المطي إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .

٢ — وعن قزعة قال : سألت عبد الله بن عمر آتي الطور ؟ . . قال : دع الطور لا تأته ، ثم قال: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة ، وإسناده صحيح — أنظر تحذير الساجد للألباني ص ١٣٩ — .

أما السفر لطلب العلم ولزيارة الوالدين والصالحين والعلماء الأحياء فليس المراد من مثل ذلك السفر

البقعة التي يحلون فيها ، إنما المراد زيارة الأشخاص الأحياء بأى مكان حلّوا ، أما زيارة القبور لتذكر الآخرة ، ودون شد رحل فجائزة ومن زارها لهذا الغرض فليدعُ لأصحابها على العموم إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين سمعوا الحديث منه مباشرة قد فهموا منه أن النهي في هذا الحديث يعم جميع البقاع ولا يختص بالمساجد ، فالطور الذي أنكر أبو بصرة على أبي هريرة اتيانه والسفر إليه ليس بمسجد ، ولكنه مكان من الأمكنة ، وأبو هريرة يقره على إنكاره ولا يرد عليه ، وفي الأثر الثاني يفتي عبد الله بن عمر من استفتاه في السفر إلى الطور فيقول : دع الطور لا تأته ، وكل منهما يستدل بحديث « لا تشد الرحال » أفيقول أحد بعدهم أنه أعلم باللغة أو بالشرع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أو يظن بأحد أنه أعلم منهم ؟ . . وحتى لو حاول أحد التشكيك في أسانيد هذه الأخبار فانه أولا لا سبيل له إلى ذلك ، ثانياً لو فعل لطالبناه بأن يقدم لنا أسانيد صحيحه إلى من نسب عنه ، حتى يعلم أن طلب الإثبات منوطه إليه كغيره وأن مجرد الدعاوي بدون بينات لا يفيد شيئاً ولا سبيل له إلى ذلك أيضاً ، بل مجرد نقول في الكتب قل إن تثبت إلى من نسبت إليه ، وكذلك ما نقل من الإجماعات المزعومة .

الخطر على عقيدة التوحيد في القبور لا في المساجد

سؤال موجه إلى من يقول بمنع زيارة المساجد وإباحة أو مشروعية زيارة القبور نقول فيه :
معلوم أن أحكام الشرع لا تأتي إلا لحكمة ، وهذه الحكمة قد تكون منصوصاً عليها وقد لا ينص عليها ، وقد تدرك بالاجتهاد وقد لا تدرك ، وقد تدرك جزماً وقد تدرك ظناً ، وعلى كل حال أحكام الشرع لها حكم ووارده لعلل أما تحصيل مصالح وأما دفع مفاسد .

فهل تتصورون أن من الحكمة منع زيارة المساجد بشد الرحال وإباحة أو مشروعية زيارة القبور ولو بشد الرحال ؟ . . ألستم تعلمون أن فتنة بني آدم ووقوعهم في الشرك بالله وعبادة المخلوقين كان منشؤها الغلو في الأموات من الصالحين ؟ . . ولا يزال الأمر كذلك حتى ساعتنا هذه ، ففي بعض البلاد الإسلامية لا تجد مسجداً تصلي فيه إلا ومبني على قبر ، وقد يكون هذا القبر قد اتخذ وثناً يعبد من دون الله ، كالضريح المنسوب للحسين ، والمنسوب للسيدة زينب والبدوي و و و إلى مالا يحصى في مصر وغيرها من آلاف الأضرحة والقباب المقامة على القبور وعليها المساجد التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناها وأبطل صلاة من صلى فيها ، وذلك على مسمع ومرأى من العلماء أو المحسوبين على العلماء من أصحاب الشهادات الكبيرة، بل إن من هؤلاء بعض المنتسبين إلى العلم قد يشاركون العوام في عبادة الأموات بالحج إلى قبورهم والطواف حول مقاصيرهم ويطلبون منهم مالا يملكه إلا الله معتقدين أنهم يملكون النفع والضر ،

والسعادة والشقاوة ، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الوقوع فيما وقعوا فيه ولكنهم وقعوا إلا من عصمه الله وقليل ماهم .

ونحن في هذه البلاد والحمد لله لا نزال ني آثار الدعوة الخيرة التي قضى الله بها على مظاهر الوثنية في في بلادنا .

نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمة التوحيد التي هي أعظم نعمة تمتع بها إنسان على وجه الأرض ، وأن يوفق ولاة أمورنا لمزيد من حماية هذه النعمة ومعرفة قدرها والحرص عليها والاغتباط بها، إنه سميع مجيب .

أما المساجد فما كانت يوماً من أيام الدنيا مصدر فتنة وخطر على عقائد أهل التوحيد وإتباع الرسل ، فلماذا يتصور البعض أن الشرع يُعْني بالقبور أكثر من عنايته بالمساجد ، فيبيح شد الرحال لها في الوقت الذي يمنع فيه من شد الرحال للمساجد ؟ .

اللهم وفقنا لاتباع رسولك والرضى بسنته وأن لا نبتدع في دينه ، اللهم حبب إلينا المساجد واجعلنا من أهلها وعمارها ، ولا تفتنا بالقبور وأحداثها .

المشرع الحكيم يبيح زيارة المقابر بعد منعه منها مبينا الحكمة في ذلك

كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لما يعلمه عليه السلام من خطر فتنتها على من لم يتمكن من معرفة الله على بصيرة ويتشبع من معرفة التوحيد الذي خلق الجن والإنس من أجله .

فلما انتشر الإسلام حسياً ومعنوياً وتمكنت المعرفة بالله وتوحيده في نفوس المؤمنين وإنتشر نور هدى الله في الارض أباح لهم زيارة القبور معللا ذلك بأنها تذكر الآخرة ، فقال عليه السلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فأنها تذكر الآخرة » هذه إحدى حكمتين أو علتين من أجلهما رخص الرسول عليه السلام بزيارة القبور – بعد أن كان ناهياً عنها مانعاً منها ، أما العلة الثانية فهي الإحسان إلى الموتي بالدعاء لهم من الزائر ، وهذه العلة أو الحكمة أخذت من عمل الرسول وتعليمه لمن سأله ماذا يقول إن هو زار المقابر ، وليس هناك حكمة ثالثة أو علة ثالثة من أجلها تزار المقابر ، بل العلة الأولى هي الأصل والأساس ، أعني تذكرة الآخرة ، بدليل أن الرسول ذكرها – صلى الله عليه وسلم – لما أذن في زيارة القبور ولم يذكر الأخرى .

فياترى من زار قبر الرسول وشد الرحال لهذه الزيارة من أقصى الأرض أو أدناها أي العلتين قصد ؟ أيريد أن يتذكر الآخرة ، فعنده في بلاده ، وفي كل بلد من المقابر والأجداث الهامدة مايسيل دموعه ويحرك قلبه ويذكره بالموت وما بعده ، فلا داعي لقطع القفار وجوب الديار لقبر أو قبرين أو ثلاثة في أقصى الأ ض وأدناها ، ومع ذلك هذه القبور الثلاثة – مع أن المقصود منها واحد فقط – وهي محاطة بالجدران المنيعة والأستار الجميلة والزخارف البديعة وشباك الحديد . . الخ .

المفروضة والمستحبة وعند دخول المسجد وعند ذكره عليه الصلاه والسلام وفي كل مناسبة وكل زمان ومكان .

بل قد قال عليه الصلاة والسلام – « وصلوا عليّ فإن صلاتكم وتسليمكم يبلغني حيثما كنتم » قال ذلك في الوقت الذي نهى فيه عن اتخاذ قبره عيداً ، فالله المستعان . .

وإن قلتم عام لقبور الصالحين والعلماء والأقارب أو لجميع المسلمين وما إلى ذلك قلنا : ولم لا تذكرون الصالحين أبداً ؟ . . بل كلامكم خاص بقبر الرسول – عليه الصلاة والسلام – ومقصور عليه مما أوهم العامة ·لى هناك صوصاً وإرادةً بالأمر بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم على الخصوص » (١) .

وقال الشيخ وهو يروي لنا تأويل ابن حجر لحديث النهي عن شد الرحال:وبتأمل كلام ابن حجر نجده يتضمن إجراء معادلة على نص الحديث بأن له حالتين فقط .

الأولى : أن يكون النهى منصباً على شد الرحال لأي مكان سوى المساجد الثلاثة من أجل الصلاة وماعدا المساجد والصلاة خارج عن النهي ، وعلى هذا تخرج زيارة القبور مع غيرها من الأمور الأخرى عن دائرة النهي .

والثانية : أن يكون النهي عاماً لجميع الأماكن ماعدا المساجد الثلاثة وبلدانها ، ولكن لا لخصوص الصلاة ، بل لكل شيء مشروع بأصله . . الى أن قال : ومن هذا كله السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولا معارضة على حالة من الحالتين ، ولا يتعارض معهمز الحديث ، انتهى كلام فضيلته باختصار وتصرف في بعض الكلمات مع الإلترام بالمعنى .

ونحن نناقش هذا الكلام من واح :

الناحية الأولى : نحمد الله حيث أن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاية من البيان والوضوح فلا نحتاج لفهمها إلى إجراء معادلات ولا استخدام فلسفات ?

الناحية الثانية : لم هذا التعويل على آراء ابن حجردون غيره من علماء الأمة الإسلامية خاصة السلف الصالح من لدن الصحابة إلى آخر القرون الثلاثة (٢) ؟ . . هل لم يتعرض لمعرفة وبيان معنى هذا الحديث أحد من ائمة الإسلام قبل ابن حجر ؟ .. بل لقد تعرضوا وفهموا وبينوا وعملوا بمقتضاه قبل ابن حجر وقبل أن يستنبط فضيلة الشيخ معادلته الفلسفية من كلام الحافظ ابن حجر هذه .

الناحية الثالثة : من أين أتيتم ببلدان المساجد الثلاثة وأدخلتم في الموضوع ماليس منه محاولتين أن تجعلوا

---

(١) ولماذا أمر عمر رضى الله عنه بأخفاء قبر « دانيال » عليه السلام حين وجد جثمانه في بلاد فارس أليس نبيا كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ لم لم يترك قبره معلوماً للمسلمين ليزوروه ويفعلوا عنده كالذى يفعل الناس اليوم عند قبر نبينا عليه السلام – أيريد عمر أن يحرم المسلمين من هذا الخير العظيم ؟ .

(٢) بل الأربعة .

شد الرحل لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مشروعة أو مباحة . . وما الدافع والحامل على هذا اللف والدوان يافضيلة الشيخ ؟ . . هل الأمة واقعة في مشكلة صعبة تحاول أنت إيجاد حل لها وسبيل لخروجها من هذة المشكلة ؛ ؟ . . لا داعي لهذا يافضيلة الشيخ ، أمور الدين واضحة جلية وسنة محمد صلى الله عليه وسلم قد تركها بيضاء نقية ، لا تشتبه على من قصد الحق بتجرد وإخلاص ، ولا تلتبس لا في كلياتها ولا في جزئياتها على من ولى وجهه شطر كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انما الذى يحدث المشاكل ويسبب البلبلة هذه الفلسفات وتلك التأويلات والتحريفات لنصوص الكتاب والسنة لتوافق مذهب فلان وتؤيد رأى علان ، والا كيف يتصور ان عالما من علماء الأمة الإسلامية يدعي مشروعية شيء من غير دليل من كتاب أوسنة أو أجماع أو قياس صحيح ؟ . . ما الذى يحمله على ذلك ؟ . . هل يشعر بأن في دين محمد عليه السلام نقصا يريد أن يكمله ؟ . .

والخلاصـــة :

اننا نقول ونعتقد جازمين مائة على مائة أن كل شيء ينفعنا عند الله اذا التزمنا به وعملنا بمقضتاه قد بينه لنا صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل بيان ، فلا مكان في الدين لزيادة ولا مجال فيه لفلسفة أو معادلة يراد من ورائها استنباط شرعيات قد خفيت على سلف الأمة وأئمتها .

أما المعنى الصحيح للحديث فهو الذي فهمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — رضي الله عنهم — بدون اجراء معادلة وبدون تكلف وتمحل ، وهو الذي بيناه فيما سبق من هذا البحث فلا نعيده .

وقال فضيلة الشيخ بعد سياقه الكلام الذي تقدم :

« وجهة نظر » ثم قال تحت هذا العنوان : « وبالتحقيق في هذه المسألة وإثارة النزاع فيها يظهر أن النزاع والجدال فيها أكثر مما كانت تحتمل ، وهو إلى الشكلي أقرب منه إلى الحقيقي ولا وجود له عملياً » .

ونناقش فضيلة الشيخ فنقول :

١ — هذا اتهام صريح للعلماء إما في عقولهم وافهامهم وإما في مقاصدهم وأغراضهم، إذ مادام أن الجدال شكلي كما تقولون والخلاف فيها صوري لا وجود له في الواقع فما الذي حملهم على هذا النزاع الطويل العريض ؟ . . ثم من المتهم يا فضيلة الشيخ بإثارة الجدال وتطوير النزاع الذي ليس تحته من الحقيقة شيء ؟ . . نحن وجدناك في بحثك تميل إلى الرأي المخالف لما ذهب إليه ابن تيمية في هذه المسألة فهل هو المتهم في نظركم ؟ . .

٢ — مادام أن الجدال في هذه القضية صوري لا حقيقة له ، فما الذي دعاك إلى أن تكتب صفحات عديدة وتنفق وقتك وجهدك في البحث والتحقيق والتدليل والتعليل ، والترجيح والمقارنة وإجراء المعادلات ونقل الإجماعات الخاصة والعامة ؟ . . لِمَ لمْ توفر على نفسك هذه الجهود وهذا الوقت الثمين وتبدي وجهة نظرك هذه مسبقاً فتستريح وتريح ؟ . .

٣ ــ ما الذي اشتملت عليه الرسائل التي ألفت من الطرفين ــ كمايقول الكرماني وينقل عنه ابن حجر وفضيلتكم عن ابن حجر ؟ . . هل هو هذيان فارغ وسفسطة ليس لها معان ؟ . .
إن كان كذلك فهل هذا ناتج عن سوء فهمهم أم عن سوء مقاصدهم ؟ . .

٤ ــ ألستم بنفسكم ــ يا فضيلة الشيخ ــ تقولون : ولعل مذهب البخاري حسب صنيعه هو مذهب الجمهور في هذه المسألة ؟ . . أليس معنى هذا أنكم قد فهمتم أن في المسألة مذهبين ، أحدهما للجمهور والثاني لغير الجمهور ، والأول تبناه السبكي والثاني تبناه ابن تيمية ــ حسب تقريركم ؟
أليس ابن حجر يقول ــ حسب نقلكم ــ أجمع الجمهور على جواز شد الرحال . . الخ .
أليس إذا قيل مذهب الجمهور كذا فمعناه أن في المسألة مذهبين ؟

فكيف بعد ذلك ظهر لفضيلتكم أن لا شيء من هذا وإنما هو في الحقيقة مذهب واحد ؟ . . وأي المذهبين يا فضيلة الشيخ بدا لكم أنه لا وجود له؟ . . هل هو مذهب ابن تيمية ومن وافقه الذي في سابق تقريركم ومناقشتكم أنه مذهب شاذ حادث بعد مضي سبعة قرون من تاريخ الإسلام ؟ . . أم مذهب السبكي ومن وافقه الذي قررتم فيما تقدم من بحثكم أنه مذهب الجمهور . ؟ .

ثم أخذ فضيلته يشرح وجهة نظره تلك فقال :

وتحقيق ذلك كالآتي : وهو : ماداموا متفقين على شد الرحال للمسجد النبوي للسلام على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومتفقون على السلام على رسول الله بدون شد الرحال ، فلن يتأتى لإنسان أن يشد الرحال للسلام دون المسجد ، ولا يخطر ذلك على بال انسان ، وكذلك شد الرحل للصلاة في المسجد النبوي دون أن يسلم على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لن يخطر على بال إنسان ، وعليه فلا انكفاك لأحدهما عن الآخر ، لأن المسجد النبوي ماهو إلا بيت وهل بيته صلى الله عليه وسلم إلا جزء من المسجد ، كما في حديث الروضة .

ومناقشتنا لفضيلة الشيخ هنا في نقاط ، علماً بأنني والله لا أرى هذا الكلام يستحق المناقشة :

١ ــ لماذا « متفقين » ، « متفقون » أليست الثانية معطوفة على الأولى بالواو ؟ . . أليس التعاطف يقتضي الا شتراك في الإعراب ؟ . .

٢ ــ تقولون ياصاحب الفضيلة أنهم متفقون على شد الرحال للمسجد النبوي للسلام على رسول الله . .
أرجوكم إعادة النظر من الآن في هذا الكلام للطبعة القادمة إن شاء الله ، لأن الواقع الذي هو موضوع البحث من أوله إلى آخره هي هذه النقطة ، فلو كانوا متفقين عليها لم يجر شيء من هذا الخلاف أبداً ولا ألفت مؤلفات من الجانبين ولاصار هناك مذهب للجمهور ومذهب لغير الجمهور كما قررتم ــ ولا سجن شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولا قام العلماء في بغداد وغيره للانتصار له والشهادة بأنه على الحق ، كما قدمنا نقل ذلك من مصادره .

بل الصحيح ايها الشيخ انهم متفقون على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم اذا امكن ذلك بدون شد رحل ، ومتفقون على مشروعية شد الرحال لزيارة المسجد النبوى للصلاة فيه ، لا لزيارة القبر .

أما شد الرحال للمسجد النبوى للسلام فموضع خلاف وافتراق لا موضع اجتماع واتفاق .

نقول لفضيلته : ما معنى قولكم « فلن يتأتي » هل معنى ذلك انه مستحيل ؟ . . فما وجه استحالته؟ . . انا نفسي مستعد ان اثبت لك انه ممكن بكل سهولة ويسر ، فأنني لا أجد أى مانع أو مشكلة بأن آتي عند القبر الشريف واسلم وانصرف دون ان أصلى ، ودون ان اجلس — حتى لا تلزمني تحية المسجد — ودخول المسجد ثم الخروج منه بدون صلاة لا فائدة منه فوجوده وعدمه سواء ، وانما افعل ذلك من أجلك حتى انه يتأتي وغير مستحيل كما تصورت وكذلك باستطاعتي ان أقف خارج المسجد واسلم على رسول الله ثم أنصرف دون أن ادخل المسجد ، فإن قلتم : بذلك لا تكون قد زرت ولا تعتبر قد سلمت لانك بعيد ، أجبتكم بأن قلت : أرايتم لو ان حائط الحجرة الموجود حاليا الصق بجدار المسجد الشرقي وبجداره القبلي هل تتوقفون عن زيارته عليه السلام والسلام عليه لأن القبر صار بعيدا ؟ . . ان قلتم نعم ، قلنا : موقفكم الان للسلام بعيد لأن بينكم وبين القبر مسافة ليست بقليلة ، بل ان فضيلتكم قررتم ان رد السلام منه عليه السلام يحصل لمن سلم من داخل المسجد ، ولم تحددوا مكانا معينا محدودا من المسجد والمكان الذى قلت انني اقف فيه خارج المسجد واسلم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اقرب الى القبر الشريف من أكثر نواحي المسجد .

ثم يقول فضيلته : ولا يخطر ذلك على بال انسان .

من الذى يعلم يا فضيلة الشيخ ماذا يخطر في قلوب الناس وعلى بال كل واحد من بنى آدم سوى خالقهم تبارك وتعالى ، فعلى اى أساس بنيت هذا الجزم المؤكد ؟ . . حتى ولو كان ذلك كفرا يخرج من الملة الاسلامية فقد خطر الكفر على بال مئات الملايين من البشر ،ألست ترى أن اكثر أبناء المسلمين وأن الملايين من المنتسبين للاسلام قد ضيعوا الصلاة ، ومنعوا الزكاة ، وارتكبوا الفواحش والمنكرات ؟ . . أليس كل واحد منهم يسمى انسانا ؟ . . فلماذا مسألتك هذه لا تخطر ولن تخطر على بال انسان ؟ . . أرأيت لو علمتم أن شخصا وصل المسجد النبوى قادما من مصر أو الشام أو أى قطر من اقطار الأرض وصلى فيه ركعتين أو أكثر ثم سافر ولم يأت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا سلم عليه السلام الخاص الذى يقال عند القبر ، ولكنه يصلى ويسلم على نبيه في صلاته وعند دخول المسجد وعند الخروج منه وعند ذكره وفي كل مناسبة ، فبماذا تحكمون عليه يا فضيلة الشيخ ؟ . . أتقولون : ان ذلك لن يتأتي ، نقول لكم قد تأتي ووقع فعلا ، أتقولون ان ذلك لن يخطر على بال انسان ؟ . . نقول لكم خطر على باله ووقع منه ، أتقولون أنه كفر بذلك ؟ . . نقول لكم لم يكفر ولم يرتكب كبيرة من الكبائر ولا صغيرة من الصغائر ، فمن زعم غير ذلك فعليه الدليل ودون ذلك الدليل خرط القتاد .

ثم ما معنى قولكم يا فضيلة الشيخ : « فلا انفكاك لأحدهما عن الآخر » وانتم تعنون اتيان المسجد النبوى للصلاة فيه ، وزيارة القبر الشريف ، فعدم الانفكاك هذا هل هو لأمر شرعى أم لأمر عقلى ؟ . . ومرة اخرى هل اخذتم هذا الحكم من شرع الله المنزل على رسوله ؟ . . فلماذا لم تذكروا دليلكم على ما قلتم ، وبه حكمتم ؟ . . هل خطابكم وبحثكم موجه الى العامة فقط ، ولا نصيب فيه لطلبة العلم ، . . ان كان كذلك فقد اجحفتم يا فضيلة الشيخ في حق طلبة العلم وتجاهلتم حصتهم في الفائدة . .

ام انكم اخذتم هذا الحكم من مقتضى العقل ؟ .. فلو تكرمتم فبينتم وجه استحالة هذا الانفكاك من الناحية العقلية ، لأنني بحثت مع عدد لا بأس به من طلبة العلم في هذا الموضوع والتمسنا وجه عدم الانفكاك بين وصول المسجد النبوى ، والصلاة فيه ، وبين زيارة القبر النبوى بحثنا ذلك من الناحية الشرعية ومن الناحية العقلية فلم يظهر لنا شيء من ذلك .

الخلاصـــة

وخلاصة القول هنا أن فضيلة الشيخ أراد ان يقضي على مشكلة طالما استثارت النقاش والجدال بين المتمسكين بالسنة المتقيدين بالنصوص الشرعية – خاصة في أمور العبادات – من جانب ، وبين غيرهم ممن تهاونوا في أمر البدع وتساهلوا معها ، بل وحاولوا ان يجعلوا من بعض البدع سننا يلزم الناس بها ويهاجمون ويتهمون اذا لم يقبلوها أو طالبوا بالدليل على انها من دين الإسلام – من جانب آخر ، أراد الشيخ أن يقضى على هذه المشكلة ويوحد الرأى تجاه تلك المسألة بجرة قلم ، وبكلمات لا تبلغ العشرة أسطر ، ونحن نقول : بارك الله فيك ، ونحن من ورائك ضـــد الخلاف وضد اسبابه ، ولكن بشرط يا فضيلة الشيخ ان يكون المذهب المقبول الذى نبقي عليه هو المذهب المتمشى مع السنة والذى عليه سلف الأمة ، ولو لم يكن هو الموافق لعواطف العامة والمناسب لأذواقهم .

ويقول الشيخ حفظه الله : لان المسجد ما هو الا بيته – صلى الله عليه وسلم – وهل بيته الا جزء من المسجد ، كما في حديث الروضة « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . . ثم قال : فهذه قوة ربط بين بيته ومنبره في مسجده .

وهنا نناقش فضيلته فنقول : المسجد النبوى ليس هو بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو بيت الله ومسجد رسوله ، وبيت الانسان غير مسجده ، وبيته – عليه السلام – ليس جزءا من المسجد لا قبل وفاته – عليه السلام – ولا بعد وفاته ودفنه فيه – فداؤه آباؤنا وامهاتنا وانفسنا وابناؤنا ماذا لو كان الأمر كما زعمتم لكان الرسول وصاحباه مدفونين في المسجد ، وهل يجوز دفن الأموات في المساجد واتخاذها مقابر ؟ . . أبعد الله ذلك اليوم الذى تصبح فيه مساجدنا مقابر ، مثلما وقع في بعض البلاد الأخرى – ولو كان بيته جزءا من المسجد ما ساغ ان يقع فيه ما لا يليق بالمساجد كقضاء الحاجة ، اذ المساجد لا يليق بها الا العبادة من صلاة وتلاوة وذكر وما يمت الى ذلك بصلة من مدارسة علم وبحث شئون المسلمين

ونحو ذلك ، وهو صلى الله عليه وسلم كان يقيم في بيته مع أهله ليلا ونهارا ويقضى حاجته ، ولا يفعل هذا في جزء من المسجد ، وكان – صلى الله عليه وسلم – اذا اعتكف خرج من بيته ودخل المسجد فلو كان بيته جزءا من المسجد كما زعم فضيلة الشيخ لما احتاج – عليه السلام – الى ان يترك البيت من أجل الاعتكاف .

اما ان كان قصدكم بعد وفاته ودفنه– عليه الصلاة والسلام– وبعد احاطة المسجد بالحجرة بعمل وتدبير حاكم لم يراجع الشرع ولم يستشر علماء الأمة الإسلامية في عمله هذا ، فهذه من الأدلة العديدة التى عرفنا منها انكم تعتبرون الواقع دليلا على الشرع ، مع أن الواجب ان يقاس الواقع بالشرع فإن اقره ووافقه فهو شرعي والا فهو عمل باطل ينبغى رده والقضاء عليه .

ان كان ذلك هو قصدكم يا فضيلة الشيخ فنحن نفيدكم ان الحجرة لا تزال ولن تزال الى يوم القيامة ليست من المسجد ولا جزءاً من أجزائه لأن في داخلها مقبرة والمقبرة لا تكون مسجدا شرعيا أبدا والصلاة فيها باطلة بنص الحديث النبوى الصحيح ، بل ان من اتخذ المقبره مسجدا فهو ملعون على لسان سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة واتم التسليم .

اما استدلالكم بحديث الروضة على ان المسجد هو نفسه بيت الرسول وان بيت الرسول جزء من المسجد فأنتم باستدلالكم هذا كمن يحاول ان يجعل من خيوط العنكبوت أربطة للسفن الكبيرة حتى لا تذهب بها امواج البحار .

الا تعلم يا فضيلة الشيخ ان الغاية لا تدخل في المغيّ ؟ . . إننى أفهم من حديث : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ان الموصوف هو المساحة الواقعة ابتداءً بجدار المسجد الملاصق للحجرة وانتهاءً بالمنبر ، والمنبر يدخل في تلك المساحة الموصوفة لأنها تحيط به لصغر حجمه ولوجوده داخل المسجد ، وقد لا يدخل المنبر ، الله أعلم لانجزم بهذا قطعا ولا بهذا قطعا وانما نقول ما يترجح في نظرنا والعلم عند الله .

وقال الشيخ : ومن ناحية أخرى هل يسلم احد عليه – صلى الله عليه وسلم – من قريب لينال فضل رد السلام منه – عليه السلام – الا اذا كان سلامه عن قرب ومن المسجد نفسه .

نقول يا فضيلة الشيخ : هذا كله من تخيلاتك وتصوراتك الخاصة ولا مستند له من شرع ولا من عقل . وقد اجبنا على هذا مفصلا في ما تقدم من هذا البحث فلا داعى لتكراره .

ثم قال الشيخ : وهل تكون الزيارة سنية الا اذا دخل المسجد وصلى أولا تحية المسجد ؟ . .

نقول : إن اردت زيارة المسجد فأنت صادق والواقع كما قلت ، لا تكون الزيارة سنية شرعية الا اذا دخل المسجد وصلى فيه ، أما مجرد ان يصل المدينة ثم يرجع دون ان يدخل المسجد ويصلي فيه لا يعتبر ذلك قد زار المسجد ولا يعد منتفعا بتلك الزيارة .

اما ان كنتم تعنون بالزيارة السنية زيارة القبر ، وانها لا تكون سنية الا بأن يدخل الانسان المسجد فيصلى ثم يزور ؟ . . فمن هوالذى وضع هذه السنة ؟ . . هل علمها الرسول – صلى الله عليه وسلم – اصحابه في حياته ؟ . . فقال : اذا أنا مت فادفنوني في المكان الفلاني ثم زوروني وسلموا علىّ وإذا وصلتم المدينة فادخلوا المسجد أولا ثم صلوا كذا وكذا ثم توجهوا الى قبرى للزيارة والسلام ؟ . . هل قال الرسول ذلك ؟ . . دلونا على المرجع الذى روى فيه هذا الحديث من كتب السنة ولكم الف شكر .

أم هى سنة تقررت بعد وفاته – عليه السلام – فمن الذى قررها بالله عليكم ؟ . . وهل لأحد بعد رسول الله وبعد انقطاع الوحى من قبل السماء ان يسن في الدين سننا ويقرر شرائع ؟ . . لا حول ولا قوة الا بالله .

ربما يقول الشيخ : نعم ، الخلفاء الراشدون لهم ان يشرعوا بعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بدليل « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . . » الخ . . ان قال ذلك فلنا أولا الخلفاء الراشدون ما ثبت عنهم تشريع شد الرحال لزيارة القبر ولا بقولهم ولا فعلهم ، وثانيا هم لا يشرعون من عند انفسهم ولكن المراد بسنتهم طريقتهم وهديهم في الاجتهاد في فهم نصوص الشرع وتقرير الأحكام المستمدة من نصوص الوحى وسياستهم للدولة الإسلامية في أحوال حربها وسلمها وسائر أحوالها ، ولذلك خص الخلفاء دون غيرهم ممن قد يكون في مستواهم علما وصلاحا .

ثم قال الشيخ : وبهذا فلا انفكاك لشد الرحل الى المسجد عن زيارة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا لزيارته عن المسجد فلا موجب لهذا النزاع .

ونحن نقول لفضيلته : ان الذين تنازعوا أعلم بدين الله ، ولو ان النزاع لفظى كما توهمتم لما تنازعوا ولكنهم فهموا في الموضوع غيرما فهمتم فضيلتكم ، ومن ضمن ما فهموا «انما الأعمال بالنيات وانما لكل أمرىء ما نوى . . الخ الحديث » ، لهذا قال مَنْ لا يرى جواز شد الرحال لزيارة القبور : ان من جمع في نيته زيارة المسجد وزيارة القبر فقد جمع بين مشروع وممنوع ، ومن ثم له أجر المشروع وعليه اثم الممنوع ولم يوافقوكم على ان الممنوع يشترك مع المشروع فيؤجر على الجميع ، بل هذا فهمكم الخاص ، ولهذا قلتم : فلا موجب لهذا النزاع .

أما الذين يوافقونكم على انه لا داعى ولا مبرر للنزاع فيه فهو بالنسبة لمن سافر ناويا زيارة المسجد النبوى للصلاة فيه ولم يدخل في نية سفره زيارة القبر ، وبعد ان يصل الى المسجد ويصلى ركعتين أو أكثر يتوجه إلى القبر ، فتكون بداية نية زيارة القبر بعد وصول المسجد والصلاة فيه حتى لا يكون لها نصيب من السفر البعيد وشد الرحال ، هذه الصورة هى التى لا مجال للنزاع فيها وفعلا لم يحدث ولم يحصل فيها نزاع بين ابن تيمية وخصومه ، اما من قبلهم فقد بينا مذهبهم . . والحمد لله رب العالمين .

وجوب انكار المعاملات الربوية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز / الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . . نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد . .

فمن الظواهر السيئة التى برزت في صحفنا الدعوة إلى الربا ومن ذلك ما نشر بجريدة الجزيرة عدد ٢٢٦٣ وتاريخ ١١ شوال عام ١٣٩٨ هـ تحت عنوان « خطتنا للضمان الممتاز » ، وكذلك ما جاء من الدعوة إلى الربا في الصحف والمجلات المحلية . وهذه المعاملات من الربا المحرم بالكتاب والسنة والاجماع وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن أكل الربا من كبائر الذنوب ومن الجرائم المتوعد عليها بالنار واللعنة . . قال الله سبحانه وتعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) . . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

ففى هذه الآيات الدلالة الصريحة على غلظ تحريم الربا وانه من الكبائر الموجبة للنار ، كما أن فيها الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى يمحق كسب المرابي ويربي الصدقات أى يربيها لأهلها وينميها حتى يكون القليل كثيرا اذا كان من كسب طيب . وفي الآية الاخيرة التصريح بأن المرابي محارب لله ورسوله وان الواجب عليه التوبة الى الله سبحانه وأخذ رأس ماله من غير زيادة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .

وهذه المسألة التى كثرت الدعاية لها في الصحف والمجلات من المسائل التى بحثها مجلس هيئة كبار

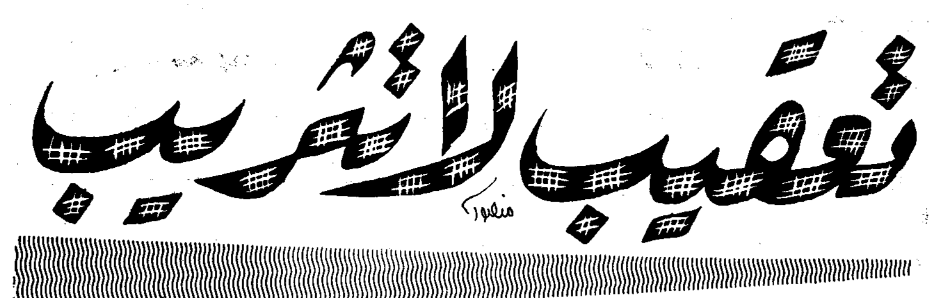
العلماء في المملكة العربية السعودية وهذا مضمون ما قرره : « وضع الأموال في البنوك لأخذ فائدة ربوية بنسبة معينة يحصل عليها صاحب المال من البنك ونحوه ويدفعها له أما بعد مضى الأجل الذى يتفق عليه واما عند سحب المال فيدفع له ما اتفق عليه من الربا الذى سمى ربحا أو فائدة . . وهذا ربا صريح حرمه الله ورسوله واجمع سلف الأمة الإسلامية على تحريمه ، وتسميته وديعة أو باسم غير ذلك لا يغير من حكم الربا المحرم فيه شيئا فقد جمع ربا الفضل وربا النسيئة لأنه بيع نقود بنقود نسيئة بزيادة ربح ربوى الى أجل انتهى » .

والواجب على ولاة الأمور وعلى علماء الاسلام في كل مكان انكار مثل هذه المعاملات الربوية والتحذير منها كما أن الواجب على وزارة الاعلام منع نشر هذه المعاملات الربوية والدعاية اليها في جميع وسائل الأعلام عملا بقول الله عز وجل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) . . وقوله سبحانه : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) . . وقوله عز وجل : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) . . وقوله سبحانه : (بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الإنسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

وبالله التوفيق . . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه . .

- خير الكلام كلام الله .
- خير الهدى هدى رسول الله .
- خير القصص قصص القرآن .
- خير الأمور عواقبها .

- شر الأمور محدثاتها .
- شر العمى عمى القلب .
- شر الضلالة الضلالة بعد الهدى .
- شر المعذرة معذرة العبد حين يحضره الموت .



لفضيلة الشيخ محمد المجذوب / المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

من عثرات الاقلام والاوهام

أسوأ ما يتعرض له المشتغلون بالعلم، وبخاصة ما يتصل منه بالنواحي الشرعية وتاريخ الإسلام ، هو استكانتهم للكسل الذى يدفعهم الى ارسال الأحكام دون تدقيق ولا تحقيق . وقد أسلفنا في ما قدمنا من بحوث في هذا الباب (تعقيب لا تثريب) بعض النماذج الحية عن ذلك الوهن ، الذى لا يسيء فقط إلى اصحابه ، بل إنه ليسيء الى الحقيقة التى يتصدرون للحديث عنها .

وها نحن أولا . . نقف عند تعقيب اليوم على نماذج من هذه الظواهر التى تفوق بوفرتها جهد المعقب ، بالغا ما بلغ من الصبر والمتابعة ، وكل ما نرجوه هو أن نوقظ بهذه الملاحظات واخواتها همم هؤلاء الفضلاء ، حتى لا يسمحوا لأنفسهم باتباع الظن ، الذى لا يغنى من الحق شيئا ، ولئن قصر بنا الجهد عن استيفاء الأخطاء فحسبنا بذل الاستطاعة ، والعجز صفة الانسان ، وقديما قيل (ما لا يدرك كله لا يترك جله) . .

١ — أخرج البيهقى عن طريق ابراهيم بن عبد الرحمن الغدرى مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدُو ُله ُ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) (١) . .

وهذا الحديث الشريف يعتبر من جوامع الكلم ، ومن الاشارات الخطيرة الى مستقبل الاسلام ، ومسيرة الدعوة الربانية .

ولكى يتضح المضمون العظيم لهذا البلاغ النبوى يحسن بالباحث ابراز بعض دقائقه ليكون القارىء

---

(١) يرى محقق (مشكاة المصابيح) أن الحديث قد روى موصولا من طريق جماعة من الصحابة ، وورد تصحيحه عن الامام احمد .

على بينة مما سنقصه عليه . فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشرنا أن حقائق هذا الدين الحق ستظل أبدا مشمولة برعاية الله، الذى يقيض لحراستها مدى الدهر طائفة من خيرة عباده ، المميزين بالعلم والعدالة والشجاعة ، التى تؤهلهم للشهادة على الناس ، وتصحيح ما يتعرض له دينه من انحرافات على أيدى المفسدين من المضللين والمضلَّلين . . وهو نفسه المعنى الذى يحمله الحديث المتفق عليه الذى يقول : (لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) (١) .

وعن كلا الأثرين الشريفين تفصيل مجمل في قوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ومعلوم أن من أهم صور الحفظ لكتاب الله تجرد فئة من المجاهدين في سبيله يحبسون وجودهم على حماية دين الله من تحريف الغالين ، الذين لا يرتضون ما أنزل الله وبلغ رسوله ، فيتصيدون له الزوائد من هنا وهناك ، حتى تغيب حقائقه وراء حجب البدع .

ومن انتحال المبطلين ، الذين يشرعون لأتباعهم من الدين ما لم ياذن به الله ، فما يزالون بهم حتى يخرجوهم من نور الحق الى ظلمات الباطل .

ومن تأويل الجاهلين ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ذلك كله أول ما يواجه الناظر في خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حملة هذا العلم . . فهم ورثة السلف الصالح في الحفاظ على تراث النبوة صافيا لا تخالطه الشوائب ، وهم حجة الله القائمة على عباده حتى يرث الله الأرض وما عليها .

ومع ذلك كله فقد سمعنا من متحدثي بعض الاذاعات من يعجله الهوى عن تبين الحقيقة في هذا الحديث الشريف ، فاذا هو يحرف الكلم عن موضعه فيقرأ قوله صلى الله عليه وسلم عدوله – وهو جمع عدل . . أى الدّقة الضابط الصدوق – يقرؤه (عَدُوُّه) من العداوة ، فيجعل حملة هذا الدين هم أعداءه لا عُدُوله . . ثم يمضى في منحدره هذا مفسرا الحديث على النحو الذى يتفق مع زلته . . فمّا زال يتخبط حتى استوفي دقائقه المقررة في لغو لا مفهوم له . .

هذا المحدّث يحمل مؤهلا من أقدم جامعة في العالم الاسلامى ، وكان من قبلُ أحد المفتين ، وان يكن ذلك منصبا تشريفيا لا يُشترط له العلم في بلده ، وقد امتحنه الله بالوزارة ، فلاحاديثه صفة التقارير الرسمية التى لا تقبل الرد . . ولعله بدافع من هذه الحصانة يرى من حقه أن ينطلق على هواه ، فيقول في حديث رسول الله ما يحضره من قول دون ما حاجة الى روية أو تأمل . . وقد نسى أن المفسر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعدو كونه مفتيا يؤدى شهادته بأن ذلك هو مراده صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الغالط في تلاوة ما يروى عنه يعتبر واحدا من الكاذبين عليه ، للذين أنذرهم بمقعدهم من

---

(١) متفق عليه .

النار ، لأنهم استراحوا إلى الكسل ، فلم يكلفوا أنفسهم جهدا للتيقن من الواقع ، ولم يرجعوا الى أهل الذكر في الاستيثاق من سلامة اللفظ وصحة المضمون ، وهم على ذلك قادرون ، لكنهم استهانوا بواجب العلم ، ولم يفطنوا الى أنهم عن الله ورسوله يتحدثون .

والغريب في أمر هذا المتحدث أنه قرأ كلمة (خلف) من الحديث على وجهها الصحيح ، ثم لم ينتبه الى التضاد المعنوى القائم بينها وبين لفظ (عدو) لأن الخلف بفتح اللام لا يكون الا في معرض الخير ، فلا تكون منه العداوة ، وإنما تأتي العداوة من (الخلف) بسكون اللام ، الذى لا يكون الا في الشر ، ومن ذلك قوله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . . ١٩/٥٩)

فليت هذا الوزير قد تذكر بعض ما قرأه أيام الطلب من أخبار السلف عن مواقفهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ليته يقرأ نبأ مالك امام المدينة (رح) اذ كان يستوضح زواره عما يريدون من العلم ، فاذا طلبوا الفقه خرج اليهم دون كبير احتفال ، لأن الفقه فهم يتوصل اليه الرجال ، فاذا كان المطلوب هو الحديث لم يواجههم حتى يغتسل ويتهيأ له بما يليق بلقاء رسول الله من الاجلال . .

وأغلب الظن أن معالى الوزير سينفى عن نفسه ما قصصناه عنه تنزها عن مثله . . غير أنه لا مندوحة له عن التفكير مليا قبل اقدامه على النفى ، اذ يتذكر أن حديثه (العالى) مسجل ، وسيتعذر عليه ازالته ، فخير له أن يعود لتصحيح خطئه من الأذاعة نفسها ، وبذلك نكون له مع السامعين من الشاكرين .

٢ — وهذا رابع الوزراء الذين قدر لنا أن ننبه الى بعض أغاليطهم في هذا التعقيب .

كتب فضيلته ذات يوم ، في مجلة اسلامية محترمة تصدر برعايته ، حديثا تناول فيه بعض مشاهد السيرة النبوية الطاهرة ، وكان مما تعرض له خبر الصحيفة الظالمة التى سجل فيها المشركون اتفاقهم على مقاطعة نبى الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والمؤيدين . . حتى اذا صار الكلام عن نقضها ألقى الشيطان على قلمه أن بعض المطلعين قد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بسطو الأرضة على الصحيفة حتى لم تدع فيها سوى اسم الله . .

ولما روجع معاليه في ذلك ، وطولب بذكر المراجع الذى استند اليها في روايته الغريبة تلك ، جاء جوابه أكبر من غلطته ، اذ اسند الخبر الى أحد المستشرقين ! . .

ونعود الى خبر الصحيفة في كتب السيرة وغيرها من المؤلفات المعتبرة فلا نجد لها أصلا لهذا القول . والمحقق في أمر نقضها أنه جاء نتيجة تعاون بعض ذوى الغيرة من قريش ، الذين آلمهم ما رأوا من أثر المقاطعة في أقربائهم ، فاتفقوا على القيام بنقضها ، على الوجه الذى أثبتته تلك الكتب . .

أما الرواية التى تقول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر عمه أبا طالب بتسليط الله الأرضة على الصحيفة . فقد أوردها المحققون كابن هشام وابن القيم وابن كثير على أنها وصلت اليهم على لسان (بعض أهل العلم) دون ان يسندوها الى راو بعينه . .

ومهما يكن من أمر فقد كان على معالى الوزير أن يرد الخبر الى موضعه من كتب السيرة ، ولو فعل لما تورط في نسبته الى مستشرق ، لأن الخبر في مصادره الأساسية معروض على أنه مستند الى الوحى ، الذى أنبأ رسول الله بفعل الأرضة ، فأنبأ رسول الله عمه بذلك . .

وانه لمن المفارقات المؤسفة كل الأسف أن نأخذ أخبار السيرة النبوية عن مستشرق أو مستغرب ، وبين أيدينا أكداس المصنفات التى كتبها الثقات عن حياة نبي الله صلى الله عليه وسلم فلا تزال تمد المفكرين والباحثين كل يوم بالكنوز التى لا تنفدُ من تراثنا العظيم .

٣ – وفي حديث اذاعى لأديب معروف عن غزوة الخندق يقول : لقد انفض القوم يومئذ من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق معه سوى ثلاثمائة فقط . .

ولا جرم أن تحديد عدة المسلمين بثلاثمائة لا معتمد له نقلا ولا عقلا ، فالعدو قد زحف على المدينة بعشرة آلاف مقاتل من قريش وأحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وتهامة وغطفان . . فمن غير المعقول أن يخرج المسلمون لمواجهتهم بذلك العدد الضئيل وهم قادرون على تعبئة أكبر . . فكيف وقد أجمعت كتب السيره على أن عدد المسلمين لم ينزل يومئذ عن ثلاثة آلاف (١) .

وقد يفهم من كلام صاحب الحديث أن الثلاث المئات هم الذن بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد المنفضين ، وهو رأى مردود أيضا ، لأنه يعنى أن كثرة الخارجين مع الرسول كانوا يومئذ من المنافقين الذن جعلوا يتسللون لواذا زاعمين أن بيوتهم عورة . ولو صح هذا التوهم لطمع المنافقون بالقلة المؤمنة ، ولأسرعوا بالأتفاق مع الغزاة على استئصال الاسلام . . وانما منعهم من ذلك يقينهم بضعفهم ، وبخاصة بعد غزوة أحد التى كشفتهم ، اذ لم يتجاوزون المئات الثلاث ثم جعلوا يتناقصون بما شرح الله صدور بعضهم للاسلام ، حتى لم يبق حول رأسهم ابن سلول الا القليل الذى لا يؤبه له . .

والحديث عن يوم الأحزاب يستدعى التوقف عند ذكر نعيم ابن مسعود رضى الله عنه الذى كان له دوره الفعال في مصير الغزوة ، وتخذيل المتخالفين من أهل الشرك ويهود قريظة .. ولكنه لفظ اسمه بفتح النون ، وهو مضبوط في سيرة ابن هشام ، بضمها على التصغير .

ولعل الأديب الفاضل يستدرك هاتين الهفوتين عندما يتجه لنشر أحاديثه النافعة في كتاب نرجو أن يكون مخرجه قريبا ان شاء الله .

٤ – وللعربية – لغة القرآن العظيم ووسيلة الدارس الى فهم مراد الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، حظها من أغاليط الكتاب والمؤلفين أيضا ، فضلاً عن عدوان الكارهين لها ، المؤتمرين بها . . فلها من أجل ذلك على الأقلام المؤمنة حق الدفاع عن حياضها ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، وسأضع بين يدى القارىء في هذا التعقيب بعض النماذج لما نواجهه من هذه الأغاليط .

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ج ٣ ج١ الحلبى عام ١٩٥٥ بتحقيق السقا ورفيقه .

في كتاب يقدم نفسه بعنوان : (طريق النجاح في القواعد والاعراب) وجدتني أطالع في بعض تدريباته البيت التالي :

ثُبِّئْت أن أبـــا قابوس أوعدني   ولا قرار على زأر من الأسد

ثم يليه هذا الشرح العجيب : (لقد أخبرني الناس بأن أبا قابوس يتوعدك وينذرك . فقلت لهم : ألقوا عنكم هذا ، فأبو قابوس ووعيده لا يساوى عندى جنح بعوضة) ! . .

وأنا هنا لا أحب أن أحاسب المؤلف على أسلوبه السوقي في التعبير عن مفهومه للبيت ، ولكنى أكتفى بالاشارة الى بعده الشاسع عن غرض الشاعر . . ولو هو عاد الى ديوان النابغة وتعقيبات شراحه من اللغويين لعلم أنه انما يصف خوفه الشديد من أبي (قابوس) الذى أنذره بالقتل ، ويعتذر عن هذا الخوف بتشبيه ضمني يجعل أبا قابوس بمنزلة الأسد الذى يرسل زئيره ، فلا يجد سامعه سبيلا الى الاطمئنان على نفسه .

ومن هذا الضرب عمله في تدريب آخر حول معنى البيت التالى :

وترمينى بالطرف أى أنت مذنب   وتقلينى . . لكن ايـــاك لا أقلى

فيقول في شرحه : (لقد نظرت إلىَّ نظرة بطرف عينها انى مذنب . . وانى لأعجب كيف تتمكن من هجرى ، مع انى لا استطيع اصطبارا على فراقها) . .

ويلاحظ كل ذى صلة بالبيان العربي أن الشارح لم يزد على أنه شوه مراد الشاعر ، عن الركاكة التى لا تتوقع من مبتدىء فضلا عن مؤلف يقيم من نفسه ملعما حتى للجامعيين . .

ووارحمتاه للعربية ! . .

٥ — ويذكرني هذا بموقفين مشابهين عرضا لي أثناء تدقيق امتحان الشهادات في بلد عربي مجاور قبل بضع عشرة سنة . ذلك اني اختلفت مع ممثل لجنة الأدب حول قول شوقي — من النص المقرر على الطلاب : —

آمنت بالله واســـتثنيت جنته   دمشق روح وجنـــات وريحان

فقلت : علينا أن نتفق أولا على رأى الشاعر بشأن الجنة كى نعرف أى الأجابات تقبل وأيها ترفض .

فقال سيادة الممثل : الأمر أوضح من أن يختلف عليه ، أن شوقيا يستثنى الجنة من ايمانه ، ويعتبر دمشق هى الجنة . .

قلت : بهذا تخرج شوقيا من حظيرة الإسلام على الأقل ، اذ لا يصح ايمان بالله مع انكار ما اخبر به . .

وعرضنا الأمر على اللجنة فكلهم وافق رأيه دون استثناء ، حتى أخذت أذكرهم بما أورده الشاعر في القصيدة نفسها من دلائل ايمانه بالجنة ومحتوياتها . . فاذا هم ينفضون من حوله ، الا صديقا لى كان شريكى في تأليف أحد كتب الأدب ! . .

أما الموقف الثاني فمع رأي آخر للمثل نفسه في كتاب له يدرس في السنة النهائية من القسم الثانوى اذ أورد قول المعرى من لزومياته :

لو كان لى أو لغيرى قيدُ أنملة — من التراب لكان الأمر مشتركا

فراح يقرر ايمان المعرى بالاشتراكية على انه سابق لأهلها بالدعوة اليها ! . . وقد نسى هداه الله أن المعرى انما يتحدث في توحيد الله عز وجل جلاله ، فينفى أن يكون لأى مخلوق أى أثر من الملكية في هذا الوجود ، فالبيت اذن تقرير لوحدانية الخالق ، وتنزيهه سبحانه عن كل ألوان الشرك . والمعصوم من عصمه الله ، ولا حول ولا قوة الا به .

إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد :

١ ـ مشهد التوحيد . وأن الله هو الذى قدره وشاءه وخلقه . . (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) . .

٢ ـ مشهد العدل : وأنه ماضى فيه حكمه عدل فيه قضاؤه . .

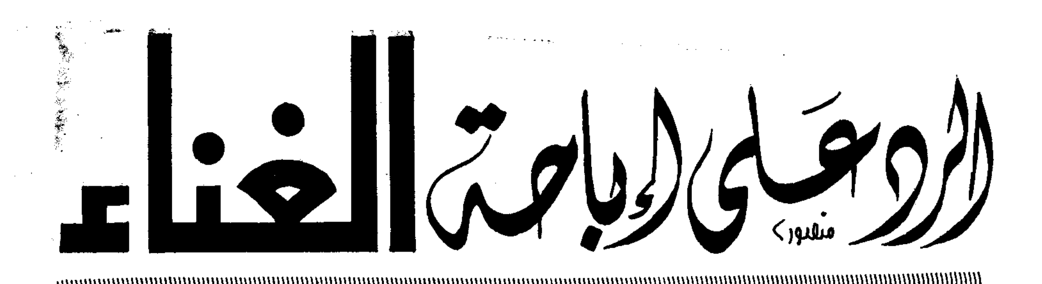
٣ ـ مشهد الرحمة : وأن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وإنتقامه ورحمته وحشوه . .

٤ ـ مشهد الحكم : وأن حكمته سبحانه إقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاه عبثا .

٥ ـ مشهد الحمد : وأن له الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه . .

٦ ـ مشهد العبودية : وأنه عبد محصن من كل وجه تجرى عليه أحكام سيده القدرية كما تجرى عليه أحكامه الدينية . .

(من كتاب الفوائد لأبن القيم)



للشيخ نايف الدعيسى / الطالب بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

جاء في الكتاب السنوى للتربية الاجتماعية في رعاية الشباب بالمدينة المنورة لعام ٩٧ – ٩٨ ه ما يتضمن إباحة الغناء – ونرد على هذا فيما يلى :

قال تعالى : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين » . .

وقال : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين » .

وقال : « فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين »

في عصر التخصصات يتطفل كثير من دعاة العلم على موائده وينسبونه لأنفسهم ويتصنعون التفكير وبعد النظر على حساب كتب مقدسة وديانة محفوظة فلا يسلمون للعلماء والفقهاء ويذعنون للأطباء والمهندسين وغيرهم ويعترفون بعجزهم أمام تخصصاتهم ، وقسم إن هذا لهو البلاء المبين ، يسكت العلماء وينطق آخرون ممن تحلوا بما لم يعطوا ، وحجتهم أنهم رجال ، وأولئك رجال وجهلوا ما بأنفسهم من جهل حتى يعجز أحدهم أن يقول كلاما فصيحا أو يكتب عبارة سليمة ثم نراه يتطاول على كتاب الله أو سنة رسوله يفسرها بآرائه واجتهاداته فما وافق هواه استدل به والا أوله وبدله من تلقاء نفسه دون اكتراث بالكتاب ومصدره ، وما علم أن دين الله أنزله من السماء وتعهد بحفظه .

وإن مما يعجب له المرء أن يرى قولا جريئا على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من بلد الإيمان ومصدر الهداية واشعاع النور ، مأوى المهاجرين ودار الأنصار ومدرسة المسلمين قولا يدعو للغناء والضرب على الأوتار دون ادراك لمعنى هذه الكلمة وماتحمله في طياتها من افساد للدين والأخلاق والمجتمع ودون تمييز بين ما كان موجودا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من حداء وانشاد لأبيات شعرية وادعة وبريئة أو جزلة قوية تقال في مناسبات الأعراس والأعياد وبين أقوال ساقطة رذيلة يتغنى بها المغنون وعشاق الغناء ويعشقها أطفالنا من بنين وبنات فيرجعونها على ألسنتهم في الغدو والاصال .

ويا للأسى والأسف أن يصدر عن هيئة مسئولة عن تربية شبابنا وتنشئتهم على المبادىء الإسلامية التى تدعو إلى الاستقامة لا إلى الخلاعة والمجون :

اذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

خطاب أوجهه الى الأستاذ الذى بدأ حديثه بغير ذكر الله وكل أمر ذى بال لم يبدأ فيه « بسم الله فهو أجذم ، وهو ناقص مبتور ، فهذا حكم الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أربعة عشر قرنا على ما كتبته حول ما سميته بالفن الشعبي ومفهومه في نظرك وانه يحكى ثقافة الأمم وتراثها الحضارى وعاداتها وتقاليدها في العابها وفنونها ورقصاتها على الأنغام التى تصاحبها سواء كانت بالدفوف أو التصفيق او استخدام الآلات الوترية وغيرها .

وأحسبك قد وقعت فيما لم يكن في حسبانك حتى صار استدلالك عليك في كل ما ذكرته من الأدلة مما لم تتمعته أو تنعم النظر فيه ، فقلت على الرسول صلى الله عليه وسلم ظلما وعدوانا وافتريت عليه بأنه كان لا يحرم الغناء – ولم تدرك معنى الكلمة هذه ، وذكرت أن الغناء كان في عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده . . ويا لها من حجة واهمية وكلام سقيم وتعد على حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الطيبين الذين مدحهم ربهم باعراضهم عن اللغو وعن الزور .

وأنهم اذا مروا به مروا كراما، وأنت تدعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحرم، ولاأصحابه من بعده لم ينكروه فهذا تجن وقول بغير فهم ، وكيف لك أن تقول في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس لك به علم أو ما علمت أن رجالا نقبوا عن الحق؟ حتى لم يدعوا لوارد منهلا فكيف بك وأنت لا تنتسب للعلماء أو طلبة العلم وتقول برأيك ولا تخشى أن تحل ما حرم الله وتجعله عنوانا للحضارة والرقي . وكأني بك حين أنقض حجتك وأبطل دعوتك ، وأنت حائر في صنعتك أو مقلع عن رأيك مشتت الذهن سارح البال .

والا يكن كذلك فاتحفنا بأخبار بعض المغنيين الذين اشتهروا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين . . من هم ؟ ومن أين جاءوا وهل كانوا رجالا أم نساء ؟ . . وما نوع الغناء الذى كانوا يصدحون به ؟ . . وما أشكال الآلات الوترية التى كانـــوا يعزفون عليها أغانيهم ؟ ، وما التصفيق الذى نسبته اليهم هل كان بفرقعة الأصابع أم بضرب الكفوف ؟ . . وهل كانوا يؤدون ذلك في المساجد أو على قارعة الطريق وما هى القواعد التى رسموها للغناء والتى لم تكن معروفة في الجاهلية ؟ ومن الذى نسب النغم للحجاز هل هو ســـعيد بن المسيب أم الأمام مالك أو هو من الفساق الذين رغبوا عن القرآن واستبدلوا به مزمار الشيطان ؟ .

أسئلة أطرحها عليك يا مربي الأجيال قبل مناقشتك . .

أما يكفيك ما ترى من المغنين والمغنيات حتى تريد أن تنشىء عليه الأجيال القادمة وما الذى أعجبك في سلوكهم وقد امتاروا بالخنوثة والميوعة حتى اختلط المختثون منهم بالاناث .

عجيب أمرك يا أستاذ فبدل أن تدعو الى الإكثار من مدارس القرآن وتدريب النشء على الأخلاق الحميدة وخالص الرجولة تدعو الى اللهو والغناء وما لا خير فيه وتخالف الأئمة الأعلام وجهابذة العلماء فهم يقولون حرام وأنت تراه أحل الحلال فمن أين جاءك هذا العلم ! ؟ . . أمن حديثا لهجرة الذى أنشد فيه بنات النجار وغيره من الأدلة التى أوردتها ؟ . . أم اتبعت فيه أقوالا لا يعتد بها وهى شاذة مردودة لوضوح اتباع أهلها اهواءهم وعدم تحكيم عقولهم فيما اقترفوه وفتحوا على المسلمين فجوة لا ترقع ما وجد أدعياء العلم والمتطفلون عليه .

واني لأحسبك لا تعرف هذا ولا ذاك . .

ولكنها حكمة الله فيما يحوط به هذا الدين ، فكلما خبت فتنة ظهرت أخرى ليتحفز لها المؤمنون فيكونوا أقوى مما كانوا عليه .

وما مثل ما كتبته واياهم الا كالمصل يعطى للمريض فتتكون عنده قدرة الدفاع عن المرض .

واني لأعجب من استدلالك بحديث بنات النجار وا نشادهن على اباحة الغناء والتصفيق والضرب على الأوتار ولم تر ما قاله العلما ء فيه وأجزم أنك لم تقف عليه وأين كل ذلك من الحديث ؟ . .

ألا ترى إنهن لم يصحبن عودا ولا مزمارا ، ولم يرددن ما تنبو له الأسماع من كلام ضليع يتردد على ألسنة المغنين والمغنيات بتلحين وتطريب وتمطيط وتكسير ، وتشويق وتهييج . وهل يلزم من اباحة الضرب بالدف اباحة غيره من الآلات ؟ . . وقل مثل ذلك يا استاذ في حديث عائشة الذى لم تكمل نصه وفيه :

أتينـاكم أتينـاكم ... فحيـونا نحييـكم
ولولا الذهب الأحمر ... ما حلت بواديـكم
ولولا الحبة السـمرا ... ماسمنت عذاريكم

أفترى في هذا دلالة على جواز الغناء والضرب على الأوتار التي تدعو إليها وكيف تستدل به ؟ وليس فيه بغيتك ولا يمكنك أن تقضي منه نهمتك وهو خاص للنساء فيما بينهن وفي يوم عرس لا مزمار فيه ولا عود ولا آلة من الآلات الشيطانية ولم يحدث فيه من اختلاط الرجال بالنساء كما يشاهد في زماننا . واعلم أنك لم تزدنا بذكر يزيد بن معاوية واهتمامه بالغناء والمغنين ألا توكيدا لما قاله فيه العلماء من الفسق والدعارة . وأشنع من ذلك ما ادعيته على أهل المدينة وأنهم كانوا يخرجون — جميعاً — إلى وادي — العقيق ليستمعوا الغناء من المغنيين في عهد لم يزل فيه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعمرون مساجد الله ومعهم من التابعين أمثال محمد بن على بن أبي طالب — ابن الحنفية ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسـار وغيرهم ممن

يشار إليهم بالتقى والزهد والورع ، وجعلت من المغنين طبقة مميزة ولاشك في ذلك ولكن بغير ماتظنه وتهواه ، وإنما بالفسق والفجور ، كما أجاب عليه علم من أعلام المدينة وهو الإمام مالك رحمه الله فقد سئل عن المغنيين فقال – أولئك الفساق . وهم الذين ذكرتهم (كطويس) الذي كان يتغنى بالأشعار لإثارة الفتن بين الأوس والخزرج و (معبد الذي يتغزل بالنساء وحسنهن ويرجو الوصال منهن . و (ابن عائشة) الذي لم يعرف أبوه والذي فسد بمحادثته ومجالسته فتيان من المدينة و (ابن أبي السرح) الذي يقول :

يصيب مـــن لـــــذة الكـــرام ولا   يجهـــــل أي الترخيص في اللمـــم

ويجدر بنا ونحن في مقام التذكير أن نشير إلى بعض أدلة العلماء في تحريم الغناء إشارة وجيزة والمامة لطيفة تغني عن الإطالة والاسهاب :

١ – فمن كتاب الله قوله تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » وقوله « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون « قال ابن عباس رضي الله عنه عنه . سامدون هو الغناء بلغة حمير .

– وقوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) وغيرها من الآيات .

٢ – أما من السنة المشرفة فقوله صلى الله عليه وسلم : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف . . . » الحديث .

وقوله : « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » .

٣ – ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم قول الصديق : « أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخول عمر على الجارية التي أخـــفت دفها تحتها ، وقول عثمان : « ماتغنيت ولا تمنيت » .

٤ – ومن أقوال التابعين قول محمد بن الحنفية في قوله تعالى « والذين لا يشهدون الزور » قال المراد بالزور اللهو والغناء وكذلك فسره لابراهيم النخغي وغيره .

وقد ذهب الأئمة الأربعة وغيرهم إلى تحريمه حتى قال أصحاب أبي حنيفة – إن السماع فسق – والتلذذ به كفر .

وقد نهى الإمام مالك عن الغناء واستماعه وهو مذهب سائر أهل المدينة ، وكذلك الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من أئمة المسلمين .

أما من قال بجوازه وهم قلة فلا يعتد بأقوالهم الشاذة لا سيما وأنهم رأوا حرمة ذلك في ظروف وملابسات فقال بعضهم — والسماع يحرم بخمسة عوارض : —

الأول : أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها . . وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته .

الثاني : أن تكون الآلة من شعائر أهل الشرب أو المخنثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة :

الثالث : في نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجاء أو هو كذب على على الله عز وجل أو على رسوله . . فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان .

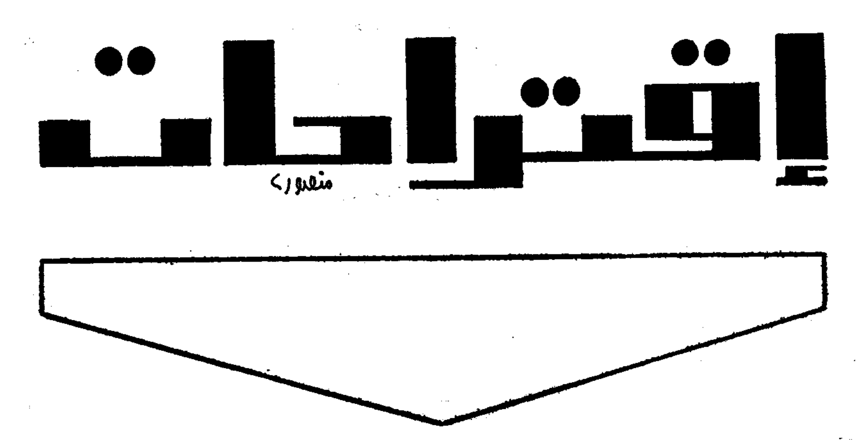
الرابع : في المستمع وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب من غيرها عليه فالسماع حرام عليه .

الخامس: أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب علاه حب الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت علاه الشهوة فكون في حقه محظوراً .

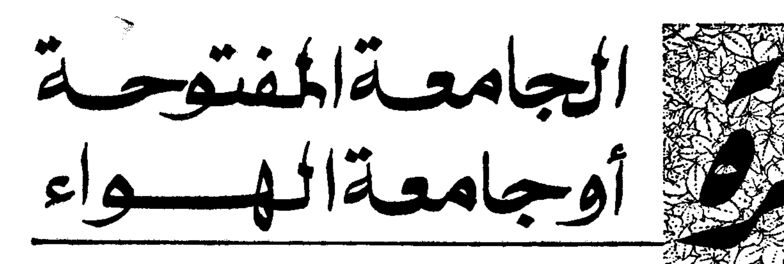
وقد بين العلماء رحمهم الله أن الغناء محظور في كل وقت ومكان إلا ماجاء فيه ترخيص من الشارع ، فنقتصر عليه لورود الأدلة ولا نتجاوزه لغيره .

ولعل ماذكرته فيه كفاية ، والله أسأل أن يهديني وإياك والمسلمين سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه وسبحان ربك رب العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين . . .





آراء



لفضيلة الشيخ محمد الشربيني / خبير التعليم بالجامعة

قرأت فيما قرأت في الأيام الأخيرة فكرة تحقيق إنشاء جامعة مفتوحة أو (جامعة الهواء) وفكرة الجامعة الأهلية والجامعة المهنية . ولكل من هذه الجامعات أسلوبها ومناهجها وأهدافها .

ولعل النوع المناسب لنا في جامعتنا الإسلامية بالمدينة المنورة هو مايعبر عنه بالجامعة المفتوحة أو جامعة الهواء . . وهذه الجامعة لايراد بها أن تكون جامعة مستقلة لها نفس النظم واللوائح التي تسير عليها جامعتنا والجامعات الأخرى بالمملكة ولكن القصد من إنشائها هو العمل على تحقيق أهداف الجامعة الإسلامية على نطاق أوسع وأشمل خارج إطارها الحالي، بحيث ينتقل جزء من نشاطها التعليمي إلى أرجاء مختلفة من العالم .

ولتوضيح الفكرة المطلوب تحقيقها نشير إلى العناصر والنقاط الآتية :

أولا : الدارسين :

من مختلف الجنسيات ومن شتى الأقطار ولا يشترط في إلتحاقهم بالجامعة مؤهلات معينة وإنما من مختلف المستويات .

ثانياً : نظام الدراسة :

ليست الدراسة حسب الطريقة السائدة في الجامعة النظامية ، ولكن عن طريق المراسلات (النصوص العلمية) والإذاعة الصوتية والمرئية في كل بلد من البلاد (بالأشرطة العلمية المسجلة) .

ثالثاً : مواد الدراسة :

تقوم الإدارة المركزية بالجامعة بإعداد المادة العلمية (النصوص) للدارسين وترسل هذه المادة إلى الطلاب بعناوينهم في مختلف البلاد بمعدل مرة كل أسبوع أو كل شهر حسب تقسيم المادة إلى موضوعات أو وحدات موقوتة بمدة الدراسة وعلى مدار العام الدراسي .

رابعاً : أسلوب الدراسة :

يقوم الدارس باستذكار دروسه في داره في وقت فراغه في المادة العلمية المرسلة له أو بالإستماع إلى بعض الدروس في الإذاعة المحلية المرئية والمسموعة .

يجتمع الدارسون في مقر مركز الدراسة المحلية أو الفرعية للإشتراك في حلقات للمناقشة تحت إشراف مرشدين متخصصين في العلوم العربية والدراسات الإسلامية من الذين تقوم الجامعة بتوزيعهم على مراكز التجمعات الدراسية للدارسين في مختلف الأقطار .

خامساً : المواد بالمراسلة :

تشكّل المادة العلمية عن طريق المراسلة بالبريد أهم عناصر العملية التعليمية في أي مادة من المواد وهو ما يسمى (بالنص) بالنسبة لأي مادة ومعناه عمل أسبوع كامل للطالب ولما كانت دراسة أي منهج تستغرق من ٣٠ ــ ٣٢ أسبوعاً فنصوص المنهج لكل مادة علمية هي حوالي ٣٢ نصاً بواقع نص لكل أسبوع وبحيث ترسل النصوص على فترات منتظمة خلال العام الدراسي ويذيل كل نص بمجموعة من الأسئلة والتمرينات والتطبيقات لقياس فهم الطالب في موضوعات الدراسة المرسلة إليه .

سادساً : الاختبارات والتقويم :

عناصر العملية التعليمية (المناهج الدراسية) في الجامعة المفتوحة تحدد من ١٠ ــ ١٤ ساعة في الأسبوع ولمدة ثلاثين أسبوعاً للحصول على تقدير سنوي واحد في منهج أو مادة واحدة . وتعقد في نهاية العام اختبارات جماعية في مقر احدى مراكز الثقافة أو المؤسسات التعليمية في تلك البلاد حسب الطريقة التي تنظمها الجامعة بالنسبة للإمتحانات الخارجية وترسل أوراق الإجابة إلى مقر الجامعة لتصحيحها وإعلان نتائج الدارسين وإبلاغهم بها .

سابعاً : اقتصاديات المشروع الجديد :

تحقق فكرة الجامعة المفتوحة وفراً كبيراً من خلال أسلوبها في إتباع طريقة معالجة المناهج والنصوص بالمراسلات البريدية وما يتبعها من برامج إذاعية مسموعة ومرئية على المستوى المحلي في كل قطر من الأقطار بالأشرطة المسجلة التي ترسل من الجامعة إلى هذه البلاد . وهذه الأشرطة والمطبوعات ذات تكلفة عالية ولكنها تحقق وفراً كبيراً عما هو عليه الحال في نفقات الجامعة النظامية التي تتكفل بكل مايتصل بحياة الطالب منذ التحاقه بالجامعة سواء من حيث نفقات السفر إلى بلاده كل عام ثم ما يتكلفه الطالب من كتب ومراجع ونفقات الدراسة والإقامة وما يتبعها ، وكذلك الخدمات الطبية وغيرها من تكاليف الإعاشة والإسكان والرحلات والمعسكرات والمسابقات وسائر الخدمات والنشاطات التي تتطلبها الحياة الجامعية داخل أسوار الجامعة النظامية .

ثامناً : جامعة الهواء في الخارج :

والواقع أن فكرة الجامعة المفتوحة (جامعة الهواء) ليست جديدة فقد سبقتنا إليها بلاد أخرى مثل المملكة المتحدة (بريطانيا) وكان ذلك في عام ١٩٦٩ م – ١٣٨٩ هـ أي منذ عشرة أعوام تقريباً فقد صدر في بريطانيا مرسوم ملكي بإقامة الجامعة المفتوحة وقد حققت نجاحاً كبيراً حتى أن الإقبال عليها كان شديداً فقد بلغ عدد المتقدمين إليها مايقرب من ٢٤ ألف طالب في عام الإنشاء ، وفي عام ١٩٧٦ م وصل عدد طلابها ٥٥ ألفاً وحصل على البكالوريوس في مختلف الفروع الدراسية ١٥ ألف طالب وطالبة .

ونظام الدراسة فيها يخالف ما هو عليه الحال في الجامعات الأخرى ، فهي لا تجمع بين الطالب والأستاذ داخل الحرم الجامعي بل أن الدراسة فيها تعتمد على استخدام النصوص المطبوعة (المادة العلمية) وعلى (الأشرطة المسجلة) للمادة المذاعة في الإذاعة الصوتية والمرئية وكذلك على (النشرات الدورية) ودور الجامعة المركزية هو أنها تعتبر نواة مركزية علمية وإدارية تعد المادة التعليمية للدارسين عن بعد ثم ترسل المادة إلى عناوين الطلاب في منازلهم في مختلف أرجاء البلاد ، ثم تستقبل أوراق إجابات الطلاب في نهاية كل عام لتقوم بتصحيحها واستخراج نتائج الدارسين .

تاسعاً : تنفيذ الفكرة بالجامعة الإسلامية :

إن أهم أهداف الجامعة الإسلامية كما ورد في المادة (٢) من النظام العام للجامعة (أهداف الجامعة الإسلامية تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم من المسلمين من شتى الأنحاء ، وتكوين فقهاء في الدين . . . الخ) .

وحيث أن الجامعة الإسلامية مفتوحة لجميع أقطار العالم دون تمييز وبها طلاب لأكثر من ثمانين جنسية ، فإذن أصبح الأمر يتطلب الانفتاح على العالم الخارجي وعدم الاقتصار على الدراسة في حدود الجامعة الحالية وفي إطارها الداخلي بل لابد من الانتقال إلى المجال الخارجي .

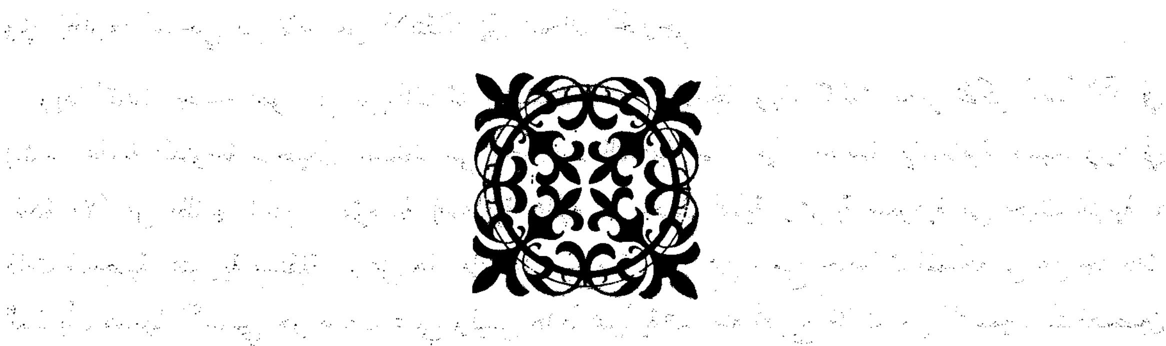
وإذا كانت جامعة الهواء في بريطانيا قد انفتحت داخل بلادها وإذا كانت مصر تفكر أيضاً الآن في إنشاء الجامعة المفتوحة لتخفيف الضغط على الجامعات النظامية بها ، فإن الجامعة الإسلامية حسبما ورد في المادة (٢) من نظامها العام : **مؤسسة إسلامية عالمية** من حيث الغاية وعربية سعودية من حيث التبعية ، ذات شخصية اعتبارية مستقلة . وعلى هذا فإن هذه الجامعة تتميز عن جميع جامعات المملكة بل عن جامعات العالم بأن هدفها الأساسي هو هدف عالمي وليس هدفاً محلياً يقصد منه تخريج فئات من المتعلمين المتخصصين الذين يلتحقون بالعمل في مختلف أجهزة المملكة ومؤسساتها لسد الحاجة في مجال الخدمات والإنتاج ولتحقيق خطة التنمية الإقتصادية والإجتماعية بما يعود على البلاد بالخير والرخاء .

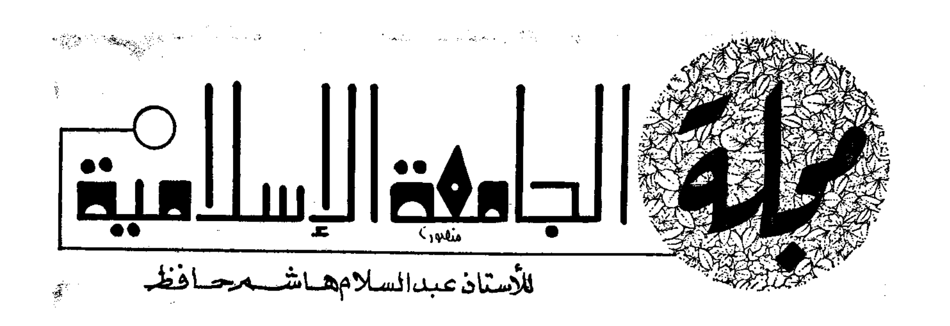
والجامعة الإسلامية قد سلكت طريقها المرسوم وحققت انجازات باهرة (بعون الله تعالى) في السنوات الماضية منذ انشائها عام ١٣٨١ هـ وحتي العام الحالي ١٣٩٩ هـ أى (في مدة ثمانية عشر عاماً) وبلغ عدد

المتخرجين فيها حتى عام ٩٧/٩٦ ١٤٨٢ خريجاً من ٦٣ قطراً واستكمالا لهذه النهضة المباركة فإنه من المفيد أن تنفتح على الخارج وأن تجعل العلم ميسوراً كالماء والهواء وألا تكون له حدود مكانية معينة مع عدم التقيد بإعطاء الدارسين أية شهادة اللهم إلا وثيقة تثبت أنه قد أمضى عدداً من السنوات في تحصيل العلوم العربية والإسلامية وأصبح مستواه مقبولا ، أو جيداً ، أو ممتازاً .

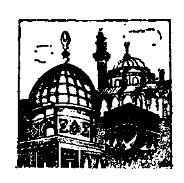
ويحضرني في هذه المناسبة أن الأستاذ الدكتور عيسى عبده وهو عالم جليل وأستاذ ضليع قد أثار فكرة مماثلة لما نحن بصدده عندما كان يلقي محاضرة منذ أيام في النادي الأدبي بالمدينة المنورة عن : (جامعة الدار) أو (جامعة المنزل) لتعليم الفتاة والمرأة السعودية داخل بيتها بواسطة الحلقات الإذاعية المرئية والمسموعة حتى توفر المرأة على نفسها الكثير من المتاعب التي تعانيها عند خروجها من بيتها وقضائها عدة ساعات في المدرسة النظامية صباحية كانت أو مسائية ويقول الأستاذ المحاضر إن جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ربما تتبنى هذه الفكرة وتعمل على تحقيقها وإخراجها إلى حيز التنفيذ في القريب العاجل .

آمل أن تقوم الجامعة الإسلامية بعرض فكرة الجامعة المفتوحة (جامعة الهواء) على الأجهزة المتخصصة بالجامعة لدراستها دراسة وافية وقد تصل إلى نتيجة إيجابية محققة للغايات والأهداف السامية التي أنشئت من أجلها الجامعة . وبالله التوفيق . والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين .



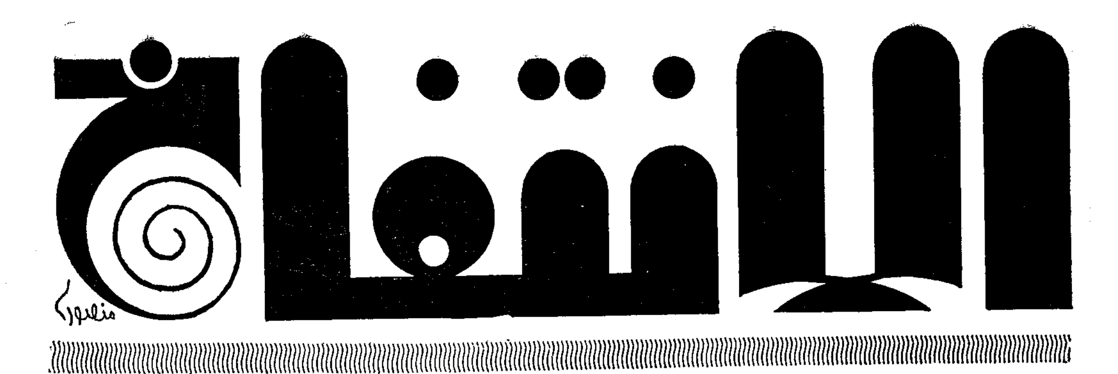


لمجلة الجامعة الإسلامية مكانة خاصة في النفوس حتى في خارج المملكة لكونها تصدر عن هذا الصرح الشامخ الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة هذه الجامعة التي تعيد لهذه البلاد المقدسة السمعة لسابق عهدها في نشر المعارف والعلوم ولقد تجاوبت المجلة أو قل الهيئة المشرفة على إدارتها وتطورت بها وصدر أول عدد في ثوبها الجديد من سنتها الحادية عشرة كمجلة لها وزنها العلمي في الثقافة الإسلامية لتمثل اسم الجامعة التي تصدر عنها وقد ظهر هذا العدد عن شهر رمضان ١٣٩٨ في ٢٦٠ صفحة ويضم أكثر من عشرين مقالاً وبحثاً في فنون العلم المتنوعة عدا أبواب المجلة الثابتة كالفتاوي وأخبار الجامعة وسواها إلى جانب عدة صفحات خصصت في آخر المجلة للقسم الإنجليزي ومع تقديرنا لهذه الخطوة الحميدة بالمجلة فإن لنا ملاحظات بغية زيادة الإنتفاع بها وتدعيمها فلقد عرفنا بأن هناك إتجاه لإصدار كل كلية فيها مجلة خاصة بها وهذا تبديد للجهود التي يجب أن تتضافر لدعم مجلة الجامعة الإسلامية وإصدارها شهرية بدلاً من الاستمرار في إصدارها بصفة دورية مرة كل ثلاثة أشهر ثم من المفروض أن يكون ظهور المجلة في أوائل الشهر الذي تصدر فيه كذلك نأمل أن تطرح المجلة في الأسواق المحلية والخارجية وتنشر عنها إعلانات في الصحف عند صدور كل عدد فإن لها رواداً يبحثون عنها ودعماً للتعريف بها .




بحوث





للدكتور سيد أحمد عبد البر — مدير الإدارة الطبية بالجامعة الإسلامية

وقبل أن تبدأ في الشكوى من هذا الداء . . فإني أدعوك لقراءة هذا البحث « الإنتفاخ . . . الإنتفاخ . . . إنها الشكوى المألوفة على لسان كثير من المرضى . فكثير من المترددين على العيادات الطبية يصرخون من شيء واحد . . . وهو الإنتفاخ .

وأسباب الإنتفاخ عديدة :

فهناك هذا الإنتفاخ الناتج عن تجمع الغازات في البطن — إنها الحالة التي تكون غالباً مصحوبة بخروج ريح كثير .

وكذلك هناك إحساس بالغازات التي تتحرك في البطن (الزغدنة) . والإنتفاخ يزيد أو ينقص من وقت لآخر . . . وقد يزيد أو لا يظهر عند بعض المرضى إلا بعد الأكل .

وكثيراً ما تتهم بعض أنواع المأكولات مثل البصل والكرنب والقنبيط والبقول مثل الفول والعدس والفاصوليا الجافة — وكذلك بعض الفواكه والخضروات مثل السبانخ والبامية والباذنجان والجوافة بأنها السبب في هذه الغازات . . . وصحيح أنها أشياء عسيرة الهضم إلى حد ما . . . ولذلك فيمكن أن تزيد من الانتفاخ خاصة عند مرضى الجهاز الهضمي . . . أما الشخص السليم . . . فهو حسب المثل . . . يهضم الحجر .

فالإنسان يتميز بأنه يجمع بين خواص أكلة اللحوم وأكلة الأعشاب فهو يهضم اللحوم إلى حد كبير . . . ويهضم المواد الغذائية النباتية إلى حد معقول .

أما إذا أفرط الإنسان في تناول الطعام... خاصة المأكولات النباتية ووصلت كميات منها غير مهضومة الى الأمعاء الغليظة . . . هناك تهاجمها البكتيريا التي تعيش بالبلايين وتولد منها الغازات وهكذا يحدث الانتفاخ . . . وتكون هذه الغازات عفنة إذا كانت فضلات الأكل بروتينية .

وهناك من يحمل اللبن مسئولية الإنتفاخ . . . وهذا تجن عليه ــ وأنا أنصح وأكرر النصيحة بأن اللبن غذاء مفيد لكل الأعمار وليس فقط للأطفال . . . وأحب أن أبين في هذا المجال بأن اللبن لا يتعارض مع أمراض الكبد والمرارة والجهاز الهضمي عامة . . . ويجب أن نذكر فضل شرب اللبن في علاج قرحة المعدة وقرحة الإثنى عشر .

ولكني أذكر هنا بالنسبة لشرب اللبن ملاحظة هامة . . . فهناك بعض الناس يسبب لهم شرب اللبن نفخة أو كركبة أو زغدنة في البطن وإسهال . . . ويحدث ذلك بسبب نقص الخميرة التي تتولى هضمه . . . واختفاء هذه الخميرة قد تكون ظاهرة خلقية ــ أي يولد الشخص بها ــ أو يكون نتيجة للامتناع عن تناول اللبن لفترة طويلة . . . وهنا نصل إلى هذه النتيجة . . . اشربوا اللبن حتى تقدروا على الإستمرار في شربه . . . وهنا تعم فائدته .

وهناك الانتفاخ الناتج عن بلع الهواء . . . وكل إنسان يبلع الهواء . . يبلعه وهو يأكل ــ يبلعه وهو يشرب . . . وأيضاً وهو يبلع ريقه . . . وعند كل إنسان كمية من الهواء في بطنه . . . ومصدر هذه الغازات هو في الهواء المبلوع بجانب كمية قليلة من الغازات تتكون في الأمعاء نفسها أو تستخلص من الدم .
والهواء المبلوع بكميات معقولة يخرج من البطن مع التبرز أو في صورة ريح . . . وهنا يكون الخروج في سهولة وبسرعة .

أما إذا تم إبتلاع الهواء بكميات كبيرة تعجز الأمعاء عن التخلص منه فالنتيجة . . . حدوث الإنتفاخ في المعدة أو في الأمعاء الدقيقة أو الأمعاء الغليظة . . ويسبب ذلك بعض الأعراض . . منها :

ــ الامتلاء والثقل في المعدة بعد الأكل مثلما يحدث في حالة أمراض الكبد والمرارة .
ــ ألم تحت الثدي الأيسر وهذا يسمى بالذبحة الكاذبة .
ــ ضيق في الصدر وشعور باختناق ثم خفقان . . . كل هذا يبعث بالشبهة حول القلب والرئتين .
ــ عقد نفسية عند المريض وذلك بسبب كثرة إخراج الريح مما يدفع البعض إلى الإعتدال والإبتعاد عن المجتمع .

والآن فإننا أمام سؤال هام : لماذا يتم إبتلاع الهواء بكميات كبيرة ؟

إننا أمام مجموعة من الأسباب هي :

١ ــ التكريع الصناعي . . . وفيه يُدخل المريض هواء إلى المعدة ليخرجه في عملية التكريع . . . ولكن الواقع أن كمية الهواء التي تدخل تكون أكبر من الذي يخرج . . . وهكذا يحتجز كمية كبيرة من الهواء في البطن إذا استمرت عملية التكريع لفترة . . . والتكريع الصناعي غالباً مايكون ناتجاً

من مرض نفسي . . ولكنه قد يكون محاولة لإزاحـــة ثقل على المعـــدة عند مريض به علة في الجهاز الهضمي – أو الذبحة الصدرية .

والتكريع الصناعي عادة سيئة عند بعض الناس – فهي عادة ضارة بالصحة . . وكذلك فهي تؤذي من يجاورون هذا الشخص خاصة إذا كان التكريع له رائحة كريهة . . وقد ورد في الحديث عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أكل البصل أو الثوم أو الكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو الإنسان » .

وغالباً يكون أساس هذه العادة السيئة هو هذا الإعتقاد السائد والخاطىء بأن التكريع بعد الأكل علامة من علامات الصحة الجيدة .

٢ – وهناك أيضاً حالة بلع الهواء المرضى . . . وهي حالة تحدث نتيجة للإفراط في شرب السوائل . . . خاصة السوائل الغازية مثل البيبسي كولا وغيرها أو مضغ اللبان أو مص الحلاوة .

٣ – بجانب ذلك – هناك بلع الهواء الناتج من كثرة بلع الريق . . . فتكرار بلع الريق قد يكون حالة نفسية . . . وقد يكون نتيجة لكثرة اللعاب في حالة أمراض الفم والأسنان وقد يحدث أيضاً إذا جف الحلق – فيحاول المريض تلطيفه ببلع الريق .

٤ – ومن الأسباب الشائعة هو الإفراط في الأكل الذي يؤدي إلى إنتفاخ البطن والتضخم هنا يحدث في البطن نتيجة لعدة عوامل :

أ – كثرة الهواء المبلوع أثناء إلتهام الطعام وعب الماء وقد يتكرع مثل هذا الشخص صناعياً لينفس عن المعدة المرهقة .

ب – ويحدث أيضاً التضخم نتيجة لتشحم جدار البطن وترهله .

جـ – ثم هناك الكثير من الفضلات غير المهضومة من الأكل التي تصل إلى الأمعاء الغليظة فيحدث لها بفعل للبكتيريا تخمر أو تعفن مصحوباً بتكون الغازات .

وتسبب أدوية المغص وبعض المهدئات الإنتفاخ – فهذه الأدوية ترخي الأمعاء وتشل قدرتها على طرد الأرياح وهي بجانب ذلك تسبب جفاف الحلق وبالتالي تكرار بلع الريق .

وقد يحدث الانتفاخ بصورة حادة كما رأيت في بعض حالات المغص الكلوي حيث يفرط المريض في استعمال الأدوية المسكنة لعلاج المغص الكلوي . . . والنتيجة شلل في الأمعاء يؤدي إلى هذا الإنتفاخ الخانق .

كما يصبح الإنتفاخ حالة مزمنة في حالة الإدمان على الأدوية المهدئة كما يحدث عند مرضى الجهاز الهضمي

حيث يتعاطى المريض أُدوية المغص بصفة مستمرة فتكون الأدوية سبباً في الانتفاخ وليس المرض الأُصلى هو الذي يسببه .

وهناك المصران المتهيج . . . وفي هذه الحالة يسبب القلق النفسي اضطراباً في وظيفة الأمعاء الغليظة وينتهي الأمر بحدوث هذا الانتفاخ .

وفي النساء فهناك الحمل الكاذب ومن مظاهره انتفاخ وتضخم البطن والهواء المختبىء داخل الأمعاء في هذه الحالة يكون أكثر من المعتاد .

بجانب ذلك هناك حالات الإنتفاخ المزمن عند مرضى الإكتئاب خاصة عند السيدات بعد سن اليأس واعتقادي أنها حالة نفسية وليست بسبب كسل الغدد .

ونستنتج أن الإنتفاخ قد يؤكد وجود حالة إكتئاب . . . وأن الإنتفاخ قد يكون العارض الذي تحتمي به المريضه لتهرب من المجتمع تحت حجة أن بطنها كبيرة ومنتفخه بدرجه لا تمكنها من إرتداء ملابسها مثلا والحقيقة أنها حالة الإكتئاب هي التي تعزلها .

وعلى العموم فهناك بحث يؤكد أن كمية الغازات في بطن الإنسان العصبي ثلاثة أضعاف الكمية الموجودة عند الإنسان الطبيعي .

وهناك أيضاً حالة ارتخاء البطن والأمعاء – فالسمنة مع عدم القيام بمجهود رياضي – وكثرة إنجاب الأطفال بالنسبة للنساء – أو الأمراض ، كل هذه الحالات قد ترخى البطن وتهدله .

وأمراض الجهاز الهضمي التي تؤدي إلى الانتفاخ يمكن حصرها في الحالات الآتية :

أمراض المرارة :

ومن علاماتها التقليدية هذا الانتفاخ الذي يحدث بعد الأكل – ومع الانتفاخ يكون الغثيان والرغبة في القيء والتجشوء .

أمراض الكبـــد :

ومهما اختلف سببه فهو يسبب الانتفاخ المتزايد بعد الأكل – ويصل الانتفاخ مداه في الحالات المتقدمة وكأنه يعلن عن قرب قدوم الاستسقاء .

أمراض الأمعاء :

والأمعاء التي أنهكها المرض . . . تتراخى وتعجز عن طرد مابداخلها من غازات فتنتفخ . والأمعاء التي يصبح مجراها أضيق بسبب المرض . . إنها تحبس وراء هذا الجزء الضيق أو هذا السد غازات تمتلىء بها البطن .

البنكرياس :

عندما يلتهب البنكرياس أو يصيبه التليف - فإنه يفشل في المساهمة بعصارته في عملية الهضم - فيحدث الإنتفاخ لأكثر من سبب .

المعـــــدة :

والمعدة التي لا تفرز عصارة بسبب ضمور غشائها المخاطي أو إصابتها بأمراض أخرى تعجز عن المساهمة في الهضم وتطرد الطعام منها بسرعة وتلقي به إلى الأمعاء فيرتبك فيها الهضم ويكون الانتفاخ .

العلاج :

قبل أن نقبل على أقراص الفحم لعلاج الإنتفاخ يجب أولا أن نحدد سببه - فأقراص الفحم على ماأعتقد غير قادرة على إمتصاص هذه الكمية الضخمة من الغازات .

وعلى العموم فإنني أنصح مريض الإنتفاخ بما يلي :

١ - الاعتدال في الأكل : لأن الإسراف في الأكل يسبب النفخة ويزيد من حالات الانتفاخ الناتجة من أمراض عضوية لأنه يلقى جهداً مضاعفاً من الجهاز المرهق .

٢ - أما عن نوع الأكل . . . فإني أنصح مريض الإنتفاخ بتحاشى المأكولات التي تربك الهضم مثل البقول والخضروات النيئة - مع التقليل من البروتينات خاصة البيض في الحالات المصحوبة بغازات عفنة .

٣ - عدم الإفراط في شرب السوائل وخاصة المياه الغازية وأحب أن أقول بأن كل زجاجة من المياه الغازية تحتوي على ثلاثة ملاعق من السكر . . . وبالتالي فهي قد تكون مصدراً للسمنة وإرتخاء عضلات البطن إذا أفرط فيها .

٤ - عدم مضغ اللبان وبلع الريق اللاشعوري .

٥ - الرياضة للجسم عامة ولعضلات البطن بصفة خاصة .

٦ - تجنب استعمال الملينات لأنها تسبب مع طول استعمالها ارتخاء في عضلات الأمعاء .

٧ - مرة أخرى أكرر هذه النصيحة قبل أن أختم مقالي - وأرجو عدم التعود على استعمال الأقراص المسكنة أو المهدئة لأنها توهن عضلات الجسم بما فيها عضلات الأمعاء التي تتأثر من هذه الأقراص بصفة خاصة .



ـ مقدمة ونظرة تاريخية ـ

الحمد لله خلق الإنسان واستخلفه في الأرض ، ومنحه العقل وفضله على سائر الخلق ، وأمره باجتناب الخمر ، أم الكبائر ، ورأس المعاصي والمفاسد .

والصلاة والسلام على سيد الأنام ، وعلى آله وصحبه الكرام . . . خير من حذر وبصر ، وأصدق من نهى ودعى : أمرنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالمحافظة على العقل ، مناط الفهم والتكليف بالعبادات ، وحذرنا من إفساده بتناول الخمر وسائر المسكرات .

وكان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ـ لاعناً للخمر ، وشاربها وبايعها وحاملها والمحمولة إليه ، وساقيها .   (وبعـــد) .

فإن استخدام الكحول ـ العنصر الفعال لجميع المسكرات ـ في التجهيزات الصيدلانية ، والمستحضرات الدوائية ، وفي الطب والعلاج ، وفي مستحضرات التجميل لهو اتجاه خاطىء في فساد التقدم العلمي ، وانحراف ضال وضار في مجال البحث والتطبيق . ولقد بدأ السير في هذا الاتجاه الخاطىء منذ أن توقفت الأمة الإسلامية عن حمل مسئولياتها القيادية في مجالات الفكر والبحث ، ومنذ أن فقد علماؤها زمام القيادة العلمية والصناعية ، وبعد أن انتقلت هذه القيادة إلى قوم لا يحرمون ماحرّم الله ورسوله ، ويتجاهلون مافي الخمر من الخبائث الحسية ، والمعنوية ، ومافيها من المضار العاجلة والآجلة . وماكان من هؤلاء المتجاهلين لأوامر الله سبحانه وتعالى إلاّ أن جعلوا للكحول ـ العنصر المسكر بالخمر مكان الصدارة في تجهيز المستحضرات الصيدلانية ، والتركيبات الدوائية ـ وفي الأغراض العلاجية ، إبتداء من توليد الدفىء وفتح الشهية للطعام ، إلى التطهير وعلاج بعض أمراض القلب ، وغير ذلك من الأسقام ولم يلتفتوا البته إلى مضاره ، فيتركونه كدواء إلى ماهو أفضل منه ، ولم يسلكوا طريق البحث الجاد بقصد التوقف عن استعمال الكحول في الأغراض الصيدلانية والتجهيزات الدوائية ، كما لم يستعينوا بالوسائل الصناعية

المتطورة لاستنباط الفنون الصيدلية التي تعينهم وتمكنهم من الاستغناء عن الكحول في الصناعات الدوائية ، ومستحضرات التجميل .

ومن قبل برع علماء الأمة الإسلامية في علم الكيمياء ، وتعرفوا على (الكحول) في ابحاثهم وتجاربهم ، وكان العالم الإسلامى الشهير (ابو بكر الرازى) . . الذى برع في علوم الطب والصيدلة والكيمياء . . أول من حصل اثناء تجاربه على الكحول ، عن طريق تقطير المواد السكرية والمواد النشوية بعد تخميرها ، ورغم معرفة علماء الأمة الإسلامية للكحول في صوره المختلفة ، وللكحول نقيا ، فإنهم . . وهم على قمة التقدم العلمى والحضارى في سالف الزمان ، لم يستخدموه في التجهيزات الصيدلانية ، ولم يستعملوه في التركيبات الدوائية ، ولم يصفوه في علاج الأمراض ، ولم يجدوا أية ضرورة تدفعهم الى استخدام (مادة) يعلمون ان اثمها عظيم ، وضررها كبير ، وكما انهم رجهوا كل دراساتهم الطبية والصيدلية ، وتحصلوا على كل احتياجاتهم الدوائية بعيداً ، وبعيداً جدا عن هذه المادة الخبيثة .

ولقد ظلت (ضرورة استخدام الكحول) بالطب والصيدلة ، منذ أن احتضنها الفكر الإلحادى ، وحتى يومنا هذا ـــ مفروضة على الفكر المعاصر ، وعلى العلم الحديث ، وعلى الحضارة البشرية المعاصرة ، وصار للكحول استعمالات متعددة ، وأصبح من العسير على الدارسين المقلدين ، والباحثين التبعيين ، ومنهم على وجه الخصوص ، ابناء الأمة الإسلامية ، أقول : أصبح من العسير عليهم أن يتخلصوا من استعمالات (الكحول) في مجالات الطب والصيدلة ومستحضرات التجميل ، بعد أن اصبحت هذه الاستعمالات في أعماق الفكر مسلمات وفي مجال الدراسة والبحث ضرورات . وجاءت مرحلة الانفصام الفكرى والعقائدى بين علوم الدين وعلوم المادة ، فكانت وبالاً على الإنسانية وتراخى علماء الماديات في أمور دينهم ، ولم يحرصوا على معرفة الحلال والحرام وبالتالى ترفعوا ـــ ومنهم المسلمون ـــ عن التعرف على رأى الإسلام في مناهج الحياة ، وحلوله الناجحة لمشاكل المجتمع الأخلاقية والإجتماعية والإقتصادية ، والصحية والسياسية . . الخ . وساروا . . بعد هذا الانفصام . . وكان ذلك في عصر النهضة المادية الحديثة . بأبحاثهم ودراساتهم وابتكاراتهم في طريق منحرف أبعدهم كثيرا عن طاعة الله سبحانه وتعالى . كما لم يحرصوا على تجنب (الكحول) ـــ مادة الخمر الأساسية . . في استعمالاتهم واحتياجاتهم الطبية والصيدلية وغيرها ، وبالتالى لم يتحققوا من حالات الضرورة لاستعمال هذه المادة وغيرها من (المسكرات والمخدرات والمفترات ، وغيرها من المواد التى تؤثر على شخصية الانسان وفكره وسلوكه) .

وأصبحت (قضية تعاطى المسكرات) وأقرانها من المحرمات ، ذات وجهين وجه يختص باستعمالها كعلاج أو للأغراض النافعة ، وذلك من وجهة نظر العلماء الماديين ، ووجه يختص بالتمادى في استعمالها دون حاجة علاجية أو فائدة واقعية وذلك ايضا من وجهة نظر العلماء الماديين . . وبعد أن جعل هؤلاء العلماء للقضية وجهين ، قبلوا الوجه الأول ، وأقروه وأطلقوا عليه (وجه الضرورة أو الاستعمال

النافع) ، ورفضوا الوجه الآخر ، وأطلقوا عليه (وجه الإدمان أو الإستعمال السيء) وأصبحت (الضرورة) من وجهة نظر العلماء الماديين ، هي المبرر لإضفاء الشرعية على استعمال هذه المحرمات ، وهي الحجة التي يقيمونها دفاعا عن وجهة نظرهم . هذا صار موضوع الضرورة من الأساسيات ، ومن أهم جوانب الدراسة (لقضية تعاطي الخمر وغيرها من المحرمات) .

وعلى علماء الأمة الإسلامية أن يو لوا (موضوع الضرورة) أهمية خاصة في دراساتهم ، وذلك بعد أن يتعرفوا على (وجه الضرورة) عند العلماء الماديين بمزيد من النقص والتفصيل ، وعليهم أن يتعرفوا على حالات الاستعمال وملابساتها ، مستأنسين بدراسات وآراء العلماء الماديين المسلمين المتمسكين بتعاليم دينهم الإسلامي الحنيف واضعين في الأعتبار :

أولا : أن مقياس الضرورة الصحيح ، وحدّها السليم ، وحالاتها المؤكدة وقدرها المقبول ، يجب أن تكون جميعا كما ذكر علماء الأمة الإسلالية في دراساتهم وتحرياتهم بما يوافق القرآن الكريم والسنة المشرفة « لمن اضطر » .

ثانيا : وأن العلوم الطبية علوم ظنية ، وان الإنسان مجهول ، وأن مصلحته في دواء بعينه أو علاج بعينه ، ليست مصلحة قطعية ، ولا يجوز أن تترتب ضرورة على أمر غير قطعي ، أو أمر ظني .

ثالثا : وأن المسكرات والمفترات وغيرها من الأدوية التي تؤثر على شخصية الإنسان وفكره وسلوكه ، وهي التي تدخل ضمن المحرمات ، لها أضرار مؤكدة عاجلة وآجلة بجانب نفعها .

رابعا : وأن هناك تهاونا وقصوراً وتخلفاً في أسلوب الأبحاث والدراسات في مجال الطب والصيدلة والصناعة ، وأن العلماء الماديين لم يستنفذوا محاولاتهم وجهودهم وإمكانياتهم لتجنب استعمال المحرمات ، وهذا يقلل من شأن الضرورة ، ويجعل المسئولية في اعناق أولئك العلماء ، خاصة المسلمين منهم .

(وبعد) . . فلقد حل الوقت ، ولزم الأمر لكي يقوم علماء الأمة الإسلامية الفضلاء ، بواجبهم المقدس ، أولئك الذين يعملون في مجالات الصبدلة والطب والعلوم الطبيعية المختلفة وفي الصناعة ، فعليهم أن يبدأوا دراساتهم وأبحاثهم وتجاربهم العلمية البحتة والتطبيقية والصناعية ، من منطلق العقيدة الإسلامية ، والفكر الإسلامي ، هادفين أولا إلى التخلص من استعمالات (الكحول) في تجهيز المستحضرات الصيدلية والتركيبات الدوائية والعلاج ومستحضرات التجميل ، وغير ذلك من متطلبات الحياة العصرية ، بالإضافة إلى التخلص من استعمال المفترات والمنبهات إلاّ في حدود الضرورة الشرعية التي يتفق عليها علماء الأمة الإسلامية . وعليهم أن يكشفوا النقاب بدراساتهم الجادة عن (خدعة كبرى) دخلت على العلم ، والعلم منها براء ألا وهي (خدعة الكحول) ، وعليهم أن يضعوا حداً (لدور الكحول) في متطلبات العصر الحديث ، بحيث يعود إلى وضعه الحقيقي ، وحجمه اللاإنساني الذي كان عليه من قبل وطوال قرون عديدة (خمراً مسكراً) ، لا يتناوله إلاّ من يريد الحصول على (عربدة السكارى) ، و (نشوة المخمورين) ، وحتى

لا يزعم بأهميته وضرورته إلاّ من ينصرف عن الحقائق العلمية عامداً متعمداً بقصد الإطاحة بتعاليم الإسلام (دين الفطرة) وخاتم الأديان .

وعلى علمائنا الأفاضل — كل في موقعه — أن يتخذوا من الدراسة والتجريب والتصنيع ، خير برهان وأقوى منطق ، للكشف عن زيف هذه الدعوى القائلة (بأهمية الكحول وضرورته) في الطب والصيدلة .

ولقد أصبح الوقت مناسبا لأجراء مثل هذه الدراسات والبحوث ، خلال هذه النهضة العلمية التى تعيشها الأمة الإسلامية وعن طريق الأستفادة من التطور الذى أدخله العلم المعاصر على الصناعة ووسائل الأنتاج .

ونحن ، والحمد لله . . هنا بالجامعة الإسلامية ، حاملة لواء الفكر الإسلامى . . نحرص كل الحرص على علاج المرضى بأدوية لا تحتوى على كحول ، ونحرص أيضا على تجهيز التركيبات الدوائية للاستعمال الداخلى خالية من الكحول ، . . ونحن لا نتعرض . . والحمد لله . . لأية مشاكل أو صعاب ، أو قصور في الخدمات الصحية من جراء التمسك بهذا الحظر على استعمال الكحول .

وإننا نرجو من الحكومات الإسلامية ، ومن المؤسسات العلمية والدينية بالعالم الإسلامى أن يتبنوا هذا الفكر العلمى الإسلامى وأن يساندوا ذلك الجهد العلمى الإسلامى بقصد القضاء على البدائل استعمالات الكحول في الصيدلة والطب وفي باقي المجالات ، وإيجاد البدائل والحلول التى تفى بالغرض ، حتى يتم التخلص من هذا المنكر ابتغاء مرضات الله ، واتباعا لهدى رسولنا الكريم . . صلوات الله وسلامه عليه . .

والله ولى التوفيق .

• ✻ •

معنى العبادة

العبادة : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهى ، عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين ، والبهائم ، والدعاء ، والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة .

ابن تيميه


من أعماق الكتب



مع ابن القيم في كتابه

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

للدكتور عبد الرحمن بله علي / الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

ابن قيم الجوزية من أعلام الدعوة السلفية ، وهي الدعوة التي اختط منهجها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قال : « إنما أنا متبع ولست بمبتدع » فهي تدعو الناس إلى أن يأخذوا دينهم من نبعه الصافي : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتحارب بحزم البدع والخرافات وأنواع الضلالات التي ألمت بدين الله المتين فحجبت جماله وجلاله فنهض جماعة ممن نوّر الله بصائرهم ، وأحيى ضمائرهم يدعون الى الله على بصيرة ، ويردون عن دينه القويم كل حدث مبتدع ، ويعملون في صبر وحكمة . . على تحكيم شريعة الله في واقع المسلمين فالحكم والتشريع لله وحده . .

نراهم يركزون على العقيدة بناءً وإصلاحاً لأنها حين تصلح فكل إصلاح دونها يسير ، وكل خير يأتي بعدها تباعاً فالحاكم إذا صلحت عقيدته حكم بما أنزل الله تعالى والقاضى عدَل في حكمه والعامل أخلص في عمله والجندى كان للدين والوطن ذراعاً واقيا ، والمرأة قامت بواجبات الأسرة نحوها والتاجر نصح في بيعه وشرائه ، والطالب اجتهد في تحصيل العلم ، والمعلم نشّأ طلابه على الدين والخلق المتين وهكذا دواليك . . فالعقيدة هى « الزر » الذى إذا ضغط عليه أضاءت جميع الثريات .

عاش ابن القيم بين عامى : ٦٩١ — ٧٥١ هـ وهى الفترة التى شهدت تفشى الجهل وشيوع الغفلة وظهور البدع وبُعدَ الحكام عن الدين وهجوم التتار على ديار المسلمين . . فكان جنود الدعوة السلفية هم كتيبة الصدام التى نصبت وجوهها حملت سلاحها ، خرجت تجاهد في سبيل الله مرة بالسنان ومرات بالحجة والبرهان . وقد احتل ابن القيم مكانه في الصفوف الأمامية ، ولا غرو في ذلك فقد عاصر قائد مسيرتها وحادى ركبها العلامة ابن تيمية « ٦٦١ — ٧٢٨ » هـ فتتلمذ عليه ، ونشأ بين عينيه إلماما بأنواع المعارف ، وتمسكاً بمكارم الأخلاق ، وإسهاماً في مجال المؤلفات فقد ألف من الكتب والرسائل ما قلّ له النظير وكثر إليه المشير ويمتاز في كتاباته بعمق المعاني وحسن الديباجة وإشراق العبارة ووضوح الدلالة فتأتي كتابته كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها .

ومن كتبه التي رزقت القبول والشهرة كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» وعنوانه يدل على فحواه فهو يتحدث عن الجنة ، ويصفها وصفاً يجعل القارىء كمن رآها فهو فيها منعم مما يحرك قلبه ، ويحدو روحه ، ويشعل شوقه عملاً لها وطمعاً فيها ، وسعياً حثيثاً إليها ، فهي عروس مجلوة ولكن دونها خرط القتاد وحولها شم الجبال ، لا يدفع مهرها ، ويحظى بقربها إلاّ فتى بعيدة همته حازمة إرادته ، قد ألف السهر وهجر الشبع وأدمن إطالة الفكر . . عرف ربه فعظم في قلبه ، وصغر ما دونه في عينه ، فالتزم طاعته فعلاً للمأمورات ، واجتناباً للمنهيات ، وتمسكاً بسُنة نبيه الكريم ، ودفاعا عنها ، ودعوة إليها .

فالكتاب بتجليته للجنة وحديثه المشوق عنها يثير العزائم ويبعث الهمم العليات إلى العيش الهنىء في تلك الغرفات هو كما ذكر المؤلف في مقدمته :

« بشارة أهل السنة بما أمد الله لهم في الجنة . فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا والآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة . وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه . لا تأخذهم في نصر سنته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صحّ عنه لقول أحد من الأنام . والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا ، أو بحثا جدليا ، أو خيالاً صوفيا ، أو تناقضا كلامياً ، أو قياسيا فلسفيا ، أو حكما سياسيا . فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود . . » .

وقد رتب المؤلف كتابه على سبعين باباً ، ولكننا نريد أن ندخل من خمسة ابواب ليست متفرقة — إلى تلك الحديقة الفيحاء ذات الأشجار المثمرة والظلال الوارفة والمياه العذبة . وتلك الأبواب الخمسة التى سوف ندخل منها هى التى نظم فيها اختلاف الناس في الجنة التى اسكنها آدم عليه السلام هل هى جنة الخلد أم هى جنة في الأرض . ثم ساق حجج من قال انها جنة الخلد . ثم ساق حجج الطائفة التى قالت إنها في الأرض . ثم ردّ كل طائفة على الأخرى .

* ● *

اختلف أهل العلم في الجنة التى أسكنها آدم عليه السلام في قوله تعالى :

« وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . . الآية . هل هى جنة الخلد التى وعد الله عباده المؤمنين أو هى عبارة عن بستان كان في الأرض . ذهب جماعة إلى الرأى الأول ، وذهب آخرون الى الرأى الثاني بينما توقف الفريق الثالث في البت برأى ، لتعارض الأدلة وصعوبة التوفيق بينها في نظرهم .

ولقد ساق ابن القيم رحمه الله هذا النقاش الذى دار بين العلماء ، ساقه في استيعاب عجيب ومهارة فائقة . وانك لتجد فيه إلى جانب اللذة الروحية المتعة الذهنية — كما انك واجد فيه من المعالم الهادية ما يجعلك تسير على بينة ورشاد ، فنتهيأ إلى ما نراه لا يسوقك إليه إلاّ سلطان الحق وسطوة البرهان وجلال الحجة

رأى من قال إنها جنة الخلد وحجته :

١ – القول بأنها جنة الخلد الذى وعد الله عباده المؤمنين يوم القيامة هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم ، ولم يخطر بقلوبهم سواه ، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً .

٢ – ورد في صحيح مسلم من حديث أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعى عن حذيفة قالا : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلاّ خطيئة أبيكم . . وذكر الحديث . قالوا : وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها . وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى لآدم : اخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة . وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة : وهل أخرجكم من الجنة إلاّ خطيئة أبيكم ، وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

٣ – قال الله تعالى : « فقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » . فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين : « احدهما » من لفظة اهبطوا فإنه نزول من علو إلى أسفل « ثانيهما » قوله : ولكم في الأرض مستقر عقب قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض . ثم أكد ذلك بقوله في سورة الأعراف : « قال فيها تحيون وفيها تموتون ، ومنها تخرجون » ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الأخراج وبعده .

٤ – وصف الله تعالى جنة آدم بصفات لا تكون إلاّ في جنة الخلد فقال : « إن لك الاّ تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لا بدّ أن يعرض له شيء من ذلك . وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ والعرى والضحى فإن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن أهلها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن ، وهذا أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى ، وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

٥ – لو كانت الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب ابليس في قوله : « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن ملكها يبلى .

٦ – جاءت الجنة معرفة باللام في جميع المواضع كقوله تعالى : « أسكن أنت وزوجك الجنة » ونظائرها ولا جنة يعهدها المخاطبون ، ويعرفونها إلاّ جنة الخلد التى وعد الله عباده بالغيب ، فقد صار هذا

الأسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد اسمها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين واما أن اريد بها جنة غيرها فانها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة ، أو مُقيدة من السياق بما يدل على انها جنة في الأرض ، فالأول قوله تعالى « جنتين من أعناب » ، والثاني كقوله « ولولا إذ دخلت جنتك » والثالث كقوله : « إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » .

٧ ــ ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن ابي موسى الأشعرى قال : « إن الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمارها ، وعلمه صنعة كل شيء فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير » .

٨ ــ ضمن الله سبحانه وتعالى لآدم إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » . . قال . . يارب ألم تخلقني بيدك ؟ . . قال : بلى . قال : اى رب ألم تنفخ في من روحك قال : بلى . قال: أى ربّ ألم تسكنى جنتك ؟ . . قال : بلى . . قال : أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال: بلى . قال : أرأيت أن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ .. قال: بلى فهو قوله تعالى: « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » . . فدل هذا على أن الجنة التى أخرج منها هى التى سيعود إليها يوم القيامة وهى جنة الخلد .

* ● *

حجج الذين قالوا إنها جنة في الأرض :

١ ــ أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد .

٢ ــ إن الله تعالى وصفها لنا في كتابه الكريم بصفاتها ، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئا بصفات ثم يكون ذلك لغير تلك الصفة التى وصفه بها قالوا فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التى أعدت للمتقين بإنها دار المقامة ، فمن دخلها أقام فيها ، ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها ، ووصفها بأنها دار الخلد ، ولم يخلد آدم فيها . ووصفها كذلك بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الأبتلاء ، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها ، وقد عصى آدم ربه في جنته التى دخلها ، ووصفها بأنها دار لا خوف فيها ولا حزن وقد حصل للأبوين من الخوف والحزن ما حصل .

٣ ــ كذلك نجد من أوصاف جنة الخلد أنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهي ، وقد كلف آدم في جنته التى دخلها مما يدل على أنها ليست هى تلك التى أعدها الله لعباده المؤمنين يوم القيامة .

٤ – حرم الله تعالى على ابليس الجنة الّتى وعد الله عباده المتقين ، فكيف دخلها وهو الملعون المطرود من رحمة الله . بل لقد لغا فيها والجنة لا لغو فيها ولا تأثيم . كما أنه كذب فيها وحلف على كذبه ، والله تعالى سمّى جنته مقعد صدق فكيف دخل هذا اللعين الجنة حتى فتن آدم عليه السلام ووسوس له ، وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه ، وإما أن تكون في أذنه ، وعلى كلا التقديرين فكيف توصل هذا الملعون إلى دار المتقين ومحل القدس .

٥ – يقول الله تعالى : « إني جاعل في الأرض خليفة » ولم يقل اني جاعل في جنة المأوى . فقالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ومحال أن يكون ذلك في جنة المأوى .

٦ – لا نزاع في أن الله تعالى خلق آدم في الأرض ومن طينتها ، ولم يذكر في موضع واحد أصلًا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان قد نقله بعد ذلك لكان هذا أولى بالذكر ، لأنه من أعظم الآيات ، ومن أعظم النعم عليه فإنه كان معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات .

٧ – أخبر الله تعالى عن ابليس أنه قال لآدم : « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » فإن كان الله تعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا يبلى فكيف لم يرد عليه ، ويقول له : كيف تدلني على شيء أنا فيه ، وقد اعطيته . ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ اسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم انها دار الخلد لما ركن إلى قول ابليس ، ولا مال الى نصيحته ، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطعمه فيه من الخلد .

٨ – قال منذر : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم عليه السلام نام في جنته وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص واجماع المسلمين ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أينام أهل الجنة في الجنة قال : لا النوم أخو الموت والنوم وفاة ، وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب أحوال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت .

٩ – لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام أعلمه أن له عمراً محددا وأجلاً معلوماً ينتهى إليه ، وإنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذى في جامعه من حديث ابي هريرة فانه صريح في أن آدم عليه السلام لم يخلق في دار البقاء الّتى لا يموت من دخلها ، وأنما خلق في دار الفناء الّتى جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلاً معلوماً وفيها أسكن .

فإن قيل فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلاً ينتهى إليه ، وإنه ليس من الخالدين فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله : « هل أدلك على شجرة الخلد » . . وقوله : « أو تكونا من الخالدين »

فالجواب من وجهين : (أحدهما) : أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المكث الطويل (الثاني) أن أبليس لما حلف له وغره وأطعمه في الخلود نسي ما قدر له من عمره .

قالوا : فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه المنصف الذى رفع له علَم الدليل فشمَّر إليه ، وربا بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب .

فإذا قلنا لأرباب هذا القول فما هو ردكم على الحجج القوية التى أوردها أصحاب القول الأول للذاهبين إلى أنها جنة الخلد التى وعد الله عباده المؤمنين ، تجدهم يردون عليهم بالآتي :

١ ــ أما قولكم إن قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلاَّ بأخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة فالمتبع فيه ما دّل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد وجدنا لكم من كلام السلف ما يدل على خلافه . ولكن لما وردت الجنة مطلقة في هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده في إطلاقها وبعض أوصافها فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئا ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة . ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات .

٢ ــ وما استدلالكم بحديث أبي هريرة رضى الله عنه وقول آدم عليه السلام وهل اخرجكم منها إلاَّ خطيئة أبيكم فإنما دل على تأخر آدم عليه السلام لاستقباح الخطيئة التى تقدمت منه في الدار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما في اللفظ الآخر : اني نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها فأين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمين أو استلزام ، وكذلك قول موسى عليه السلام له اخرجتنا ونفسك من الجنة فإنه لم يقل أخرجتنا من جنة الخلد . وقولكم إنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التى في الأرض فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلاَّ الله ، وهى كالسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما في في كونهما في الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت في جميع الأشياء .

٣ ــ وأما استدلالكم بقوله تعالى : « وقلنا اهبطوا » . . » عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عل إلى أسفل منه ، وهذا غير منكر فإنها كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض . وقد كان الأمر بالإهباط لآدم وزوجه وعدوهما ، فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام ، فالآية حجة عليكم لا لكم ، ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدرتموها .

وأما قوله تعالى : « ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك

في الأرض فإن الأرض اسم جنس، وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها في محل لا يدركهم فيها نصب ولا جوع ولا ظمأ فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور والأرض التى اسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى ، والأرض التى اهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره .

٤ ـ وأما قولكم إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التى أهبطوا إليها فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التى اهبطوا منها .

٥ ـ أما قولكم إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب ابليس في قوله « هل أدلك على شجرة الخلد فجوابه من وجهين (أحدهما) أن اللفظ إنما يدل على الخلد ، وهو أعمّ من الدوام الذى لا انقطاع له فإنه في اللغة المكث الطويل ، ومكث كل شيء بحسبه ، ومنه قولهم رجل مخلدّ إذا أسنّ وكبر ، ومنه قولهم لأثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال قال أحدهم :

إلاّ رمـــادا هامداً دفعت

عنه الريـــاح خـــوالد سحم

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقادم عهده ، وإن كانت له أول كما قال تعالى : « كالعرجون القديم » و « إنك لفى ضلالك القديم » و « إفك قديم » (الثاني) أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحى ، ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك ، وهو إن نبأه الله تعالى ، وأوحى إليه ، وأنزل عليه صحفاً كما في حديث أبي ذر لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن ، قال تعالى : « أهبطوا منها جميعاً فإمَّا يأتينكم منى هدى فمن تتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » . . وكذلك في سورة البقرة : « قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينكم منى هدى . . » الآية .

٦ ـ وأما قولكم إن الجنة وردت معرفة باللام التى للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعا كقوله تعالى : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين) وقولكم إن السياق هنا دل على أن المراد بها هنا جنة في الأرض (قلنا) والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض فلذلك صرنا إلى موجبها ، إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصريح .

٧ ـ وأما استدلالكم بأثر أبي موسى : « إن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها » فليس فيه زيـــادة على ما دلّ عليه القرآن إلاّ تزوده منها ، وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد . وتولكم إن هذه تتغير وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار ، وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم » أي لم يتغير ، ولم ينتن . وقد أبقى الله سبحانه وتعالى في هذا العالم طعام العزيز وشرابه مائة سنة لم يتغير .

٨ — وأما قولكم إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده الى الجنة فلاريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عودة إلى تلك الجنة بعينها . بل إذا اعاده إلى جنة الخلد فقد وفي سبحانه وتعالى بضمانه حق الوفاء . . ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها ، بل ولا إلى نظيرها — كما قال شعيب لقومه : « قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلاَّ أن يشاء الله ربنا » .

★ ● ★

فإذا أتحنا الفرصة لأصحاب الرأى الأول القائل بأنها جنة الخلد ليجيبوا عما احتج به منازعوهم قالوا :

١ — أما قبولكم إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول اليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق في الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام ، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة ، وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الإسراء ، وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة وهذا غير الدخول الذى أخبر به في يوم القيامة ، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا . . وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد .

٢ — وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها في الجنة ، وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها ، فهذا كله حق لا ننكره نحن ، ولا أحد من أهل الإسلام ، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها يوم القيامة وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الأمرين .

٣ — وأما قولكم إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود فجوابه من وجهين (أحدهما) أنه يمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف . وأما وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البته ، كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت لمن أنت . . »

الحديث . . وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ، ويعبد الله قبل يوم القيامة . بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم ، لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفا أو لم يَسْمَّ (الوجه الثاني) أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها . وإنما كان حجراً عليهما في شجرة واحدة من جملة اشجارها . إما واحدة بالعين أو النوع ، وهذا القدو لا يمتنع وقوعه في دار الخلد — كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها . فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات فلا دليل عليه . وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم .

٤ — أما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد اهباطه في السماء فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم . وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباطه الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا مانع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتمام الأبتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى ، وقدّر أسبابه ، وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان . وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحى وهذا صعود الى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى : « أهبطوا بعضكم لبعض عدو » فلا تنافي بين الصعود والأمر بالهبوط فهذا محتمل .

٥ — وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب في ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار « أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة ، أربعين صباحا فجعل إبليس يطوف به ويقول لأمر مّا خلقت ، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك فقال : لئن سلطت عليه لأهلكنه ، ولئن سلط عليّ لأعصينه » .

٦ — أما ما ذكرتموه من أن آدم خلق في الأرض ، ولم يرد ما يفيد أن الله تعالى نقله الى السماء فإن قوله سبحانه وتعالى : « قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض » . . يدلّ على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلاّ فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى يسمعوا منه ذلك . ولو كان خلقه كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده الله سبحانه إلى السماء ثم ينزله الى الأرض قبل يوم القيامة ، وقد عرج ببدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات.

٧ — أما أن آدم عليه السلام مال إلى نصيحة ابليس حين دلّه على شجرة الخلد فليس ببعيد أن يكون عالماً — بفطرته أو بوحى من الله تعالى — أنه ليس بخالد فطمع فيه لما رأى من النعيم الذى لا ترغب

النفس في مفارقتة ، فلما وجد ذلك في نفسه غرّه إبليس بما أطمعه فيه من الخلود ، فميله إليه منبعث من ذات نفسه لا من علمه أنه في غير دار الخلود كما زعمتم .

٨ — وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فإنما النوم ينفى عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا .

٩ — وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث ، وتقرير الدلالة منه فجوابه أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة .

والله تعالى أعلم وفي تدبيره أحكم . .

عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الي عبدى بشيء أحب الى مما افترضت عليه : وما زال عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته؛ولئن استعاذني لأعيذنه » رواه البخاري .

بين قاضٍ وخليفة

من كتاب نفح الطيب

ومنهم القاضي مُنْذِر بن سعيد البلوطي ، قاضي الجماعة بقُرْطُبَة وكان لا يخاف في الله لومة لائم .

ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته في أيتام أخي نَجدْة ، وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية ، وهي أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار بقُرطبَة لحظية من نسائه تكَرُم عليه ، فوقع استحسانُه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدَة ، وكانت بقرب النشارين في الرَّبَض الشرقي منفصلة عن دوره ، ويتصل بها حَمام له غلة واسعة ، وكان أولاد زكريا أخي نجدْة أيتاماً في حجر القاضي ، فأرسل الخليفةُ من قومها له بعدد ما طابت نفسه ، وأرسل ناساً أمَرَهُم بمداخلة وصي الأيتام في بَيْعها عليهم ، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي ، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومَشُورته ، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار ، فقال لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها :

الحاجة ، ومنها الوَهْي الشديد ، ومنها الغبطة(١) ، فأما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع ، وأما الوَهْي فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها ، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع ، وإلا فلا ، فنقل جوابه إلى الخليفة ، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن يتوخى رغبته فيها ، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام ثورتها ، فأمر وصيّ الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل ذلك وباع الأنقاض ، فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان ، فاتصل الخبر به ، فعز عليه خرابها ، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك ، فأرسل عند ذلك للقاضي مُنْذِر ، وقال له : أنت أمرت بنقض دار أخي نَجْدة ؟ فقال له : نعم ، فقال : وما دعا إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) مقوموك لم يقوموها إلا بكذا ،

(١) الغبطة : أراد الحظ والمنفعة الظاهرة ، كأن يكون الثمن أكثر من ثمن المثل بكثير ، سمى بذلك لأنه مما يغبطهم الناس عليه .

(من كتاب نفح الطيب) . .

وبذلك تعلق وَهـمُك ، فقد نَصّ في أنقاضها أكثر من ذلك ، وبقيت القاعة والحمام فَضْلا ، ونظر الله تعالى للأيتام ، فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتي من ذلك ، وقال : نحن أولى من انقاد إلى الحق ، فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا . .

قالوا : وكان ـ على متانته وجزالته ـ حسن الخلق ، كثير الدُّعابة ، فربما ساء ظنٌّ من لا يعرفه ، حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الأسد الضارى ، فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال : قعدنا ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم مع أبينا للأفطار بداره البرانية ، فإذا سائل يقول : أطعموني من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة ، هذه الليلة ، ويكثر من ذلك ، فقال القاضى إن استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا أحد .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة . قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء . فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى وإنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه بما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » متفق عليه .

العلم والإيمان

منصور

ان الإسلام اذ قرر ترابط أجزاء الكون وحوادثه ترابطاً مطرداً منتظماً أو ما يسمى في الفلسفة الحديثة النظام السببي للكون لم يقف عنده كما وقف الماديون بل تجاوزه الى طرح أعظم قضية كونيه : . . من اين جاء الكون ونظامه ؟ . . من خلقه ؟ . . من قدرنظامه ؟ . . ثم الإجابة عليها بتسلسل منطقى وإلزام عقلي . ان هذه النظرة التي لا تقف عند حدود العلم التجريبي هي استمرار وإكمال للفكر العلمي بل ان سلسلة التفكير العلمي تبقى ناقصة وغير منطقية دون هذا التمديد للخط البياني لبحث ما وراء منطقة العلم التجريبي .

ان بعض المطلعين اطلاعاً سطحياً على الفلسفة المعاصرة ظنوا أن في هذه الخطوة ما ينافي العلم والتفكير العلمي وإنما جاءهم الخطأ من أنهم غفلوا عن ان سلطة العلم بالمعنى الخاص لا تتناول طرح هذه المسألة وأن كل نظرية في أصل المادة وأصل الوجود هى من قبيل الفلسفة ومن أبحاث ما وراء الطبيعة . ولذلك كان من باب الخلط والجهل والمغالطة القول بأن نظرة المادية الجدلية أو أى نظرية من نوعها تحاول تعليل أصل الكون والوجود هي « علمية » .

ان مثل هذه النظريات تبحث في فلسفة العلوم ويتكون منها ما يسمى «بالنظريات الكبرى»، وان كان العلم يقدم لها معطيات هامة ومعلومات مفيدة لتقريبها من الصواب . ولكنها تبقى على كل حال من باب الافتراض والتخمين وطريقها التأمل الفكرى لا الاختبار والتجربة . ان الطريق الذي سلكه الاسلام — كما يتجلى لنا ذلك في القرآن يقيم انسجاماً منطقياً معقولاً بين التفكير السببي العلمي الموضوعى والإيمان بالله خالق الكون ونظامه السببي . فالايمان بالله وبقدرته لا يمنع من النظر في تعاقب الحوادث وترابطها وتعليلها وخضوعها لسنة مطردة وقانون عام . وهذا الذى يجعل كثيراً من كبار رواد العلم المختصين في العصر الحديث يرتقون بتفكيرهم من دائرة اختصاصهم في الكيمياء أو الفيزياء أو الحياة أو الفلك . . الى الاعتقاد بوجود إله قدير عليم . وان القصور عن ادراك ابعاد البحوث الفلسفية الحديثة هو الذى دعا بعض الكتاب الى التورط الخاطئ فيما سموه نقد الفكر الدينى وخاصة في تطبيقه على الإسلام .

ان التفكير الإسلامي — بتأثير مباشر من القرآن والسنة — حدث في طرائق البحث العلمي تغييراً جذرياً عميقاً بالغ الأهمية . ذلك انه بدل المنهج التأملي للذى كان ينهجه اليونان والذى يعتمد على مجرد التصور العقلي والقياس المنطقي المجرد واقام المنهج التجريبي ولا سيما في مجال علوم الطبيعة والعلوم الإجتماعية وجعله المنهج الأساسى في ميدان البحوث الطبيعية في الطب والكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها .

وعن المسلمين نقل علماء الغرب العلوم الرياضية والطبيعية واالنهج التجريبي . فقد ترجموا كتب المسلمين في هذه العلوم وهي مبنية على المنهج التجريبي . وعن المسلمين أخذ فرنسيس بيكون الذي يعتبر اوربا مؤسس الطريقة التجريبية . ولم تكن النهضة الأوربية التي سبقت العصر الحديث الا نتيجة لترجمة التراث العلمى الذي انتجه وابدعه المسلمون والطريقة التجريبية التي يقوم عليها بحوثهم ولم يكن هذا الاتجاه في تقدم علوم الطبيعة والمنهج التجريبي لدى المسلمين الا اثرا من آثار الإسلام وتوجيه القرآن والسنة .

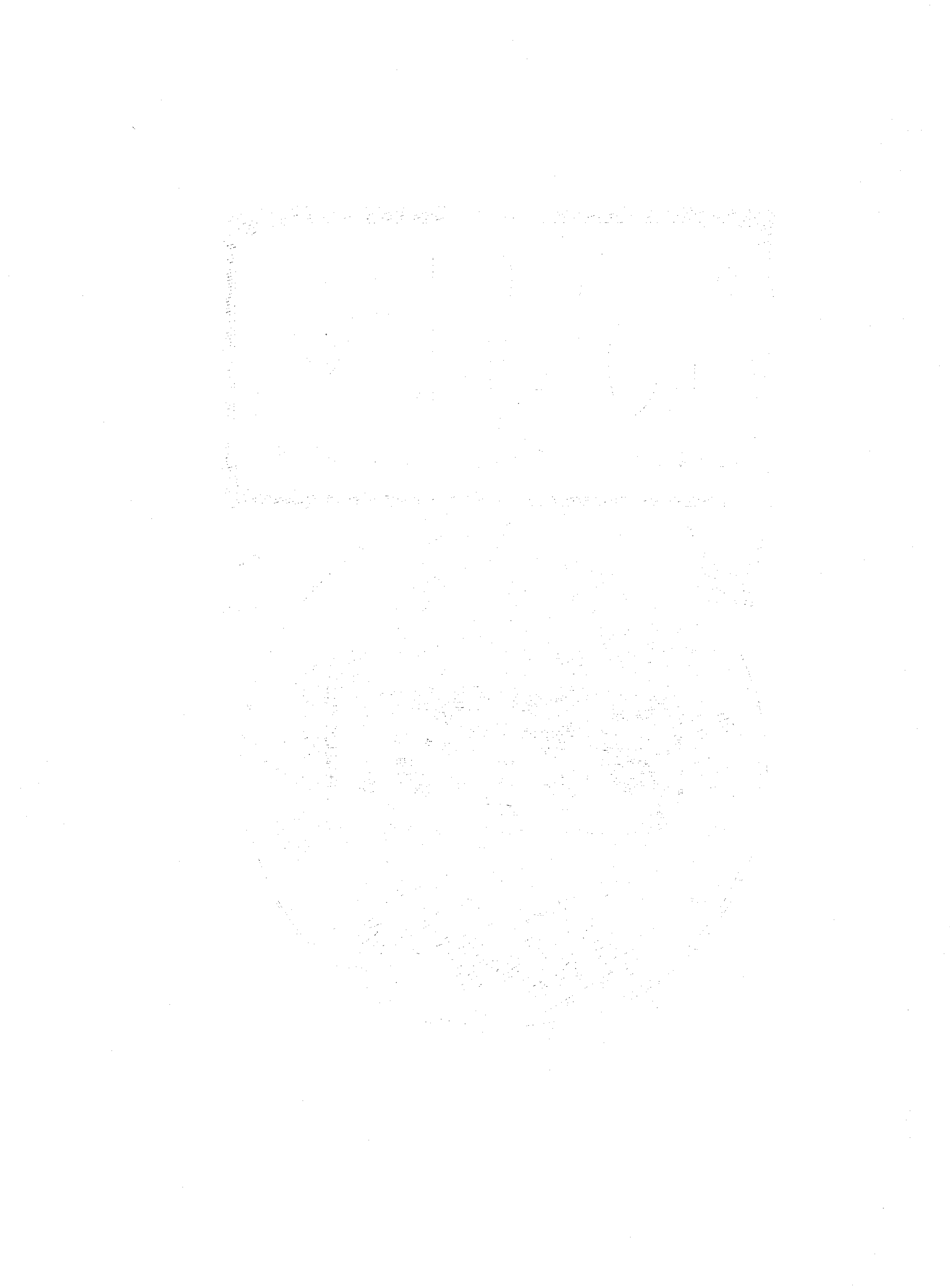
كتاب (الإسلام والفكر العلمي)

للأستاذ / محمد المبارك

« عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

✶ ● ✶


مختارات من
الصحف



بداية النهاية

بالرغم من المؤامرات والدسائس التى تحاك ضد الإسلام الا أن المتتبع للصحافة العالمية والمحلية يلاحظ اهتماما كبيرا على صفحاتها بالإسلام ليس حبا ولا اعجابا به بل خوفا ورهباً من المد الإسلامى في العالم والصّحوة الإسلامية الواعية في البلاد الإسلامية بعامة وفي أوساط الشباب المتجه إلى الله والباحث عن الخلاص بخاصته مع أن الإسلام حقيقة لم يتحرك فهو لازال في نومه الذي أراده له المسلمون ولكنه تقلب في الفراش فأزعج القاصي والداني وقد ظنا أنه مات ولم يعد له حراك فكيف به إذا قام من نومه وتحرك ؟ ؟

ويلاحظ أيضاً اتجاه كثير من الدول إلى الأخذ بالإسلام نظاماً للتشريع ومنهجاً للحياة كما يلاحظ الاتجاه إلى تفريغ القضايا من مضامينها الإقليمية والقومية والعصبية وتوجيهها إلى مضمونها الصحيح وهو الإسلام ونأمل أن يوفق إليه هؤلاء وهؤلاء وأن يكون الإخلاص وحسن النية وابتغاء وجه الله وحده وراء ذلك كله .

★ ◆ ★

نشرت جريدة المدينة السعودية بتاريخ ١٢ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ مقابلة مع ممثلي منظمة فتح في المملكة جاء فيها :

س : حاولت إسرائيل التقليل من حجم خسائرها الناتجة عن إنقطاع البترول الإيراني عنها رغم ما هو معروف من أن صادرات إيران النفطية إلى اسرائيل تشكل العمود الفقري لاستهلاك الطاقة في الأرض المحتلة ماهو تفسيركم لهذه الظاهرة وما هو تقويمكم للعلاقات الفلسطينية الإيرانية الجديدة ؟

ج : الإسرائيليون يحاولون دائماً أن يرفعوا معنويات المستوطنين الصهاينة ، لكن القصة ليست قصة أنبوب بترول إنقطع ومن ثم يتم تعويضه من جهة أخرى . . فالذي جرى في إيران في تصوري هو بداية النهاية للوجود الإسرائيلي وهو تصحيح لوضع شاذ باعتبار أن هذه الأحداث هي دخول للإسلام في محاربة اليهود – واليهود يريدون أن يؤسسوا دولة دينية ، في حين أنهم يطلبون منا أن تكون دولة علمانية . . لأننا حين نطرح فكرة الدولة العلمانية لن تكون هناك أية بواعث تشجع المسلمين على تحرير القدس . فالقدس في ظل الدولة العلمانية لا تعني أكثر من « متحف » ولكن مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تتحرك نحو القدس باعتبارها البلد الذي أسرى إليه برسول الله صلى الله عليه وسلم والقدس التي بارك الله حولها . فإذا فقدت هذه المعاني فإن دوافع المسلمين لتحرير القدس ستظل معدومة ، وهذا مايريده اليهود ومايريده الإعلام الصهيوني والغربي والأمريكي وجاءت الثورة الإيرانية فوضعت الأمر في نصابه الصحيح وهو الأمر الذي نادي به نحن أبناء الخط الإسلامي في الحركة الفلسطينية باستمرار وهو أن الأمور لن توضع في نصابها الصحيح إلا عندما تطرح القضية بوضوح على أنها صراع ضد صليبية وهذا هو مايخشاه اليهود .

ذعر يهودي من المصاحف

وأنا أذكر أنه في سنة من السنوات أهدتنا رابطة العالم الإسلامي خمسة آلاف مصحف وزعناها على المقاتلين ، واستشهد إثنان منهم في إحدى العمليات ووجد اليهود في جيوبهم المصاحف فقامت « قيامة » القيادة الإسرائيلية لتجد تعليلا لظاهرة وجود المصاحف مع المقاتلين ومن هنا يأتي تحديد الثورة الإيرانية بأنها ثورة إسلامية محددة المعالم قائمة على عمود أساسي هو الجهاد . . وهذا هو المكسب الحقيقي .

والتحرك الإسلامي اليوم ليس وقفاً على إيران فهو سيمتد عما قريب إلى تركيا . إذا أنه من المحال أن يستمر بقاء السفارة الإسرائيلية وهي تمتهن كرامة الدولة التي كانت في يوم من الأيام دولة الخلافة الإسلامية فهذا أمر لا تحتمله مشاعر المسلمين .

وفي تشاد هناك تحرك إسلامي يناضل في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وفي باكستان هناك دعوة صادقة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والعودة إلى الإسلام .

إن هذه الصحة الإسلامية التي بدأت الآن تمتد حول أرجاء العالم الإسلامي كفيلة بإزالة صبيان السياسة عن الجو وهؤلاء الصبيان لا أظن أن فيهم من يستطيع أن يزعم أن لديه من الدعم والقوة ماكان لدى الشـــاه .

تعليق

الإجابة السابقة لممثل منظمة فتح في السعودية تدل على بادرة طيبة وجديدة وهي محاولة ممثل فتح ارجاع القضية الفلسطينية إلى إطارها الصحيح ووضعها الحقيقى وهو اطار السلام ، إذ أن القوى العالمية كلها والعربية قد أفرغت ولازالت تفرغ القضية الفلسطينية من أنها قضية في أساسها صراع بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل ، ولو تبنت الأمة الفلسطينية قضيتها على أساسها الإسلامي لما احتل اليهود القدس ولما لحقت الهزائم بدعاة القومية والعصبية العار ظلماً بالمسلمين .

إن مصحفين من القرآن الكريم في جيب شهيدين من الفلسطينين أثار الذعر والخوف والهلع في قلب دولة اسرائيل فكيف إذا كانت المصاحف في الجيوب والقلوب والعقول .

إن الجنود اليهود يضعون كتابهم المقدس في كل دبابة وفي جيب كل جندي والعرب يخجلون من كتابهم ويهربوا من هويتهم خوفاً من أوهام التخلف والرجعية والتدين ولو رجعوا إلى الله كما يقول ممثل فتح — ونأمل أن يكون ذلك رأي المنظمة كلها — لحققوا نصراً أكيداً ولعادت القدس إسلامية .

إن المد الإسلامي يحتاج إلى توجيه في المسار الصحيح وعلى زعماء المسلمين ألا يغفلوا هذا الواقع الجديد وأن يتجهوا إلى الله فيبحثوا عن الوسائل الصحيحة للغايات الكبرى وألا يخشوا على قياداتهم إذا ما أخلصوا النية لله وتمسكوا بهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ولنا في باكستان قدوة حسنة ولكم نتمنى أن نسمع من ياسر عرفات رجوعاً عن ارضاء قوى الكفر في الدعوة إلى الدولة العلمانية في فلسطين فإسرائيل دولة دينية عقائدية في المقام الأول ، ولابد لنا من مواجهة العقيدة اليهودية بالعقيدة الإسلامية الصحيحة المؤيدة من الله سبحانه وتعالى ، وما انتصرت الأمم بقومياتها ولا بتراثها ولا بثقافاتها وحضاراتها ولكنها دائماً تنتصر بعقائدها والله يقول : « إن تنصروا الله ينصركم » ، « إنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون » صدق الله العظيم .

عباس محجوب

الانسان بين شريعة الله وقوانين البشر

أما جوهر القول ، وخلاصة الرأي الذي نذهب إليه فيتلخص في أن الأمور الإنسانية خاضعة لحكم الدين أولا وأخيراً . . وكل محاولة لإخضاع هذه الأمور للرأي والهوى يورث المجتمع الإنساني أشد الوبال . . ومن الرأي والهوى شيء يقال له : « إرادة الفرد » ومن أغرب الظاهرات في هذا الزمن أن نرى في بعض البلاد الإسلامية عرفاً مستقراً بتقديم القانون الوضعي على الشريعة الإسلامية ! ! ومن حول هذا القانون الوضعي ألف حاشية وحاشية : فهذا فقه . . وتلك مبادىء وأحكام . . وقضاء . . وجزاء وثواب . . والمصدر دائماً هو « إرادة المشرع » والمشرع الفرد يصدع بأمر هيئة تشريعية(١) والهيئة التشريعية تقوم مقام الأمة كلها . . فإذا اسقطنا الزيف عن هذا التركيب الروماني في أصله الغريب عن الإسلام في معظم مصادره وموارده ، لوجدنا « إرادة الفرد » هي الأساس في التقنين ؟ ؟

وبعبارة أخرى نقول : أن الفرد في زماننا لا يخاف مساماة الله في جبروته . . ويظن هذا الفرد بأنه قادر على أن يأتي – في شأن الأمور الإنسانية – بأوضاع وبأحكام أصلح مما جاءت به الشريعة . . ومن ثم كان تحديد الملكية بقانون ، وتشويه أحكام الشريعة بقانون ، وتحريم ملكية أداة الإنتاج بقانون ، إلى آخر مانعيش في ظله الكثيف الغريب عن الإسلام . . وأكبر خطر حل في بلادنا . . هو خبرة الخبراء . . فهؤلاء يقولون: إن القانون الوضعي هو الشريعة . . وانا أحرص على الشريعة منكم ياتلامذة المدارس القديمة . . وماكان قولهم هذا إلا بقصد المحافظة على رزق خبيث كفله خصوم الإسلام لإشباعهم . . قال المستشرق الإنجليزي « جب » في بعض مؤلفاته : لقد يئسنا من تنحية القرآن من حياة المسلمين . . مع أننا نجحنا في إثارة الشك من حول السنة ، ونجحنا في إحلال القانون الوضعي محل الشريعة . . ولكن بقي القرآن . . وإن املنا في

تنحيته بدوره . . معلق بجهود تلامذتنا فهم وحدهم القادرون على أن يرفعوا الصوت في مجتمعاتهم الخاصة بهم — لكي يخلصوا البشرية من بقية الرسالة التي جاء بها محمد « عليه الصلاة والسلام » وأريد بذلك : تنحية القرآن نهائياً عن الإسلام المهذب أو المتمشي مع اتجاهات العصر ، ثم يضرب هذا المستشرق مثلا مما تتعلق به أماله . . من التهجم على بعض قصص القرآن الكريم من سيرة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . . ويشيد بشجاعة الكاتب الذي اصطبغ بصيغة الفرنجة ونقل عنهم بغير وعي . . فأثار أمال الفرنجة وأخصب خيالهم بقرب ازاحة القرآن من الطريق . . طريق المسيرة العامة في العالم كله . . نحو فلسفة باثرة خاسرة ، لحمتها وسداها « المادية » .

(مجلة الدعوة القاهرية)

الزمن يعمل بصورة مدهشة لصالح الاسلام

تتابع الصحف الغربية حديثها عن التحرك الإسلامي في شتى أنحاء العالم وننقل اليوم ماكتبته صحيفة « لوبوان » الفرنسية بنصه ، وبدون تغيير في التعبيرات تقول الصحيفة :

« بإشارة من ماليزيا إلى المغرب . ومن داكار إلى كراتشي ، ومن بنغلاديش إلى أحياء السود في لوس إنجلوس ، دلل الإسلام دائماً على أنه يتمتع بقوة إيمانية تفوق قوته الزمنية » .

« وحسب تعاليم النبي » (١) فإن كل الناس متساوون كأسنان المشط ولا يجد القادة الدينيون صعوبة لكي يكشفوا عن عدم المساواة وعدم توفر العدالة الإجتماعية » .

« لا يفصل الإسلامي بين الزمني والروحي ، بين القوانين المدنية وأحكام القرآن ، بين السياسة والدين . وإذا لم يخلق المسيح وبوذا دولة ، فإن النبي محمداً — صلى الله عليه وسلم — قدم بنفسه نموذج الدولة الإسلامية في المدينة أولا ، ثم في مكة ، حيث مارس سلطانه كرجل دولة ورجل سماء في الوقت نفسه » .

« واليوم ، أكثر من أي وقت مضى ينتقل الإسلام إلى الهجوم في مواجهة معارضة . فمنذ عام ١٩٣٨ ، أعلن « رجال الدين » ! الابراهيميون أمثال إبن باديس والعقبي وسواهما في الجزائر ، بدء الإنتفاضة على الفرنسيين التي لم تلبث أن تحققت عام ١٩٥٤ . وكان الشعار الذي عمله « رجال الدين » هؤلاء للشبيبة الجزائرية بسيطاً جداً ومعبراً : « الإسلام ديني والعربية لغتي ، والجزائر وطني » .

الرائد الهندية

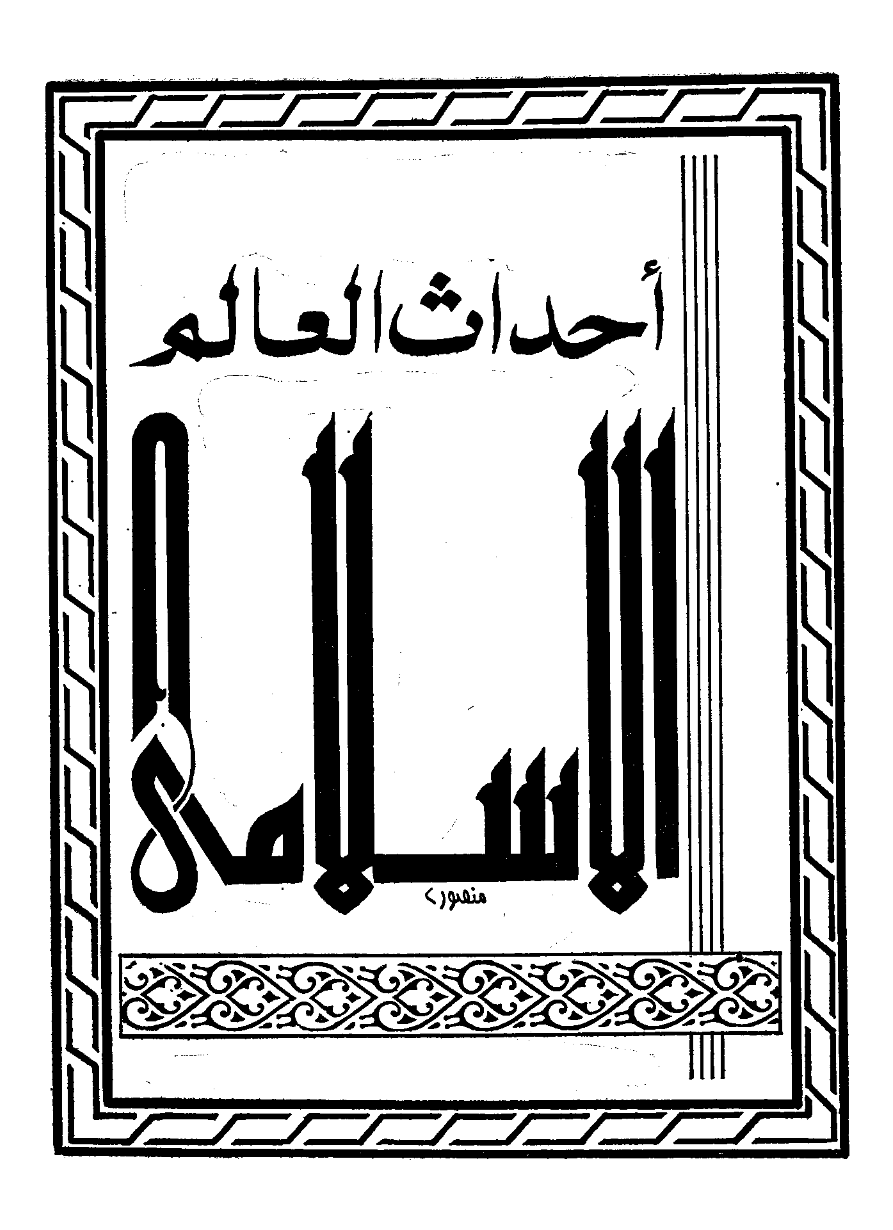
مجلة أكتوبر الرسميه تحذر من المد الاسلامي

القاهرة ـ حذر أنيس منصور رئيس تحرير مجلة أكتوبر القاهرية الأسبوعية إسرائيل من المد الديني الذي يجتاح المنطقة العربية والشرق الأوسط كله والذي من شأنه أن يؤدي إلى التعصب وإلى حكم رجال الدين أي إلى الدينوقراطية إذا صح هذا التعبير حسبما قال .

وقال أنيس منصور أنه تعصب أبناء الدين كان ضحاياهم أبناء الأقلية أو الديانات الأخرى حدث ذلك في لبنان وفي إيران وفي الهند وباكستان وبنغلاديش وفي تركيا . وأضاف قائلا أنه وراء ذلك أو تحته هناك التخطيط السوفياتي الذي يحيط بالمنطقة ويحيق بها أيضاً من كل الجهات مما يجعل نظرة أمريكا أكثر شمولية وهذا هو الخطر الحقيقي على إسرائيل فسوف لا تعمل لها أمريكا حساباً خاصاً .

وكالة الأنباء الفرنسية ـ الرائد الهندية

« عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والجلوس في الطرقات » فقالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر » متفق عليه .



أحداث العالم
الإسلامي
منصور

خطاب الرئيس محمد ضياء الحق رئيس دولة باكستان بعنوان

خطوات لتطبيق نظام الإسلام

(منصور)

فيما يلي الترجمة العربية لخطاب الرئيس الفريق محمد ضياء الحق الذى ألقاه على الأمة من على شاشة التلفاز والأذاعة المسموعة في الأول من محرم الحرام عام ١٣٩٩ ه :
أيها السيدات والسادة . .

السلام عليكم . . ! اليوم هو الأول من محرم الحرام وهو اليوم الأول من التقويم الإسلامى . . ولا يخفى احترام المسلمين لعظمة وحرمة محرم . . ان هذا الشهر يذكرنا بالأحداث العظيمة عندما لم يتردد المؤمنون الحقيقيون من تقديم التضحيات العظيمة لقضيتهم العظيمة . ان هذا الشهر يعلمنا ايضا الصبر والتجمل انى أناشد أبناء وطنى ان يتجملوا بالصبر والتفاهم المشترك والوحدة طيلة السنة ولا سيما خلال هذا الشهر وذلك لكى يمكننا ان نسير قدماً الى الأمام نحو غايتنا بثقة وتضامن عظيمين، وستغلق كافة دور السينما على الأقل في يومى ٩ و ١٠ من محرم كرمز على احترام محرم الحرام .

ان السنة الهجرية ١٣٩٩ قد جلبت معها خيرات وبركات جديدة . ان هذه السنة المباركة تبدأ بالأعلان عن تطبيق نظام الإسلام في هذه البلاد . لقد أدى مسلمو شبه القارة العهد على ادخال النظام منذ اليوم الأول الذى طالبوا فيه ايجاد وطن للمسلمين باعتبارهم أمة منفصلة . ومن المؤسف حقاً عدم تطبيق نظام الإسلام بالرغم من أن البلاد قد تأسست على ذلك الأساس . لقد استغل العديد من الشخصيات السياسية والحكام اسم الإسلام كما يشاءون وبالرغم من مضى اكثر من ثلاثين عاما فانهم لم يقدموا اى شيء يذكر في هذا الاتجاه .

وبامكاني القول بفخر وتواضع ان الحكومة الحالية منذ مجيئها الى السلطة وهى لا تترك مجهودا ألا وبذلته في سبيل تطبيق نظام الإسلام . وانه لشرف لى ولحكومتى وزملائي والمتعاونين معى اننى استطعت أن اقوم ببداية معينة حول تنفيذ نظام الإسلام وذلك بالاعلان عن بعض الخطوات التى اتخذت في هذا اليوم وعسى نظام الإسلام وذلك بالاعلان عن بعض الخطوات التى اتخذت في هذا اليوم وعسى الله تعالى ان يبارك جهودنا بالنجاح العظيم .

وقبل أن افسر هذه الخطوات فانني أجد ان من الضروري القول انه لا يوجد هناك أية شبهة حول تطبيق نظام الاسلام : ان نظام الإسلام هو دستور حياة اوحاه الله سبحانه وتعالى على آخر انبيائه محمد — صلى الله عليه وسلم — قبل ١٤ قرنا وقد سجل ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . إن كل مسلم مطالب اليوم أن ينظم حياته استناداً الى دستور الحياة في حياته الفردية والإجتماعية .

وكما قلت في مناسبات عديدة ان الاسلام لا يعتبر دستور الحياة التام فحسب بل هو طريقة الحياة يمكنها أن تتناسب مع تغير الأزمان . ومن أجل العثور على معالمها لدينا مصدران نسترشد بهما وهما القرآن الكريم والسنة النبوية . وفي القضايا التى لم تبحث في هذين المصدرين فان أمامنا الاجتهاد على أن يكون ذلك متمشيا مع روح القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ان الخطوات التى اعلن عنها اليوم هى مجهود للاستفادة من هذه الطرق الثلاثة .

أيها السيدات والسادة . .

ان الإسلام يتكون من ثلاثة اجزاء . الجزء الأول يتعلق بالمعتقدات التى بدونها لا يمكن للمرء ان يكون مسلماً وهذه المعتقدات خالية من أى عنصر من عناصر الأكراه . ويسمح الاسلام — في هذا المجال بالتبليغ (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) واحسن تبليغ هو بواسطة السلوك العملى .

أما الجزء الثاني فهو العبادات وهو أمر يعتقد العلماء ان الدولة بوسعها ان تجبر كل المؤمنين على ادائه . وفي الظروف الحالية لا تريد الحكومه اصدار أية أوامر لا يمكن ان تطبق بصورة فعالة . ان الصلاة ذات أهمية أساسية بين العبادات . واذا اعلنت الحكومة اعتباراً من غد ان آداء الصلاة أمر على كل مواطن مسلم في هذا البلد فهل بوسعها ان تدخل بيوت ٧٠٠ مليون مسلم لتجد من أدى الصلاة ومن لم يؤ ديها ؟ . .

انني لا أقول ذلك لاتحاشى الموضوع ، لانني اعلم ان بوسع الحكومة ان تطبيق الصلاة جزئيا اذا لا تقدر على ذلك كلياً . غير اننا نود في هذا الوقت بالذات ان نعتمد على الاقناع وليس على الاجبار . وسنبدأ بخطوة الى الامام في هذا المضمار في المؤسسات الحكومية . واصدر الآن توجيهات بضرورة اعداد الترتيبات خلال اسبوع لآداء الصلاة في كافة المؤسسات الحكومية خلال ساعات العمل . وأنا اتوقع من كافة رؤساء الأقسام ان يكونوا قدوة لموظفيهم بآداء الصلاة ان لم يقدروا على امامة الصلاة بأنفسهم . ثانيا : أود ان التمس ان نؤدى الصلاة في أوقاتها بصورة فردية أو جماعية وان نقنع عائلتنا واقربائنا على آداء الصلاة واذا تمكنا من آداء الصلاة فاننا نكون قد قطعنا نصف الطريق في مجال العبادات .

وكمثال فان آداء صلاة الجمعة هو امر حيوى . وفي الوقت الذى افضل فيه شخصيا ان تكون العطلة الأسبوعية يوم الجمعة فانني لا اعتقد انه من الضروري ان تغلق كافة المؤسسات والأقسام الحكومية والمصانع والحوانيت والشركات التجارية يوم الجمعة . وربما يكون من المناسب بغض النظر عن المكاتب الحكومية

ان تنظم كافة المؤسسات الأخرى أعمالها الأسبوعية بصورة يضمن استمرار نشاطات العمل خلال كافة أيام الأسبوع . وعندما يحين وقت صلاة الجمعة فلا بد ان تغلق كافة الحوانيت ومراكز الأعمال استناداً الى التعليمات الإسلامية .

وفي هذا المجال اتذكر مثيل ذلك في بعض الأقطار الإسلامية حيث تتوقف كل الأعمال عندما يسمع الناس الآذان وبذلك يعرف كل غريب وكل زائر أنه في دولة إسلامية . وارغب ان نحول يوم الجمعة على الأقل الى مناسبة كبيرة هى صلاة الجمعة بدلا من أن نجعلها عطلة . يجب أن نجعلها تجمعاً يوحى الى التوحيد كل جمعة كما رأينا مناظر الصلاة التراويح (في شهر رمضان المبارك) التى تطمئن لها القلوب خلال السنة الماضية . وسأرى يوم الجمعة القادمة مدى استجابة المؤمنين لندائي هذا .

أما القسم الثالث من الاسلام فيتعلق بالقوانين وبعضها شخصية بينما الأخرى عامة . أما فيما يتعلق بالقوانين الشخصية فان المحاكم تقوم فعلا بحسم القضايا استناداً إلى معتقدات كل مواطن وسنستمر بهذه العملية في المستقبل أيضا . وما يدور في ذهننا يتعلق معظمه بالقوانين العامة وأريد تطبيق كافة القوانين المتعلقة بالرفاهية العامة : اعنى بذلك مؤسسات الزكاة والعشر وهى أعمدة هامة للنظام الأقتصادى الإسلامى . ان احدى الأسباب التى أدت إلى التأخير في تطبيق النظام الإسلامى هى ضرورة القيام بأعمال ضخمة فيما يخص بالمجال الاقتصادى . فليس لدينا طرقاً عملية لتقدير الموارد التى نستمدها من الزكاة والعشر . ولا نعرف بالضبط النسبة التى يمكن ان تعطيها الزكاة والعشر من احتياجاتنا الوطنية والمبالغ الأخرى المطلوبة وفيما اننا نحتاج الى ضرائب اخرى بالأضافة الى الزكاة والعشر لتغطية المصاريف الوطنية . وان من المهم ان اذكر انه لابد من تغيير نظام الريع الحالى من أجل تطبيق نظام العشر .

أما فيما يتعلق الأمر بالزكاة فان الموضوع الرئيسى هو موضوع الثقة وهو أمر يختص بالجميع على اختلاف درجاتهم . ان عليهم ان يدركوا ان الأموال المكتسبة بالجهد الكبير والتى يدفعونها على شكل زكاة ستجمع بالأسلوب الصحيح وتصبح للشخص المستحق وتنفق للأغراض المشروعة .

وفي هذا الخصوص أحب أن أذكر اننى شكلت فعلا لجنة تتكون من بعض الوزراء الاتحاديين ورئيس مجلس الفكر الإسلامى وتقوم هذه اللجنة باستعراض نظام الزكاة والعشر وانشاء الله سترفع هذه اللجنة توصياتها الى الحكومة .

ومن المواضيع المهمة الأخرى هى الغاء نظام الربا ويبحث هذا الموضوع خبراء ذوى تفكير اسلامى وحالما سيجد هؤلاء حلا عملياً ستطبق انشاء الله النظام الأقتصادى الاسلامى .

أما في الوقت الحاضر فاننى اعلن الخطوات التالية :

١ — الغاء الربا على المبالغ المستلفة من الموارد الحكومية .

٢ ــ عدم استيفاء أية فوائد على القروض الممنوحة لموظفى الحكومة من درجة ١ إلى درجة ١٥ بواسطة مؤسسة تمويل بناء البيوت .

٣ ــ ستقوم مؤسسة الاستثمار القومى باستراتيجية جديدة في المستقبل على أساس المشاركة على قدم المساواة وليس على اساس الربا .

وبالاضافة الى ذلك قمت بتوجيه وزارة المالية باعداد برنامج عملى خلال شهر واحد لأجل ازالة لعنة الربا المستحصل من القروض التى تقدمها مؤسسة تمويل بناء البيوت المعطاة للاشخاص غير موظفى الحكومة المذكورين أعلاه وان تجعل هؤلاء من ممتلكى الأسهم بما يتناسب والاستثمار التى تقوم به المؤسسة .

أما الان فانى اعود الى الخطوات التى اكمل العمل الأولى بالنسبة لتحقيقها . ان الاعلان عن هذه الخطوات هو امر ضرورى لأن تأخير الأعلان عنها لمدة بضعة أشهر قد جعل العناصر الانتهازية تقوم بدعاية مضللة وهى أن الحكومة الحالية تعطى وعوداً كاذبة حول تطبيق نظام الإسلام مثلها مثل الحكومات السابقة . ان هدف خطابي هو الأعلان عن الخطوات التى اكملت وان نعلمكم عن الخطوات التى نمر بها . ان الخطوات التى حسمت هى كالتالى :

١ ــ ستؤسس « هيئة شريعة » في كل أقليم على مستوى المحكمة العليا و « هيئة شريعة استئنافية » على مستوى محكمة الأستئناف العليا وذلك بالاضافة الى المحاكم الحالية . وفي هذه الخصوص سأصدر قانوناً رئاسيا ستقرأ محتوياته في الصحافة

٢ ــ ن رئيس القضاة لكل محكمة عليا أو محكمة الاستئناف العليا سيقترح تشكيل لجنة من القضاة لتشكيل كل « هيئة شريعة » من بين هؤلاء ثلاثة قضاة جيدوا الالمام في الشريعة الاسلامية والفقه . وسيعين هؤلاء كأعضاء للهيئة .

٣ ــ من حق الحكومات الاتحادية والاقليمية وكل مواطن ان يطرح أى قانون سنته الحكومة أمام الهيئة لتقرر هل هو اسلامى أم غير اسلامى . وبوسع كل هيئة شريعة أن تعيد النظر في صيغة القوانين دون أن يطرح ذلك عليها .

٤ ــ الغاء رسوم المحكمة على أى طلب يقدم إلى هيئة الشريعة .

٥ ــ ستضم كل هيئة شريعة هيئة علماء ومحامين وستضم الهيئة فئة خاصة من العلماء الجيدى الالمام بالحديث والفقه والمؤهلين على البت في قضايا الشريعة كما سيعين أولئك المحامون المسجلون في محكمة الاستئناف العليا أو الذين عندهم خبرة ٥ سنوات على الأقل في المحاكم العليا وسيتم تعيين هذا الصنف من المحامين اعضاء في هيئات سشريعة .

٦ ــ ان طريقة عمل هيئة الشريعة سيكون اسلامياً في طبيعته وسيقوم العلماء والمحامون والشهود الذين

يمثلون أمام هذه الهيئات بمساعدتها على توضيح القانون تحت المناقشة وشرح وجهة النظر الاسلامية بدلا من النقاش في صالح هذه القوانين أو ضدها . هذا بالأضافة إلى أن الهيئة لها صلاحيات دعوة عالم أو فقيه أو محامى أو مفكر أو باحث من نفس البلاد أو من خارجها . وانى آمل ان ينضم القضاة المتقاعدون الذين عملوا في المحاكم العليا والمتمكنين من القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه إلى هذه الهيئات بصفة خبراء .

٧ — لكل هيئة شريعة صلاحيات المحاكم المدنية ولها حق طلب أى شهود أو وثائق أو مواد اخرى .

٨ — ان أقدم عضو في الهيئة يعتبر رئيسها وتقوم الهيئة بالاعلان عن اقرارتها على أساس الأغلبية .

٩ — وفي حالة عدم اقتناع أى فرد بحكم هيئة الشريعة فبامكانه ان يثير الموضوع في هيئة الشريعة الاستئنافية .

١٠ — لا يمكن تحدى قرارات هيئة الشريعة أو هيئة الشريعة الاستئنافية في محكمة الأستئناف العليا أو المحاكم العليا أو في أية محاكم أخرى .

١١ — تنشر قرارات « هيئة الشريعة » في المجلة الرسمية . وستبين الهيئة في حكمها المواضيع غير الإسلامية للقانون وتستشهد بالأدلة لنعزز رأيها .

١٢ — يتحتم على الحكومة أن تعدل القوانين المعنية ضمن الوقت المعين استناداً الى قرارات الهيئة لتحول القوانين الى أخرى تتفق مع الشروط الاسلامية .

١٣ — تدفع الحكومة كافة المبالغ التى تصرفها هيئة الشريعة وهيئة الشريعة الاستئنافية والعلماء والمحامون والخبراء . . الخ .

لقد كان هذا عن تأسيس « هيئات الشريعة » وسلطاتها القضائية وطريقة عملها .

ان الخطوات التى ذكرتها هى جزء من مجهودات عامة تبذلها الحكومة من أجل تأسيس مجتمع اسلامى . ومن أجل تحقيق هذا الغرض يتوجب علينا أزالة الآثار غير الاسلامية من طريقة حياتنا واقتصادنا ومن نظامنا الشرعى والتربوى والثقافي وتحول كل ذلك إلى نظم تستل من تعاليم الاسلام ، اليوم نتخذ الخطوة العملية نحو مصيرنا الفكرى الذى حدده المسلمون تحت قيادة القائد الأعظم الحكيمة منذ ٣٨ عاما مضت .

وأوجد — بفضل الله تعالى — الجو الملائم اليوم لنظام الإسلام ولذلك فان كل الخطوات صغيرها وكبيرها ستكون بهذا الاتجاه وان كل الحكومات الحالية وفي المستقبل ستسير بهذا الطريق لتحقيق نفس الغرض . ولان مصيرنا كان نظام الاسلام فان مصيرنا الآن وفي المستقبل هو نظام الاسلام أيضاً . .

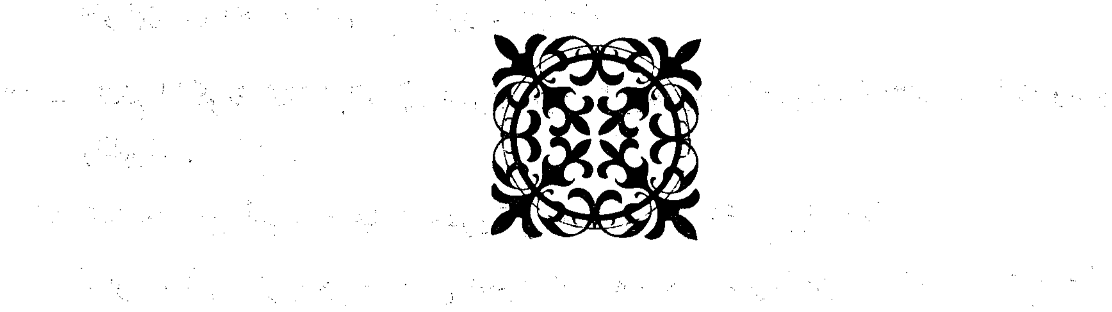
عاش نظام الإسلام . .   عاشت باكستان . .

تعليق المجلة :

خطاب رئيس دولة باكستان الإسلامية نقدمه للمسلمين بعامة وحكامهم بخاصة . . آملين ان يكون الإيمان بصلاحية الاسلام نظاما ومنهج حياة ودستور أمة هو المنطلق لبناء الخطوات التى يمكن ان تحول واقع الأمم الإسلامية من واقع يعيد على الإسلام الى واقع مستمد من الاسلام ومنطلق منه ، وقد يختلف الناس على الخطوات التى يمكنها تغيير هذا الواقع باختلاف بلدانهم ومدى قرب عاداتهم ونفسياتهم من الاسلام ولكنهم لا يختلفون على الأسس والأهداف التى ينبنى هذا الواقع عليها لأنها مأخوذة من الكتاب والسنة .

ويمكننا أن نستفيد من خطوات باكستان ومن الخطوات المطروحة والتى يمكن ان تطرح ، والمهم هو اخلاص النوايا لله والاتجاه اليه والسعى لإعلاء كلمته في الأرض ، . . « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . . صدق الله العظيم . .

« اسرة التحرير »



برقـية

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى حضرة الأخ المكرم رئيس تحرير مجلة الجامعة الاسلامية . . المحترم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . .

نبعث اليكم مع هذا صورة من البرقية المرسلة منا الى فخامة رئيس الحكومة الباكستانية محمد ضياء الحق المتضمنة التهنئة ببدء العمل بأحكام الشريعة الاسلامية . . أرجو نشرها في (مجلتكم) اشادة بالحق وانتصاراً له . . وفقكم الله لكل خير . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
ورئيس المجلس الأعلى العالمى للمساجد

فخامة رئيس حكومة باكستان الإسلامية . . محمد ضياء الحق . .

نصر الله به دينه . . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لقد سمعنا ما تناقلته الاذاعات والصحف من اعلان فخامتكم تحكيم الشريعة الاسلامية في باكستان فسرنا ذلك كثيرا كما سر كل مسلم على وجه الأرض وانه ليسرني ان اعرب لفخامتكم عن شكرى وعظيم تقديرى لهذا العمل الجليل الذى يرضاه الله ورسوله ويرضاه كل مسلم وهو الواجب عليكم وعلى جميع حكام المسلمين فجزاكم الله خيرا وامدكم بتوفيقه ونصركم ونصر الحق بكم .

وأنا وجميع المسلمين نشارك الشعب الباكستاني بالفرحة العظيمة والسرور البالغ بهذا النبأ العظيم الذى انشئت من اجله الباكستان ولم يزل ابناؤها المخلصون ينتظرون ذلك ويبذلون في تحقيقه كلما أمكنهم من الوسائل حتى يسره الله على يد فخامتكم مهنئا لكم بهذه المنحة العظيمة والنعمة الكبرى ويحق لنا جميعا أن نفرح بذلك ونسر به ونشكر الله عليه عملا بقوله الله سبحانه : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » . . فسيروا على بركة الله والله ناصركم ومؤيدكم ما دمتم تنصرون دينه وتحكمون شريعته كما قال الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقال عز وجل : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » . . ولا شيء أحسن من حكم الله العالم بأحوال عباده ومصالحهم في العاجل والآجل كما قال عز وجل : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

وفقكم الله وثبتكم على الحق . . واكثر اعوانكم فيه . . انه سميع قريب . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

من أحداث العالم الإسلامي

بقلم الدكتور عبد الرحمن العدوي / مستشار التعليم بالجامعة الإسلامية

في هذا العالم الذى تسرع فيه مفاجآت الأحداث بحيث لا يكاد الإنسان ينتهى من سماع خبر أو حدث هام في منطقة من مناطق العالم إلا ويسمع غيره اكثر خطورة واشد تأثيرا . .

والعالم الإسلامى كجزء من هذا العالم الذى نعيش فيه . . أصبح يموج بالأحداث المتلاحقة التى تستوجب حركة سريعة منضبطة بما يؤمن به أهله من عقيدة راسخة واخوة في الإيمان ونظام متكامل رسمته شريعة الاسلام . . وفي السطور التالية نعرض لأهم هذه الأحداث :

١ — اعلان حكومة الباكستان تطبيق الشريعة الاسلامية :

إن الأساس الذى قامت عليه دولة الباكستان يوم اعلانها وانفصالها عن الهند هو أن تكون ارضا للمسلمين لهم فيها حرية اختيار النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى ينبثق من تعاليم دينهم الاسلامى وحتى لا تضيق صدورهم بما يمارسه الهندوك من عبادات ومعتقدات فاسدة .

ولقد حقق هذا الهدف الجليل رئيس دولة الباكستان ضياء الحق عندما أعلن أنه سيطبق الشريعة الاسلامية في الأحكام ويتخذها نظاما شاملا في حياة الباكستان ، وقد كان لهذا الاعلان أثره الطيب في نفوس المسلمين في كل مكان وسارعت الوفود الاسلامية إلى باكستان تهنئ رئيسها وشعبها بتوفيق الله لهم في هذه الخطوة المباركة . وكان وفد رابطة العالم الإسلامى برئاسة سماحة الشيخ محمد الحركان من أول الوفود التى سافرت إلى باكستان للتهنئة وتقديم الخبرة والمشورة والاستعداد للمعاونة الصادقة في تيسير تنفيذ هذا العمل العظيم

واننا نهنئ شعب باكستان المسلم على ما اكرمه الله به من العودة إلى شريعته السمحة واتخاذها نظاما لحياته . . وفق الله المسلمين ليحذو حذو باكستان المسلمة لتطبيق شريعة الله ليسعدوا في الدنيا والآخرة .

٢ — القدس ومفاوضات السلام :

إن المسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها وهو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج وهو قبلة المسلمين في صدر الإسلام قبل أن تتحول القبلة إلى المسجد الحرام .

والمسلمون في كافة بقاع الأرض يعرفون هذه المنزلة للقدس الشريف والمسجد الأقصى فيه وهم لذلك يرون أن التفريط في شيء منه تفريط في مقدساتهم الدينية وتجتمع كلمتهم على ذلك .

وإن مفاوضات السلام التي تجرى في هذه الأيام لا يمكن أن تحقق سلاما دائما بين الغاصبين واصحاب الحق إذا ما استمر هؤلاء الغاصبون على حرمان اصحاب الحق من حقهم واصروا على ادعــاء ملكية ما اغتصبوه منهم .

وليعلم جميع الأطراف أن المسلمين يعلمون أن عليهم واجبا دينيا لانتزاع أرضهم ومقدساتهم من أيدى الأعداء وأنهم عازمون على ذلك مهما طالت الأيام وقامت العقبات .

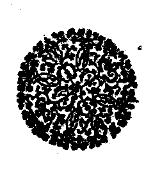
وإن اليقظة الاسلامية التي ظهرت بوادرها في بقاع شتى من أرض المسلمين كفيلة بأن توحد كلمتهم وتوقظ همتهم وتجمع قواهم لانتزاع حقهم السليب وتحقيق العزة لهم والنصر على اعدائهم « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

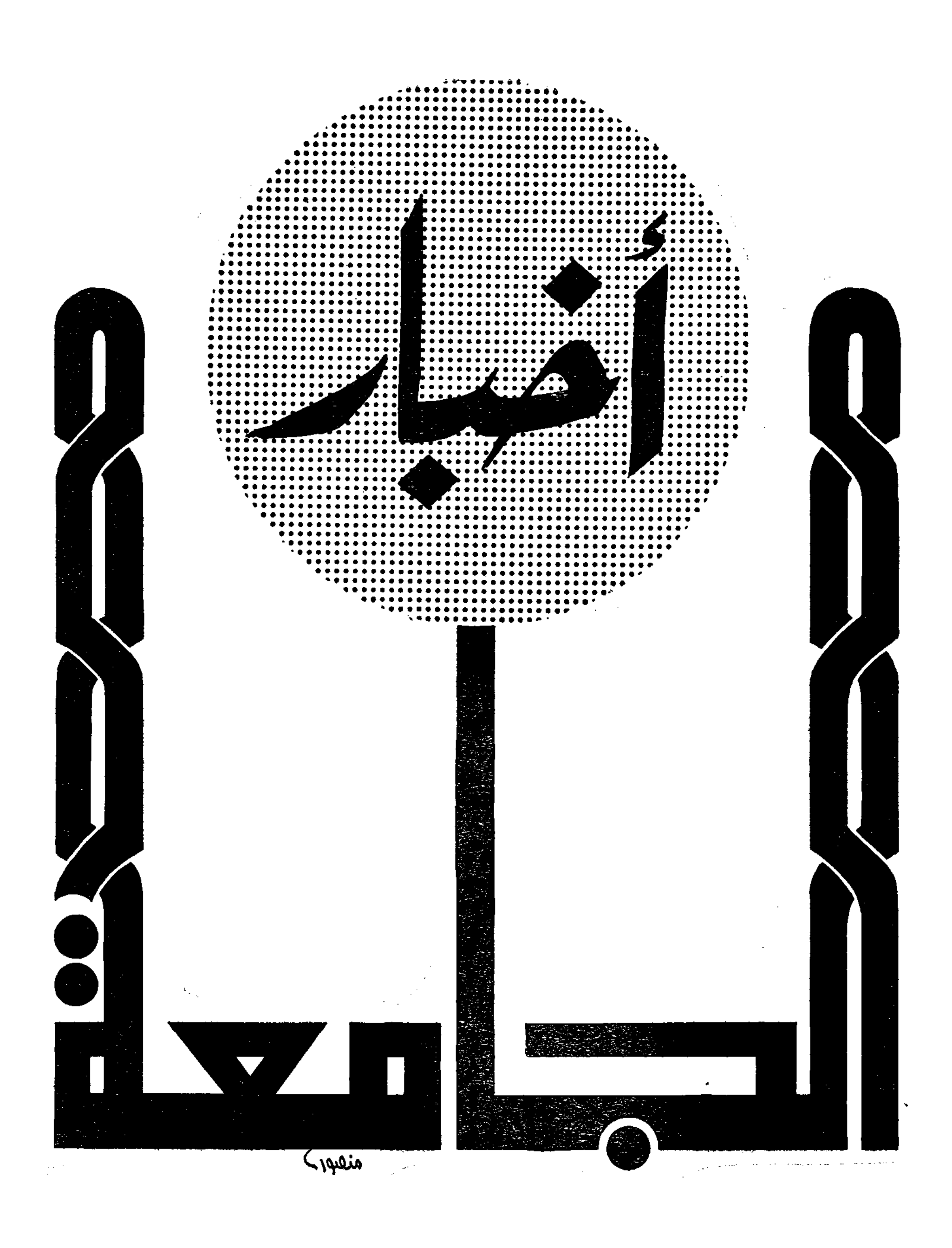
٣ ــ مقاومة المد الشيوعى في افغانستان :

أصيبت افغانستان المسلمة بنكبة شيوعية أقامت نظاما عميلا يستند إلى الدولة الشيوعية الملحدة التي ذاق المسلمون من ويلاتها شرورا وآثام كثيرة .

غير أن اليقظة الاسلامية في افغانستان أبت أن تستكين لهذا الحكم الشيوعى الذى يدمر عقيدة المسلمين ويحارب عباداتهم ويقضى على مقومات حياتهم فتجمعت الهيئات الإسلامية واتفق زعماؤها على أن يكونوا يدا واحدة لمواجهة هذا الخطر الزاحف وقد ظهرت بشائر النصر حيث تمكنوا من تحرير عدد من المقاطعات السبعة ولا زال الكفاح المسلح مستمرا .

وإن النظام الشيوعى في افغانستان الذى يؤيده وتؤازره الشيوعية العالمية سوف يندحر بإذن الله تعالى أمام كتائب المسلمين المجاهدين وعلى الأمة الإسلامية كلها واجب المساعدة ومد يد العون بكل الوسائل لهؤلاء المجاهدين حتى يتم لهم النصر وتعلو كلمة الاسلام في هذا البلد الاسلامى العزيز على نفوس جميع المسلمين.




أخبار
الجامعة



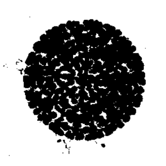
تسير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بخطوات ثابتة نحو تحقيق اهدافها العليا في خدمة الاسلام والمسلمين ، ويتمثل هذا التقدم في الخطوات في كثير من القرارات التي تتخذ والآمال التي تترجم الى واقع ونواحي التغيير والتجديد التي تعيشها الجامعة عاما بعد عام .

ويسر مجلة الجامعة الإسلامية ان تنشر البحــوث المسجلة في قسم الدراسات العليا بالجامعة على مستوى الدكتوراه والماجستير وذلك لأتاحة الفرصة لطلاب الدراسات العليا في الجامعات على معرفة الموضوعات المسجلة في الجامعة حتى لا تتكرر الرسائل أو حتى يعرف الجديد الذى يمكن ان تضيفه هذه الرسائل ، ومن اخبار الجامعة الجديدة ما يلي :

— صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٢٨ وتاريخ ١٣٩٩/١/٢٤ هـ بتعيين فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته عضو هيئة التدريس بالجامعة أمينا عاماً للجامعة لمدة ثلاث سنوات .

— تم تشكيل مجلس علمى في الجامعة يتولى الاشراف على تشجيع البحوث العلمية وتحقيق كتب التراث الاسلامى والعناية بنشرها ليتيسر الاستفادة منها .

— نوقشت في قاعة المحاضرات بالجامعة الاسلامية مساء يوم الاربعاء ١٣٩٩/٢/١٩ هـ رسالة الطالب مقبل بن هادى الوادعى اليمنى المقدمة للحصول على درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا بالجامعة شعبة السنة وموضوعها تحقيق كتابي الالزامات والتتبع للحافظ الدارقطنى ، وقد اشترك في مناقشة الرسالة الدكتور محمد مصطفى الأعظمى عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة الرياض والدكتور اكرم ضياء العمرى رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة والدكتور سيد الحكيم الأستاذ بقسم الدراسات العليا بالجامعة والمشرف على الرسالة وقد اوصت اللجنة منح صاحب الرسالة درجة الماجستير بتقدير جيد جدا .



تحديد مواعيد الامتحان في الجامعة

حدد مجلس الجامعة بجلسته بتاريخ عام ١٣٩٩/١/٦ هـ مواعيد الاختبارات في ٩٩/٩٨ هـ على النحو التالى :

أ) اختبار نهاية الفصل الدراسى الاول بالنسبة للكليات والمعاهد والدور في يوم السبت ٩٩/٣/٢٧ هـ الموافق ٢٤ فبراير سنة ٧٩ وتتوقف الدراسة لمدة اسبوع اعتبارا من يوم السبت ١٣٩٩/٣/٢٠ الموافق ١٧ فبراير ١٩٧٩ استعدادا للاختبار .

ب) تبدأ اجازة نصف السنة اعتبارا من يوم الأربعاء ٩٩/٤/٩ هـ الموافق ٧ مارس ١٩٧٩ م .

جـ) يبدأ الفصل الدراسى الثاني في يوم السبت ٩٩/٤/١٩ الموافق ١٧ مارس ١٩٧٩ م .

د) تنتهى الدراسة في الفصل الدراسى الثاني بنهاية يوم الأربعاء ١٣٩٩/٧/١١ هـ الموافق ٦ يونيو ١٩٧٩ م .

هـ) يبدأ امتحان الفصل الدراسى الثاني في يوم السبت الموافق ٩٩/٧/٢٨ هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٩٧٩ م .

و) تبدأ الأجازة الصيفية بالنسبة لقسم الدراسات العليا والكليات في يوم الأربعاء ٩٩/٨/١٧ هـ الموافق ١١ يوليو ١٩٧٩ م أما بالنسبة للمعاهد والدور تبدأ في يوم الأربعاء الموافق ١٣٩٩/٨/٢٤ هـ الموافق ١٨ يوليو ١٩٧٩ م .

ز) على جميع المدرسين أن يكونوا موجودين بالجامعة في يوم الاثنين الموافق ٩٩/١٠/١٩ هـ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٩٧٩ م أما بالنسبة لمدرسى المعاهد والدور التابعة للجامعة ففى يوم السبت الموافق ١٣٩٩/١١/١ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٩ م .

ح) تبدأ امتحانات الدور الثاني لجميع المراحل في الجامعة في يوم الاثنين الموافق ٩٩/١١/٣ هـ الموافق ٢٤ سبتمبر ١٩٧٩ م .

ط) تبدأ الدراسة للعام الدراسى ١٤٠٠/١٣٩٩ هـ في يوم السبت الموافق ٩٩/١٢/٢٠ هـ الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٧٩ م .

ى) يمنح الطلاب تأشيرة العودة الى ٩٩/١١/١٨ هـ الموافق ٩ اكتوبر ١٩٧٩ م للاستفادة منهم في توعية حجاج بلادهم ولضمان وجودهم في بداية العام الدراسى .

هذا وقد حصل تغيير فى ميعادفتح الجامعة حسب المرسوم الملكى الموجه بذلك .

الموسم الثقافي لمحاضرات الجامعة الإسلامية لعام ١٣٩٩/٩٨ هـ

رقم المحاضرة	ميعاد المحاضرة	عنـوان المحاضرة	اسم المحاضر
المحاضرة الأولى	٩٩/١/٢٠	الى الذين يحادون مفاتح الغيب باسم العلم الحديث	الشيخ/عبد الفتاح عشماوى
« الثانية	٩٩/١/٢٧	كيف سلمت الدولة الاسلامية من تآمر يهود بني قريظة وخيبر عليها	الدكتور/جاد محمد رمضان
« الثالثة	٩٩/٢/٥	تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى	الدكتور/ فا . عبد الرحيم
« الرابعة	٩٩/٢/١٢	مشاهداتي في جزر الفلبين	الشيخ/محمد المجذوب
« الخامسة	٩٩/٢/٢٦	التربية في الاسلام	الشيخ/ابو بكر الجزائرى
« السادسة	٩٩/٣/٣	حقيقة الاسراء والمعراج	الشيخ/ ابوطالب شاهين
« السابعة	٩٩/٣/١٠	الرعيل الاسلامى الاول وكيف أوجـده الاسلام	الدكتور/ عبد الفتاح عاشور
« الثامنة	٩٩/٣/١٧	مقتضى النواهى كما فهمه السلف الصالح	الدكتور/ عمر عبد العزيز
« التاسعة	٩٩/٤/٢٣	النفاق وضرره	الشيخ على الحذيفى
« العاشرة	٩٩/٤/٣٠	المرتكزات الاساسية للتربية الاسلامية	الدكتور عباس محجوب
الحادية عشرة	٩٩/٥/٧	مع الأيام الأخيرة لصلاح الدين	الدكتو/ احمد الاحمد
الثانية عشرة	٩٩/٥/١٤	عبد الله سبأ حقيقة لا خيال	الدكتور/سعد الهاشمى
الثالثة عشرة	٩٩/٥/٢١	الكمال والشمول في الشريعة الإسلامية	الشيخ/ كمال على فقيه
الرابعة عشرة	٩٩/٥/٢٨	جهود المحدثين في تحمل السنة وأدائها	الدكتور/ محمود ميره
الخامسة عشرة	٩٩/٦/٦	منزلة السنة في التشريع الاسلامى	الشيخ/ محمد أمان بن على

مرحلة الدكتوراه

قسم : السنة

مسلسل	الاســم	الجنسية	عنــوان الرســالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
١	نايف هاشم دعيسى	سعودى	المقصد العلمى في زوايد ابي يعلي الموصلي من أول الكتاب الى باب الأدب عندزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم .	د. أكرم العمرى	
٢	محمد عبد الرحمن الاهدل	يمنى	كتاب رسوخ الاحبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار « دراسة وتحقيق »	د. اكرم العمرى	
٣	ذيب مصرى القحطاني	سعودى	الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى .	د. السيد الحكيم	
٤	عبد العزيز راجى الصاعدى	سعودى	تحقيق كتاب البعث والنشور للبيهقى	الشيخ حماد الأنصارى	

مرحلة الماجستير المسجلون عام ١٣٩٦/٩٥ هـ

مسلسل	الاســـم	الجنسية	تاريخ الالتحاق	عنـــوان الرســـالة	اسم المشرف عليها	تاريخ مناقشتها
١	مقبل بن هـــادى	يمـــنى	٢٣-١١-١٣٩٥	تحقيق كتاب الالزامات والتتبع للحافظ الدارقطنى	د. سيد الحكيم	١٩-٢-١٣٩٩ جيد جدا
٢	ابراهيم بن ابراهيم قريبى	«	٢٣-١١-١٣٩٥	تحقيق مرويات غزوة بن المصطلق	د. اكرم العمرى	
٣	احمد محمد العليمى باوزير	يمنى جنوبي	٢٣-١١-١٣٩٥	تحقيق مرويات غزوة بدر	د. السيد الحكيم	
٤	عبد الرحمن احمد عبده	يمـــنى	٢٣-١١-١٣٩٥	تحقيق الاحاديث الواردة في المواريث		
٥	عبد العزيز محمد العبد اللطيف	سعودى		دراسة الاحاديث المخصصة لعموم آيات السور الاربع الطوال – البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، في الكتب الستة	د. مصطفى زيد ثم د. عمر عبد العزيز ٧-١١-٩٨	
٦	عبد الله بحر الدين	تشادى	٢٣-١١-١٣٩٥	الوضع والوضاعون – تغير الى تحقيق(مخطوطة كتاب خصائص افضل المخلوقين)	د. محمود ميره	
٧	عواض احمد الشهرى	سعودى		تحقيق مرويات غزوة خيبر	د. السيد الحكيم	
٨	محمد عبد الرحمن شميلة	يمـــنى		دراسة أحاديث نكاح المتعة (مرويـــات نكاح المتعة)	د. محمد امين المصرى ثم د. اكرم العمرى	١٦-٧-١٣٩٨ ممتــــاز
٩	محمد سعيد عمر ادريس	سوداني	٢٣-١١-١٣٩٥	تحقيق رسائل ثلاث لأبي عبيد الاجرى	الشيخ حماد الانصارى	
١٠	حسين احمد الباكرى	يمنى جنوبي		تحقيق مرويات غزوة أحد	د. اكرم العمرى	

م١٠	لاسم	الجنسية	تاريخ الالتحاق	عنوان الرسالة	اسم المشرف عليها	تاريخ مناقشتها
١١	نايف هاشم الدعيس	سعودى		تحقيق مخطوطة (اخطأ من اخطأ على الشافعى) للبيهقى	د. محمد امين المصرى ثم د. اكرم العمرى	١٧ـ٦ـ١٣٩٨ ممتاز
١٢	يوسف محمد الدخيل	سعودى		سؤالات الترمذى للبخارى	د. محمود ميره ثم الشيخ حماد الانصارى	
١٣	احمد بن عيسى احمد	سعودى		دراسة المرويات الواردة بشأن الدجال في الكتب الستة وتحقيقها	الشيخ حماد الانصارى ثم د. سيد الحكيم	
١٤	مرزوق هياس الزهراني	سعودى		مرويات عكرمة مولى ابن عباس في الجامع الصحيح للبخارى	الشيخ حماد الانصارى	
١٥	مصطفى سعيد خالد	اردني	٢٣ـ١١ـ١٣٩٥	تحقيق مخطوطة (انبات عذاب القبر) لاحمد بن الحسين البيهقى	د. مصطفى زيد ثم الشيخ حماد الانصارى	

مرحلة الماجستير المسجلون ١٣٩٧/٩٦ هـ

م	الاسم	الجنسية	عنوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
١	محمد راضي بن حجاج حاج عثمان	ماليزى	من تكلم فيه الدارقطنى من الضعفاء في كتابي الضعفاء والسنن . المتروكون ومروياتهم في سنن الدارقطنى	الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد	
٢	محفوظ الرحمن زين الله	هنـــدى	تحقيق مخطوطة مختصر العلل المتناهية	د. محمود الميره	
٣	عبد الرحيم محمد احمد	سعودى	تحقيق مخطوطة الكنى و الأسماء لمسلم بن الحجاج	الشيخ حماد الانصارى	
٤	محسن احمد الدوم	يمـــنى	فتح مكة ــ دراسة حديثة	د. عبد المنعم حسنين ثم د. اكرم العمرى	٧ـ١١ـ٩٨
٥	اكرم حسين على	باكستاني	حلاء بنى قينقاع وبنى النضير ــ دراسة حديثية غير الى (تحقيق الاحاديث الواردة في شأن اليهود في المدينة في عهد النبوة)	الشيخ محمد أمان ثم د. اكرم العمرى	٧ـ١١ـ٩٨
٦	عبد الرحمن صالح محى الدين	سعودى	ما تفرد به الترمذى وحسنه	الشيخ عبد المحسن العباد ثم د. محمود ميره	٧ـ١١ـ٩٨ هـ
٧	صالح احمد الوعيل	يمـــنى	تحقيق مخطوطة الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين	د. اكرم العمرى	
٨	محمد على قاسم	اردني	تحقيق الجزء الثالث من سؤالات ابي عبيد الآجرى لأبي داود	د. محمود ميره	

٩	محمد عبد الرحمن عبده	يمـــنى	تخريج الاحاديث الواردة في تفسير ابن كثير (سورة الرعد)	الشيخ محمد أمان ثم د. سيد الحكيم	٧-١١-٨٩ هـ
١٠	محمد صالح الفلاح	سعودى	ابو موسى المدني محدثا مع تحقيق نزهة الحـــافظ والفوائد	د. عبد المنعم حسنين ثم د. اكرم العمرى	٧-١١-٩٨ هـ
١١	مصطفى سى يعقوب	ساحل العاج	بر الآباء بالأبناء والأبناء بالآباء . دراسة حديثية	الشيخ محمد أمان ثم د. سيد الحكيم	٧-١١-٩٨ هـ
١٢	محمد على محمد صالح	سوداني	تخريج الاحاديث الواردة في سورة الفرقان في تفسير ابن كثير	الشيخ عبد المحسن العباد ثم د. سيد الحكيم	
١٣	سليمان عبد العزيز العيينى	سعودى	تحقيق مخطوطة الايثار في معرفة رواة الآثار لابن حجر العسقلاني	الشيخ حماد الانصارى	

مرحلة الماجستير المسجلون ١٣٩٧/٩٦ هـ

م	الاســــم	الجنسية	عنـــوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
١	على احمد القليصى	يمــنى	جريمة السرقة وعقوبتها في الشريعة الاسلامية	د. محمود العكازى	
٢	احمد عبد الله كاتب	سعودى	زكاة عروض التجارة	د. احمد فراج	
٣	منصور بن محمد النعمان	سعودى	موانع النكاح	د. محمد مندور ثم احمد فراج	
٤	سالم سقاف الجفرى	اندونيسى	الربا واضراره في المجتمع الانساني	د. احمد فراج	
٥	بله الحسن عمر ساعد	سوداني	القراض في الشريعة الاسلامية	د. محمد مندور ثم عبد الحميد الغفارى	٧-١١-٩٨ هـ
٦	محمد بن يوسف الربيدى	يمــنى	مصارف الزكاة	د. محمدمندور ثم عبد الحميد الغفارى	٧-١١-٩٨ هـ
٧	ابو حماد صغير احمد	هنـــدى	تحقيق كتاب الاوسط لابن المنذر	د. عبد الحميد الغفارى	
٨	سعيد بن درويش الزهراني	سعودى	نظام نفقة الأقارب في الشريعة الاسلامية	د. احمد فراج	
٩	الباهى الطيب بن عطية	جزائرى	مشروعية الصداق في الشريعة الاسلامية	د. عبد الحميد الغفارى	

مرحلة الماجستير المسجلون عام ١٣٩٧/٩٦ هـ

م	الاســـم	الجنسية	عنـــوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
	شعبة الاصول				
١	عبد الرحيم صالح الافغاني	افغـــاني	الاجتهاد ماضيه وحاضره	د. عمر عبد العزيز	
٢	يوشع صـــادق	نيجيرى	التخصيص عند الاصوليين	د. عمر عبد العزيز	
٣	العبيد معاذ الشيخ	سوداني	الامام الشافعي وخبر الواحد	د. عبد العظيم فياض	
٤	ناصر خميس	كيـــني	العام ودلالته عند الاصوليين	د. عمر عبد العزيز	
٥	ابو بكر عبد الله دكورى	فلتـــاوى	التعارض والترجيح بين النصوص الفقهية وأثر ذلك في اختلاف الفقهاء	د. عمر عبد العزيز	
٦	ملاطف محمد صلاح	يمـــنى	الأمر واثر دلالته في الأحكام الشرعية	د. عمر عبد العزيز	
	شعبة التفسير				
١	احمد عمر عبد الله	غـــاني	التفسير با لرأى ما له وما عليه	الشيخ ابو بكر الجزائرى	
٢	آدم محمد على	اثيـــوبي	ابن عباس ترجمان القرآن	« « «	
٣	عمر يوسف كمال	سعودى	قتاده بن دعامة السرويسى ومنهجه في التفسير	د. اكرم العمرى	
٤	على سيف عبد القادر	يمـــنى	ابن تيمية ومنهجه في التفسير	د. مصطفى زيد ثم ابراهيم مهنا	٧-١١-٩٨ هـ طوى قيده
٥	محمد اشرف على	هنـــدى	تحقيق كتاب الناسخ والمنسوخ لابن الجوزى	الشيخ عبد المحسن العباد ثم ابراهيم مهنا	٧-١١-٩٨ هـ
٦	عواد بلال الزويرعى	سعودى	التفسير النبوى في القرآن الكريم	الشيخ عبد المحسن العباد ثم د. ابراهيم مهنا ثم الشيخ ابو بكر الجزائرى	٢٢-٢-٩٩ هـ
٧	عبد الغفار بدر الدين	داهـــومى	غرر البيان في مبهمات القرآن العظيم لابن جماعة	الشيخ عبد المحسن العباد ثم د. ابراهيم مهنا	٧-١١-٩٨ هـ

مرحلة الماجستير — المسجلون عام ١٣٩٨/٩٧ هـ

م	الاســـم	الجنسية	عنـــوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
	شعبة السنة				
١	زياد محمد منصور	سورى	تحقيق القسم المخطوط من طبقات ابن سعد	د. اكرم العمرى	٧-١١-٩٨ هـ
٢	عبد الله بن احمد سليمان	سعودى	دراسة حديثية لما قال فيه الترمذى حسن صحيح غريب	د. محمود ميره	١٧-١١-٩٨ هـ
٣	احمد ميرين سياد	ايـراني	تحقيق كتاب (خصائص على (للنسائي	الشيخ حماد الانصارى	١٧-١١-٩٨ هـ
٥	عبد القادر احمد	مصرى	منهج التصنيف الموسوعة الحديثة الكبرى	د. السيد الحكيم	١٧-١١-٩٨ هـ
٥	سهيل حسن عبد الغفار	باكستاني	السنن والآثار في النهى عن التشبه بالكفار تخريجها وتحقيقها	الشيخ حماد الانصارى	١٧-١١-٩٨ هـ
٦	حسن محمد مقبول الأهدل	يمـني	المنهج السوى والمنهل الروى في الطب النبوى	د. محمود ميره	
٧	عبد الغفور عبد الحق	ايـراني	تحقيق كتاب « طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها » لأبي الأنصارى »	د. محمود ميره	
٨	سليمان على السعود	سعودى	احاديث الهجرة ـــ تخريج وتحقيق ودراسة	د. السيد الحكيم	
٩	سلطان سند عبد المطلب	اردني	الرواة الذى تكلم فيهم في صحيح مسلم	د. محمود ميره	
١٠	حسين محسن على جابر	حضرمى	الاحاديث الدالة على لزوم جماعة المسلمين تحقيق ودراسة	د. محمود ميره	
١١	محمد مطر عثمان الزهراني	سعودى	السابق واللاحق للخطيب البغدادى دراسة وتحقيقا	د. محمود ميره	

مرحلة الماجستير المسجلون عام ١٣٩٨/٩٧ هـ

م	الاســـم	الجنسية	عنـــوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
	شعبة الفقه				
١	نايف نافع العمرى	سعودى	احكام الرضاع في الاسلام	د. احمد فراج	٧-١١-٩٨ هـ
٢	اسماعى عـــلى	تايلاندى	الملكية الخاصة في الفقه الاسلامى	د. احمد فراج	٧-١١-٩٨ هـ
٣	عيسى ذكى	اردني	أحكام الاكراه في الفقه الاسلامى	د. عبد الحميد الغفارى	٧-١١-٩٨ هـ
٤	محمود يعقوب طالب	سعودى	نفقة الزوجـــات	د. محمود العكازى	٧-١١-٩٨ هـ
٥	فيحان شـــالى المطيرى	«	القصاص في النفس في الشريعة الإسلامية	د. محمود العكازى	٧-١١-٩٨ هـ
٦	فضل الرحمن دين محمد	هنـــدى	زكاة الحيوان في الشريعة الاسلامية	د. عبد الحميد الغفارى	٧-١١-٩٨ هـ
٧	عبد الرازق على انحل	سعودى	احكام القذف في الشريعة الاسلامية	د. محمود العكازى	٧-١١-٩٨ هـ
٨	عبد الرحمن عبد العزيز صالح	سعودى	احكام الحضانة في الشريعة	د. احمد فراج	٧-١١-٩٨ هـ

مرحلة الماجستير — المسجلون عام ١٣٩٨/٩٧ هـ

م	الاســـم	الجنسية	عنـــوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
	شعبة التفسير :				
١	عبدالقادر منصور	سورى	تذكرة الاريب في التفسير الغريب لابن الجوزى	د. محمود ميره	
٢	فاروق حسين محمد	مصري	فواتح السور في القرآن الكريم	د. الأمين داود	
٣	طلال مصطفى عرقسوس	سعودي	تحقيق مخطوطة عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لابن السمين	الشيخ أبو بكر الجزائري	
٤	خليل الرحمن سجاد	هندي	الإمام أحمد الدهلوي نماذج من تفسيراته وأراؤه في مباحث من علوم القرآن	د. ابراهيم مهنا	
٥	علي محمد الزبيري	يمني	ابن جزي ومنهاجه في التفسير	د. ابراهيم مهنا	
٦	شير علي شـــاه	باكستاني	سورة الكهف عرض وتفسير	الشيخ أبو بكر الجزائري	
٧	عبد الله محمد الأمين	سعودي	علاج القرآن للجريمـــة	د. ابراهيم مهنا	
٨	عبد الله ديريه ابندون	صومالي	أصول التفسير بين ابن تيميه وغيره	الشيخ أبو بكر الجزائري	
٩	محمد يوسف عيـــد	»	قضايا المرأة في سورة النساء	د. ابراهيم مهنا	
١٠	محمود أيوب محمد يوسف	سعودي	سعيد بن جبير مفسراً	الشيخ أبو بكر الجزائري	
١١	ابطي كينوبي ابراهيم	أوغندي	أبو مسلم الأصفهاني آراؤه ومنهجه في التفسير	د. ابراهيم مهنا	

مرحلة الماجستير — المسجلون عام ١٣٩٨/٩٧ هـ

	الاســـم	الجنسية	عنوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
	شعبة الأصول :				
١	فضل الله الأمين	سوداني	قول الصحـــابي	د. عبد العظيم فياض	
٢	محمد أبو البشر رفيع الدين	بورماوي	الحكم التكليفي وأثره في الأحكام الشرعية	د. محمود العكازي ثم د. عمر عبد العزيز	
٣	محمد المختار محمد الأمين	سعودي	شرح مراقي السعود	د. عمر عبد العزيز	
٤	صالح سعيد باقلاقل	حضرمي	أبرز القواعد الأصولية الخلافية الخاصة بالسنة وأثرها في الفروع	د. عمر عبد العزيز ثم د. عبد العظيم فياض	
٥	النمـــاري عقـــي	مغربي	القواعد الأصولية المتعلقة بطرق دلالة الألفـــاظ على الأحكام وأثرها في الفروع	د. عمر عبد العزيز	
٦	محمود صالح شريتح	أردني	السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإســـلامي	د. عبد العظيم فياض	
٧	مسعود عالم مولوي	باكستاني	الإمام ابن القيم ومنهجه وآراؤه في أصول الفقه	د. عمر عبد العزيز	
٨	محمد عبد الحميد فيص	«	الإمام ابن تيمية ، حياته وعصره وآراؤه ومنهجه في أصول الفقـــه	د. عبد العظيم فياض	
٩	فواز فزاع المحمادي	سعودي	الإجماع باعتباره المصدر الثالث من مصـــادر التشريع الإسلامي	د. عمر عبد العزيز	

مرحلة الماجستير المسجلون عام ١٣٩٨/٩٧ هـ

م	الاسم	الجنسية	عنوان الرسالة	المشرف على الرسالة	تاريخ مناقشتها
	شعبة الدعوة				
١	عبد الحفيظ أحمد	نيجيري	دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا في العصر	د. أبو المجد نوفل	٧-١١-٩٨
٢	مسعدي سلطاني	أندونيسي	الدعوة الإسلامية في مواجهة التبشير الصليبي بأندونيسيا	د. أبو المجد نوفل	«
٣	يوسف محي الدين أبوهلالة	أردني	الحركة التبشيرية الصليبية في الأردن وخطرها	د. أحمد الأحمد	«
٤	عبد الحكيم عبد السلام	هندي	الأناجيل بين تاريخها وتعاليمها	د. أحمد الأحمد	«
٥	أحمد محمد عبيد	لبناني	المسلمون في لبنان على ضوء تاريخهم	د. أحمد الأحمد	«
٦	مهدي عبد الله ككوزا	أوغندي	تأثر الدعوة الإسلامية في أوغندة بالغـــزو الاستعماري	د. أبو المجد نوفل	«
٧	علي الشيخ أحمد	صومالي	الشيوعية والمجتمع الإسلامي	د. أبو المجد نوفل	«
٨	محمـــد زين الهادي	سوداني	العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي	د. أبو المجد نوفل	«
٩	عبد الحميد المظاهري		الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول	د. أحمد الأحمد	«


شركة مكة للطباعة والنشر
MECCA PRINTING & PUBLISHING CO.

المحتويات

مسلسل	الموضـــوع		الصفحة

ردود ومناقشات

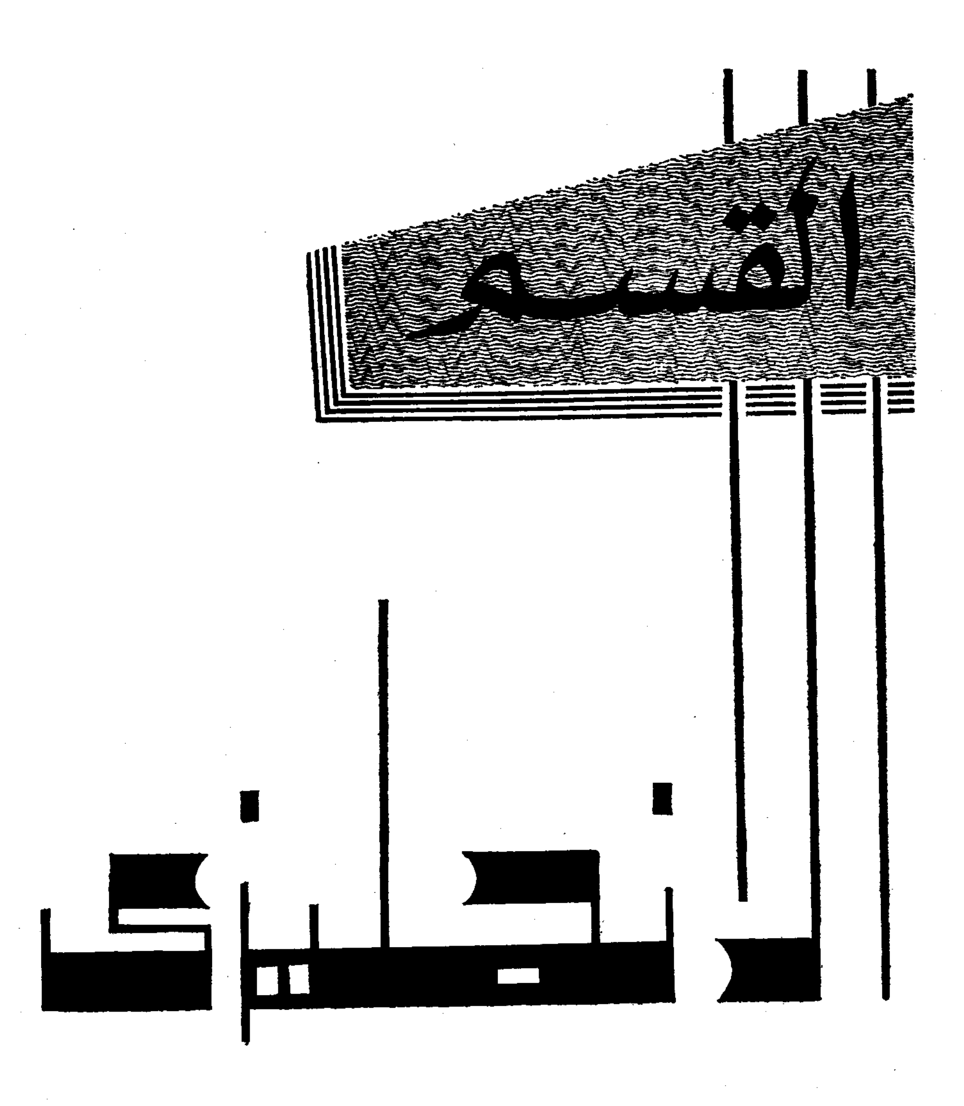
اقتراحات وآراء

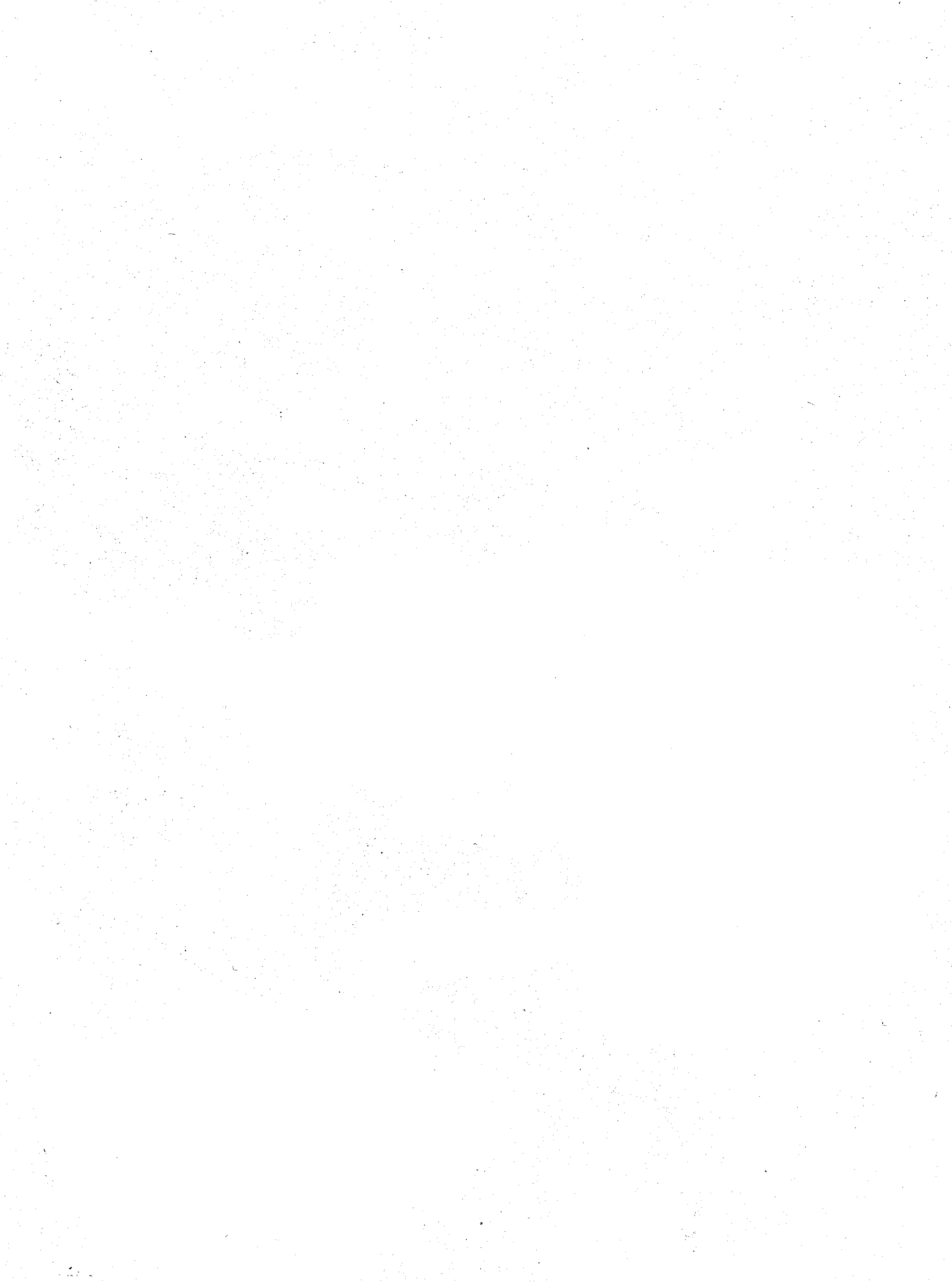
بحوث طبية

من أعماق الكتب

مختارات من الصحف

أحداث العالم الاسلامى


القسم
الانجليزي



(٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"

(مسلم) .

(6) Jaber bin Abdellah reported that the Apostle of Allah said:

" The blood, Property, and honour of a Muslim must be sacred to every other Muslim."

(Muslim)

---

(٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان من احبكم الىّ احسنكم اخلاقا " .

(البخاري)

(7) Abdullah bin omar reported that the Apostle of Allah said:

" Verily the dearest to me among you is he who is the best of you in conduct."

(Al - Bukhari).

M:

(٤) عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره مالم يؤمر بمعصية
فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " . (متفق عليه) .

----

(4)Ibn- Omar reported that the Apostle of Allah said:

3 " There is hearing and obeying on a Muslim in what is pleasing and displeasing to him so long as he is not ordered with a sinful act. When he is ordered a sinful act, there is not hearing and obeying."

(Agreed)

---

(٥) عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول " اذا اسلم العبد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة
كان زلفها ، وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة
ضعف ، والسيئة بمثلها الا ان يتجاوز الله عنها " . (البخارى) .

Abu Saied Al- kHudri heard the Apostle of Allah s saying:-

" If any person embraces Islam sincerely, then Allah shall forgive all his past sins, and after that starts the settlement of accounts: the reward of his good deeds will be ten times to seven hundred times for each good deed and a bad deed will be recorded as it is unless Allah forgives it".

(Al- Bukhari)

(٢) عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليـــه ،ومن ولى من امر امتى شيئا فرفق بهـــم فارفق به ". (مسلم)

---

(2) Aisha reported that the Apostle of Allah said:

" O Allah, whose is given power over any of the the affairs of my people and them he gives trouble to them, give trouble to him, and whose is given power over any of the affairs of my people and then he shows mercy to them, show mercy to him"

(Muslim)

---

(٣) عـن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلـــت اليها ،وان اعطيتها عن غير ماسأ لة أعنت عليها " (متفق عليه) .

---

(3) Abdur- Rahman bin samorah reported that Apostle of Allah said:

" Don't seek to rule because if it is given to you without asking, you will be aided therein.

(Agreed).

(١) عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب " (متفق عليه) .

---

(1) Nu'man Bin Bashir reported that the Apostle of Allah said:

"Verily lawful things are manifest and unlawful things are also manifest, and between them are the doubtful things which many people do not know. Whose guards against the doubtful things, he makes his religion and honour pure, and whose falls in the doubtful things like a shepherd who grazes his folk round a reserved pasture ground and in any moment he is liable to get in it. Beware, every king has a meadow and the meadow of Allah is his forbidden things. Beware, there is a piece of flesh in the body if it becomes good the whol body becomes good but if it gets spoilt and that is the heart"

(Agreed)

those who recieved the Scripture before you, and of the disbelievers, who take your religion for a mockery or sport. But fear Allah if you are true believers.

(Suatul - Maida V. 48-57)

M:

he among you who takes them for patrons is one of them.

Vdrily Allah guides not a people unjust. And you see those in whose hearts is a disease run about amongst them saying:

"We fear lest a chang of fortune bring us disaster."

And it may happen that Allah will give victory or a decision according to Kis will. Then they will repent of their secret thoughts. And those who believe will say: " Are these they who swore by Allah their most binding oaths that they were surely with you? All that they do will be in vain, and they will become the losers.

O you who believe, if any from among you turn back from his religion, Allah will bring a people whom He loves and who love Him, lowly with the believers, mighty against the disbelievers, fighting in the way of Allah, and fearing not the blame of any blamer. That is the grace of Allah which he gives unto whom He will.

And Allah is All-Embracing, All-Knowing.

You real patron are Allah, His Apostle, and thos who believe, those who establish prayers, and pay charity, and bow down humbly in worship. And those who take Allah and His apostle and those who believe for patron, it is the party of Allah, they are the victorious.

O you who believe, take not for patrons such of

((The Holy Koran))

<u>In the name of Allah, The Most Gracious, The Most Merciful.</u>

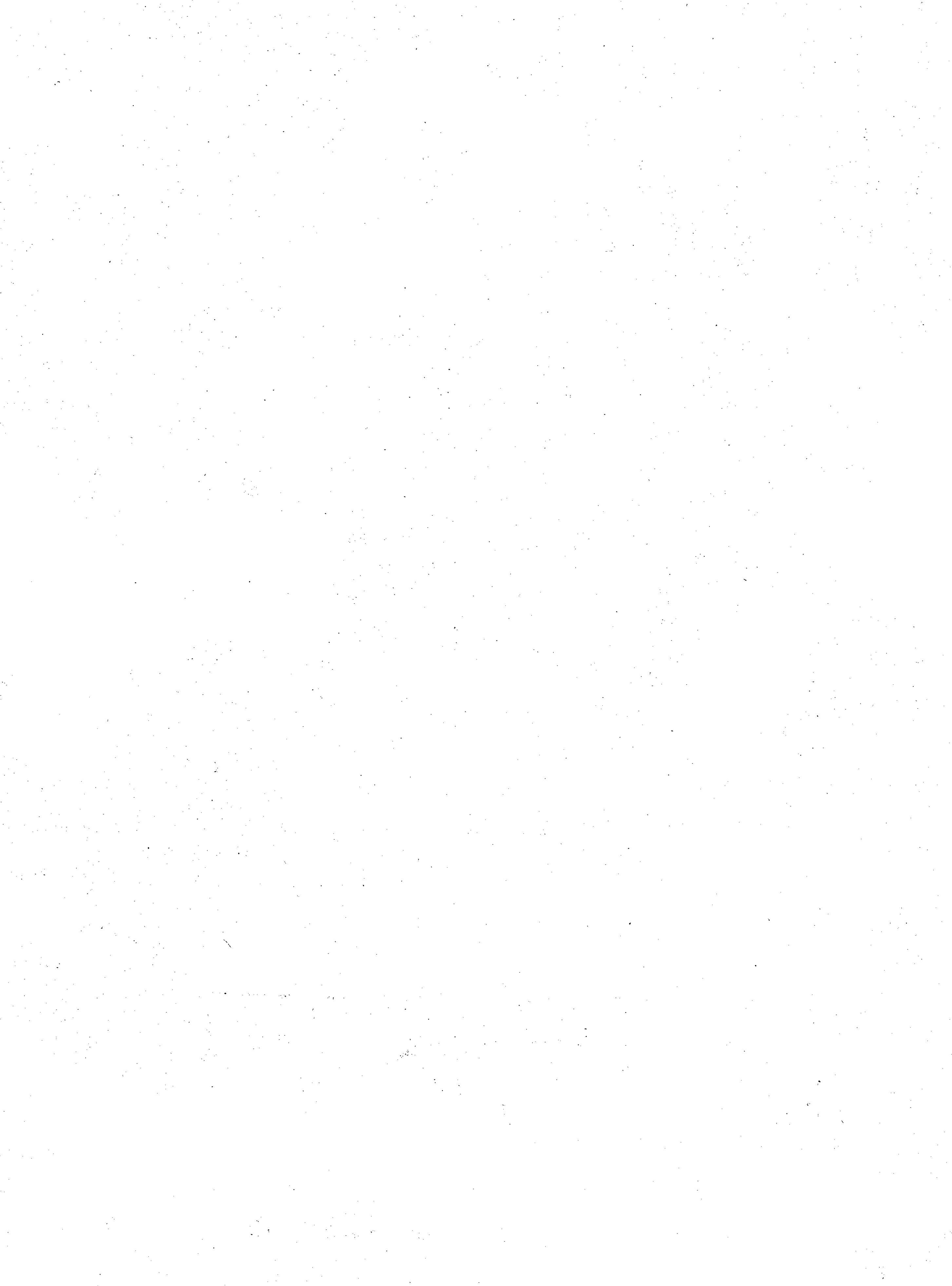
And unto you we have revealed the Scripture with the truth, confirming the Scripture that came before it, and a watcher over it. So judge between them by that which Allah has revealed, and follow not their desires away from the truth which has come unto you. For each among you we have appointed a divine law and a traced-out way. If Allah had willed , He would have made you one nation, but to test you in what He has given you. So vie one with onother in good works. Unto Allah you will all return, and He will then inform you of that wherein you differ. So judge between them by that which Allah has revealed, and follow not their desires, but beware of them lest they seduce you from some part of that which Allah has revealed unto you. And if they turn away, then know that for some of their sins it is Allah's will to punish them. And truly most of mankind are rebellious. Do they then seek after a judgment of the days of ignorance? But who, for a people whose faith is assured, can give better judgment than Allah?

O you who believe take not the Jews and christians for patrons. They are patrons one to anothers. And

((بسـم الله الرحمن الرحيـم))

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعـة ومنهاجـا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقـوا الخـيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ،، وأن أحكـم بينهم بما أنزل الله ولا تتبـع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهـم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقـون ،، أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ،، يأيها الذين آمنو لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ،، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعـون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسـروا فى أنفسهم نادمين ،، ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهـم فأصبحوا خاسرين ،، يأيها الذيـن آمنوا من يرتـد منكم عن دينه فسوف يأتـى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علـى المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء والله واسع عليم ،، إنمـا وليكم الله ورسوله والذين آمنـوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ،، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنـوا فإن حزب الله هم الغالبون ،، يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذيـن اتخـذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقـوا الله إن كنتم به مؤمنـين ،،) المائدة آية ٤٨ - ٥٧

مصطفى:



المجلة لا تلتزم

① برد البحوث أو المقالات لأصحابها إذا لم يتم نشرها ولا بإبداء أسباب عدم النشر

② الآراء المنشورة في المجلة لا تعبر عن رأيها وإنما تعبر عن رأي كاتبيها فقط

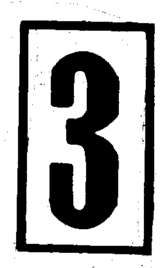


JOURNAL OF

THE ISLAMIC UNIVIRSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH



11th YEAR

1st RABIE AWWAL
1399 H.

JOURNAL OF

THE ISLAMIC UNIVIRSITY

OF MADINAH MONAWWARAH

3

11th YEAR

1st RABIE AWWAL
1399 H.

شركة مكة للطباعة والنشر / مكة